مفاهيم روحية
لا للتقليد ولا للترديد

الجزء الأول

أنيس الرفاعى

فهم روحى للأركان الخمسة ومعانى إنسانية أخرى
خطـاب إنسـانى جـديد

obeikan.com

أنيس الرفاعى: مفاهيم روحية
لا للتقليد ولا للترديد

الطبعة الأولى: يناير ٢٠١٧
رقم الإيداع بدار الكتب ١٦٦٩٧ /٢٠١٦
I.S.B.N. 978-977-85299-0-6

ت : ٠١٢٢٢٥٥٢١٧٥ - ٠١٠٢٠٠٣٩٣٠٢
e.elrifai@yahoo.com

للتواصل مع الكاتب www.facebook.com/Anis.Elrifai

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

obeikan.com

شكـــر وتقدير

نشكر الأستاذ/ إبراهيم عابدين لمراجعة وتصحيح اللغة العربية والأستاذة/ نيفين عدلى لتنسيق وإخراج الكتاب.

obeikan.com

obeikan.com

إهـــداء

أهـدى هـذا العمـل إلـى روح الحـق

واهـــب الحيـــاة لطـــالبى الحيـــاة

الراعـــى المحـــيط بالحـــب وهاديـــه

لمن قبل الهدية بكرم وحب الهادى

obeikan.com

obeikan.com

مقـــدمة

التجوال فى آسيا والشرق الأوسط والقليل من دول أوربا، والمتمسكون بالتعاليم الدينية فى أنحاء أخرى من شعوب الأرض، نجدهم يمارسون طقوس دينهم معتقدين أعتقاداً راسخاً متيناً، أن تأدية المناسك بطقوسها وأشكالها المتعددة حسب تعاليم كل دين سوف تؤدى بهم الى جنان يتمتعون فيها بكل ثمين وغالى. وهذه الجنان فيها كل ما تشتهى أنفسم من متع حسية متوفرة لهم فى الأرض، أو محرومين منها.

أما من أساء وأخطأ، فسوف يحاسب حساباً عسيراً أو طفيفاً، ثم يؤخذ الى الجنان الموعودة. ومنهم من يعتقد أنه سوف يلتقى برائد الديانة التى يؤمن بها، ويقضى معه فترات مقدّرة أو إلى الأبد. ومنهم من يعتقد أنه سوف يرسل إلى الأرض لكرة أخرى حتى يعطى الفرصة ليصحح أخطاءه، أو ليستزيد من صلاحه.

والمعتقد السائد عند معظم الناس هو أن كل الأحداث التى تحدث للناس، أو هم من يتسبب فى حدوثها كلها مقدرة، وأن الإنسان ليس له من الأمر شيئ فيما يحدث له أو منه .. إنها إرادة أعلاه .. وأعلاه غيب عليه.

إنها نظرة موضوعية لكل أمور الحياة. وإلى القارىء فهمنا القريب من الحقيقة التى خلصنا إليها من اطلاعنا على ديانات كثيرة من كتب عديدة وأهمها كتاب "التجربة الدينية للجنس البشرى" لنينيان سمارت.

فى هذا الكتاب يتناول كل ديانة من مصادرها الأصلية، أى من الكتاب المقدس لكل ديانة. نقل الناحية الجوهرية فى كل ديانة، أى لب كل عقيدة، ثم انتقل الى المعتقد القريب من الناحية المادية التى يفهمها الناس، ألا وهى النواحى الشرعية التى يتعامل بها الناس فى تناول مشاكلهم وكيفية حلها. عرفت من هذا الكتاب أن جوهر الأديان جميعاً وما تحمله من معانى واحد.

والمصدر الآخر الذى جمعت معرفتى منه حدث فى ستينات القرن الماضى، وحضورى جلسات روحية كثيرة. كوّنت من كل هذه المعارف، أن القوى الغيبية هى قوانين عامة سارية ومطبقة على كل كائن، وعلى كل جرم من أجرام الكون. هذه القوى تعمل بشقين. شق يعمل كطاقة مُعينة للإنسان أياً كان عمله أو اتجاهه، وشق يعمل كمردود فعل لهذا العمل أو الاتجاه: من يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره.

هذه الطاقة هى ما نسميه القانون الإلهى أو الله أو الرب أو الإله، أو أى تسمية أخرى فى اللغات المختلفة. ان أى عمل أو فكر أو إحساس صدر من الإنسان، له طاقة حية سارية منطلقة منه ومحفوظة فى وجوده الروحى. هذه الطاقة المنبعثة من الإنسان وهو على الأرض لا تضيع أبداً. إنها تشكل وجوده الروحى الذى سيعيشه بعد انطلاقه من الأرض. مجموع مردود هذه الطاقات التى صدرت منه، ومن الناس الذين يتماثلون معه فى الطباع والأفعال، سوف يحشرون معه فى نفس العالم أو المجال الروحى بعد انتقالهم من الأرض.

محيط الإنسان فى الأرض .. أى البيئة التى يعيش فيها والأحداث التى تحدث له هى من صنعه هو ومن صنع من يعيشون معه فى هذه البيئة. والإنسان معطى الحرية الكاملة فى الخروج أو البقاء فى سجنه من محيطه. والطاقة الإلهية معه فى كل وقت وحين، تعينه وتغذى إرادته وطاقته فى سبيل تحقيق أهدافه، فهو مسئول عما يصدر عنه ويتحمل تبعاته، ويعيش نتيجته.

وهذا الكتاب موجه لكل إنسان حرر عقله، واتجه به إلى فطرته السليمة، ويعلم علم اليقين أنه ليس فى الأرض، ولا فى العوالم الغيبية كلها إنسان مشابه له فى مكونات تاريخه الروحى. وكل إنسان له مساره الفريد. فكيف يقبل أن يكون أو يعامل كفرد من قطيع يساق بفكر أو عقيدة أو موهوم دين، ويلغى عقله، ويعيش بفكر وعقيدة الآخرين.

إن أى قضية لها عدة جوانب، فرؤيتى هى جانب واحد، ورؤية الآخر هى رؤية لجانب آخر وهكذا. وكل هذه الرؤى تشكل الحقيقة. أما ما حدث لأكثر هذه الشعوب التى تؤمن بالأديان المختلفة، ألغت عقولها، ومحت انسانيتها، وتفردها، وشخصيتها وكرامتها كإنسان، وتواكلت على محترفى الأديان، يفسرون ويشرحون النصوص المقدسة، ويرسمون طريق رواد الأديان وما فيه من نور ورحمة، حسب ما فهموه وأدركوه، معتمدين فى ذلك على حفظ النصوص المقدسة. وأصبحت الغالبية العظمى من الناس تساق بفكر واحد وطريق واحد، نقلاً عن أناس فسروا الكتب المقدسة وفق المعارف والعلوم التى كانت موجودة فى عصرهم. هذا التفسير لا يلائم التطور الجمعى للعقل البشرى، فهو لا يصلح لعصرنا، ولا تطمئن له قلوبنا.

وفى هذا الكتاب أحاول برؤية خاصة، وفهم فى الأركان الخمسة التى يرتكز عليها الدين الإسلامى، كنموذج للأديان الأخرى. بالإضافة لبعض المفاهيم العامة لبعض الصفات والمعنويات التى يتناولها الناس، وفهمهم فيها.

وهذا تأمل خاص، لا أقول أو أدعى أن فهمى فى الأركان الخمسة وغيرها هو الفهم المطلق، أو الفهم القريب من الحقيقة، وكل إنسان له مطلق الحرية فيما يعتقد، وفيما يفهمه.

إنها محاولة للخروج والتحرر من فكر أناس عاشوا من ألف عام أو أكثر، وما زال يُفرض علينا فكرهم فى معنوياتنا التى هى تشكل إنسانيتنا قبل أن تسمى أو تأخذ شكل دين. إن الدين يعبر عن فطرة الإنسان السليمة التى وهبها الله له، مدفونة فى أعماق الإنسان، والدين يعين الإنسان على الاتجاه لهذه الفطرة فيه ليكتشف الحياة الحقة فيه كما سوف أتناوله فى هذا البحث.

هذه الأدوات أصيلة فى خلقتنا، وهى لا تفارق الإنسان حين ينتقل بظاهرة الموت. فكيف لى أن لا أستخدم ما وهبنى الله بالفطرة، ليدفعنى فى طريق إنسانيتى، وحقى، وعلاقتى بأعلاى؟

كلٌ لـه أهليته وصلاحياته وقدرتـه الخاصـة وفقاً لما يوفقه الله باستخدام أدواتـه الإنسـانية. فكل من لم يستخدم أدواتـه الإنسـانية الموجودة فيه بالفطرة، واتبع كـلام الآخر وهو لا يعلم ولا يرى برؤيـة حقيقية يقينية مدى ما يحمل هذا الكـلام من طاقة. أهى طاقة نورانـية ربانـية، تكشف لك طريقك، أم هى طاقة نفسية وما تحمل من طاقات مظلمة، واتجـاهات بعيدة عن الحق وقريبة من الباطل أو منغمسة فيه.

سوف أتناول الفهم فى الأركان الخمسة من الناحية الروحية التى هى الأصل والسبب الرئيسى الذى من أجله تواجدنا على الأرض، وسوف نعيش بهذا الفهم، ومجال إحاطتنا، ومعنوياتنا، تتشكل وتتلون بهذا الفهم، حين نغادر كوكب الأرض.

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما فيه رقينا وتطورنا فى معنى الإنسان.

obeikan.com

الشــهادتـان

فــهم فى شــهادة أن لا إلــه إلا اللــه

و

فــهم فى شــهادة أن محــمداً رســول اللــه

و

وفـــهم فى معنى اللــه أكــبر

obeikan.com

obeikan.com

الشـــهادتـان

هناك أعتقاد سائد، تقوم عليه عقيدة المسلمين، هو أن بمجرد ذكر الشهادتين تكون مسلماً. والشهادتان الآن وقديماً يورّثان للأبناء حيث أن الوالدين مسلمان. وعقيدة الإسلام مبنية على ذكر تلك الشهادتين، وهما أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله.

هذا قول حق لأن الشهادتين تُلخصان عقيدة الإسلام، لما تشتملان على معنى القيام الأمثل الكامل للإيمان. ولكن دعنا نستعرض بعض آيات الذكر لنعرف منها أن أى قول من مصدر حى، أو من كتاب مقدس، على الإنسان أن يتأمل فيه بالتفكر والتدبر حتى يصل إلى فهم يرتاح إليه هو وليس أى إنسان آخر. لأن كل إنسان هو وحدة وجود إنسانى مُتفرد لا يشاركه فيه أحد.

إذا تعرّض أى رائد دينى لتقديم فهم فى أى نص مقدس يعتمد فيه على عدة عوامل: منها مستوى العلم فى جميع مجالات الحياة المعروفة والمستخدمة فى هذه الحقبة من الزمن. ومنها المخزون الثقافى الذى وصلت إليه البشرية فى هذا التاريخ.

ولكن السائد والمنتشر، وربما يكون مفروضاً على الناس، ألا وهو، تجميد المعانى المقدسة فى فهم واحد، وحصره فى قالب واحد متوارث ومنقول من قديم دون أى تجديد، وبهذا لا يتفق مع معطيات العصر من فكر وعلم فى كل مجالات الحياة. دعنا نأخذ مثلا لنوضح وجهة نظرنا: الآية ١٨، ١٩ من سورة القيامة (فإذا قرأناه فاتّبع قرآنه، ثم إنّ علينا بيانه). يُفهم من الآيتين أن حديث الأعلى لسيدنا محمد هو أن آيات القرآن تتلوها على الناس دون أن تضع لها تفسيراً، حتى لا يكون تفسيرك حجة على الناس ومفروضا عليهم، ولا يُقبل غيره، وهو الوحيد على مر العصور من بعدك، فلا يُقبل بعد ذلك أى تطور ولا رقى فى الله ذى المعارج.

والمعروف أن نصوص القرآن وأى كتاب مقدس لـه أوجـه كثيرة تتناسب مع كل مستويات الفكر والتطور والرقى فى الله أللانـهائى. فكيف لنا أن نُجِد الفكر والتفكّر والتأمل فى آيات الله عند عصر معين، وكل عصر لـه ما لـه من أفق العلوم، ومدى الرقى الذى وصل إليه الإنسان فى عصر من العصور. البيان مرجعه إلى الأعلى. هو الذى يودع فى كل عصر من عصوره، وفى كل زمان من أزمنته عقولاً وقلوباً تدرك معنى الآيات حسب معطيات العصر من علوم ومفاهيم معنوية وإنسانية تساهم فى تصعيد ورفع ورقى الإنسان من تطور إدراكه لآيات الله فى كتبه المقدسة.

أيام رسول الله محمد .. ماذا تنتظر من أهل قريش، أو من رجل بدوى أن يكون إيمانه. ليس هذا قياساً مطلقاً لكل من كانوا أيام الرسول. هل كان إيمان السادة ابن مسعود أو عثمان أو سلمان الفارسى أو بلال أو أهل البيت مثل الإمام على والسيدة فاطمة مثل إيمان من يدخلون الإسلام طمعاً فى جنة أو غفران وشفاعة تقيه من النار.

هل إيمان الخاصة مثل أبو حيان التوحيدى ومحى الدين ابن عربى والغزالى وذى النون المصرى وغيرهم كثير فى عصر العباسيين والعصور التى بعد العباسيين، بعد اختلاطهم ودرسهم لحضارة إيران، والحضارة الأغريقية، ودراستهم وترجمتهم للديانات الأخرى التى كانت فى مصر والهند والصين كإيمان عامة المسلمين البسطاء.

هل مفهوم الناس فى الدين الآن يظل كما هو عند العامة والبسطاء فى عصر رسول الله محمد. والمقصود بالآن هو اكتشاف النظريات الفلكية وعلومها الكونية، ونظريات الذرة والنسبية العامة والخاصة، ومفهوم الناس عن الأرض واكتشاف أسرارها، بكل هذا وأكثر يظل المفهوم فى الدين كما هو. ألم يقل (إنّ علينا بيانه). الأعلى لـه أساليبه التى لا حصر لـها ليظهر ويقيم وينشر ويوضح بيانه، وعنده من خلقه الذين لهم القدرة على القيام

بمهمة "بيانه". (عباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً . فى تواضع ومحبة – وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) أما آن لنا أن نسمعهم.

إن الله وملائكته يصلّون على النبى .. يصلون النبى .. يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما. على المسلمين أن يحاولوا الصلة به والصلاة عليه. فصلى عليهم إن صلاتك سكناً لهم .. لأن وصلته بهم أيقظت قلوبهم. فهل تعرضنا لرسول الله حتى يسرى بالسكينة فينا بمن هم امتداده والسارى فيهم بنوره (عباد الرحمن)، أم أننا قبرناه وأبعدناه، ونزور قبره لننال بركة.

لم نصله ولم نشهده فى أهل بيته. لم نره فى عباد الله الصالحين. لم نحاول الدخول فى قلوب عباده الصالحين لنحيا بدخولنا فى قلوبهم الحية (يا أيتها النفس المطمئنة أدخلى فى عبادى وادخلى جنتى) إنها النفس التى تحوّلت بفضل الله من نفس أمارة بالسوء إلى نفس مطمئنة. إنها تدخل جنة ليس فيها إلا وجه الله وما والاه. إنهم موجودون، يسعون لمن يطلبهم بصدق وحب.

نرجع إلى ما بدأنا به (الشهادتين). كل تلك المقدمة هى لتتسع قلوبنا وعقولنا لفهم آخر، وهو فهم من فهوم. فهم شخصى، لا باتاً ولا أدعى أنه الفهم الوحيد الصحيح. إنه فهم قابل للتطور والإضافة. ربما يقترب من الصواب، وربما يقترب من الحق والحقيقة، وليس مطلقاً، يعتمد على العقل، والعقل هو الأداة الوحيدة التى أملكها، وكما نعرف وينطبق علينا جميعاً قول رسول الله (العقل أصل دينى).

أشهد .. لم يقل أقر وأعترف، فكيف تحوّل مفهومنا فى كلمة أشهد لتصير أقر أو أعترف. من أكون أنا أو أنت حتى نقر بوجود الله، أو نعترف بأن لا إله غيره. ما الفائدة التى تعود علىّ أو على الله من اعترافى أو إقرارى بألوهية الله. هل هذا الإقرار والأعتراف هما تصريح الدخول فى دين الإسلام

.. بأن أكون مسلماً. إنها معانى موجهة إلى الإنسان من الله، لا يصل إلى إدراكها إلا إذا ربطها الإنسان بوجوده الباطنى.

إننا لا نعرف أى معنى من معانى وجودنا الحقى (إلا من رحم)، ولا عن تواجدنا الروحى. لم نعادى حتى أنفسنا لنتمكن من الخروج من سجينها وننطلق فى معنى الإنسان اللانهائى. تمسّكنا بالظاهر من اللفظ، ومن المعنى الظاهرى للنصوص. من تناولوا فهم النصوص المقدسة وأخرجوها للناس كتفسير، يبدوا لأى متفكر، أن هذا الذى أسموه تفسيراً له وثيق الصلة بنفوسهم، وليس له أى نصيب من نور الله فى عقولهم.

الله غنى عن العالمين. لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. هل تعلم له سميا، قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون. فأى اعتراف هذا الذى تقوم عليه عقيدة، أو تُدخل الإنسان فى الإسلام. تقر وتعترف بمن هو غنى عن العالمين! تقر وتعترف بمن لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية! بأى عقيدة تلك التى نعرّض وجودنا بها للأعلى، بأن نتفضل عليه بأعترافنا بوجوده!

إن النطق بالشهادتين أيام رسول الله، كان لهما وقع جلل فى نفوس وقلوب الناس.. تحوّل من جاهلية عمياء، وقبلية متناحرة غارقة فى صلفها وعزتها وغرورها بأمجادها، إلى دين جديد، يُعرف رائده بينهم بالصلاح والاستقامة فى السلوك، وصدق فى القول، وأمانة فى التعامل، وخلق كريم راقى فيه احترام للكبير والصغير. دخل الإيمان قلوبهم بطاقة روحية سرت فيهم من رسول الله، وسلّمت نفوس البعض، أما الآخرون فقد أسلموا بعد العودة من الهجرة.

إنها نفوس بظلامها وقبليتها قوية، هجرها النور والرحمة (رسول الله) إلى مجال آخر، إلى زيادة من نور. هجرة ما تبقى فى القلب (مكة) من رحمة وحب إلى مدينة النور .. نور العقل، الذى رحّب بالنور والرحمة. أستجاب أهل النور والرحمة. مقدم الرسول زادهم نوراً ورحمة. تزودوا من نور محمد. محمد .. (مح) و(مدّ). انمحى فى الله، فدخل فى معنى التوحيد مع

أعلاه (مح). ومد .. أمتد فيمن استجاب لمعنى النور والحياة، فسرى فيهم بنوره وحبه ورحمته، ليحيهم روحياً ومعنوياً. ثم رجع إلى قلبه بكل ما زاده الأعلى من نور ورحمة.. قَدِمَ إلى مكة بالسماح والعفو والرحمة. رجع إلى قلبه .. طهّر أهله من قبليتهم، وأدخلهم فى سلم وسلام. إنه تحوّل، من الصعب للعقول أن تدركه؟

النطق بشهادة لا إله إلا الله، وشهادة محمد رسول الله فى ذلك الوقت من أناس لا يعرفون من وجودهم الأرضى إلا رغبات وشهوات نفوسهم، كان له وقع سحر مبهر زلزل نفوسهم، وبدّل من طباعهم بفضل الطاقة الروحية، والنور الربانى الذى سرى من رسول الله إليهم. (وجعلنا له نوراً يمشى به فى الناس).

وبعد أن غاب شخص الرسول من بينهم، أرتدوا، وعاد إليهم الحنين إلى الروح القبلية. وأخذ الإسلام شكلاً جديداً، ألا وهو الحكم المطلق باسم الدين. طغت نفوسهم عليهم فتوهموا وصدقوا أنفسهم بأنهم خلفاء رسول الله. وتخطوا مكانة رسول الله، ونصّبوا أنفسهم حكاماً يحكمون بأمر الله.. ما يأمرون به هو قضاء الله. وجمعوا من النصوص والأحاديث قواعد أسموها شرعاً أثناء حكم الخلفاء الواهمين. وامتدّ هذا الشرع فأصبح نافذاً أثناء حكم الآمرين بحكم الله. هذا الشرع مسلّط على مسلمى الأرض جميعاً، بالسلطة الدينية حتى الآن دون تعديل أو تبديل، ولم يتم تعديله أو تغييره رغم تغيّر الأحوال وتطور الثقافات، وتطور واتساع العقل البشرى فى تناوله لقضايا الإنسان المعنوية الباطنية، فضلاً عن ظهور الرسالة الروحية.

طاردوا أهل بيت رسول الله وقتلوا الكثير منهم فى مكة والمدينة، وهجّروا سيدات أهل البيت. وقتلوا سيدنا الحسين وصحبه من أهل بيت رسول الله فى كربلاء. وتخلصوا من سيدنا الحسن بالسم. كل ذلك لحرصهم على كراسى الحكم جعلهم يفقدون إنسانيتهم ويقتلون أهل البيت وصحابة رسول

الله خوفاً من أن يلتف الناس حولهم وينتزعوا كراسى الحكم منهم ويذهب سلطانهم.

شراهة الملك والطغيان جعلتهم يشعلون نيران الحروب، وقُتل آلاف من أنصارهم، وآلاف من الشعوب التى استعمروها، وتحوّل أهل هذه البلاد إلى عبيد مستذلين، ونسائهم إلى جوارى تحت رحمة الطغاة المعتدين، وصاروا إماء مرغمين، تحت إمرة من فقدوا الإحساس بآدمية الآخرين. وأطلقوا على ذلك القتل، وسرقة أقوات الشعوب المستعمرة جهاداً فى سبيل الله وفتحاً.

فهل ترديد أو النطق بالشهادتين من هؤلاء، أو من أى إنسان آخر على شاكلتهم تدخله فى دين قيّم، فى دين عظيم، كل كلمة فيه تحمل نوراً ورحمة، والنور يحمل معانى إنسانية لا حصر لها، ترقى وترفع من قيمة الإنسان.

كيف يكون مجرد النطق بالشهادتين وما لهما من معانى روحية ومعانى حقية، تُدخل الإنسان فى الإسلام.

بعد هذه المقدمة، أقدم فهمى فى الشهادتين .. ونسأل الله التوفيق.

القدوة، والمثل الأعلى لنا انعكس بصره فى بصيرته، فشاهد من ليس كمثله شىء. والحق ليس بشىء. الحق كينونة (يقول للشىء كن فيكون). فهو كينونة فى الله .. كينونة حقية (أنا الحق من ربكم). وهذا أرقى وأعلى ما يمكن للإنسان أن يصبو إليه وهو قائم على هذه الأرض. المشاهدة تمت فى قلبه .. فى باطنه. (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد). إنه يبصر بنور الله، وهو نور عقله .. يبصر بنور عقله ما هو فى قلبه الطاهر من كل ما سوى الله. عقل كله نور (إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة. أأغيان أغيار يا رسول الله. لا، بل هى أغيان أنوار). أبصر بعقل وقلب ملك يمينه، بعد أن محا ظلام عقله وطهّر

وحيا قلبه، سلمهما لأعلاه لمزيد نور ومزيد حياة. ومن سلّم ما ملك فهو مسلم.

إنه بحياته وتسلسل الأحداث يرسم لنا الطريق كيف نشهد لا إله إلا الله. آمن بالله كإيمان أبيه إبراهيم .. إيمان غيبى، ثم كلّم الأعلى بأخيه موسى، ومُسِحَ فى أبيه بالمسيح (أنا أولى الناس بابن مريم). ثم مشاهدة لا إله إلا الله يقيناً بانعكاسه ببصره فى بصيرته (أنا أبيت عند ربى يطعمنى ويسقينى)، (أنا لست أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله)، (من رآنى فقد رآنى حقاً)، (أنا الحق من ربكم).

إنها رسالة واحدة، يظهر كل رسول بعدة معانى من معانيها، تُقرأ على مكث، على امتداد حياة الإنسان على الأرض، يقرأها رسول الله ويكمل قراءتها امتداده، قراءةً حقية، معنوية، تسرى بما حملت من أنوار، لكل عصر ولكل زمان، بقدر ما يتسع هذا العصر بما فيه من إنسان، طالباً لهذه المعانى القرآنية: (وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث). هكذا تكون شهادة لا إله إلا الله حقاً وصدقاً. شهدها الرسول فى داخله، فكيف لنا أن ندعى شهادةً لها بألسنتنا؟

(ذرة من عمل القلوب خير من أمثالها من عمل الجوارح). إن القلوب الطاهرة، التى طهرها الإنسان بوعيه وإدراكه عرف يقيناً أن قلبه بيت لربه. فإذا استطاع الإنسان أن يفك أسر عقله بأنواره الربانية من جبروت نفسه وتسلطها عليه، وملأ قلبه بذكر الله، تدفق نور عقله بالاستعانة بأعلاه إلى قلبه، فأصبح أداة طيّعة فى يد ربه يفعل به الخير كل الخير، فيتبدّل حاله، ويتغير طلبه فى الله، ويتحوّل طريقه ومسلكه من مسيرته إلى دناه إلى عبد قد عبّد وجوده لأنوار الله ورحمة رسول الله (أنا رحمة مهداه) .. هدية لإخلاص وطلب عبد الله إلى الذى طهّر قلبه لمشاهدة ربه فيه .. شهادة حق وصدق، شهادة لا إله إلا الله، كما تحققت لرسول الله.

ما قاله الرسول وتحقق لوجوده هو لنا، وإلا ما صرّح به. (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى). متاح لكل إنسان، ولكونه بُعِثَ رحمة للعالمين، فالذين أسرفوا على أنفسهم لا يقنطوا من رحمة الله.

سنعرض بعض الآيات لنوضح دور رسول الله فى مساعدة الإنسان على الفهم فى الشهادتين والقيام فيهما.

(وما أرسلنا من رسول إلا ليطاع بإذن الله ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءُوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً)، (أستجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم)، (إنه لقول رسول كريم ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثّم أمين)، (وما هو على الغيب بضنين)، (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، (يا أيها الذين آمنوا أتقوا الله وآمنوا برسوله)، (إن الله وملائكته يصلون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما)، (قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى).

والطاعة هنا على ما أفهم من الآيات هى طاعة للرسول ليطهر عقولنا من ظلامها، وهذا هو معنى الأستغفار، حتى يمكن لعقولنا أن تستوعب المعانى التى تقودنا إلى الإتجاه لمعنى الحياة الحقية التى يدعونا إليها رسول الله الكريم، والتى يقوم فيها. وإنه لديه من القوة الربانية التى أكرمه الله بها، ولديه المكنة أن يمنحها للطالب الصادق، حيث أنه أمين على هذه الطاقة الربانية.

هذه المعانى الربانية وهى غيب على البشرية، ليست غيباً على رسول الله، لأنه ليس على الغيب بضنين. وإنه ومن آمنوا به وكسبوا الكثير من معانيه لديهم القدرة ومكنة مشاهدة عمل الإنسان الطالب لمعناه الحقى، ألا وهو قيام رسول الله ومن آمنوا به كحق من ربهم.

إنهم يؤمنون به لمعرفتهم ويقينهم إنه عبد الله ورسوله، وإن الله وملائكته يصلونه، أى أنهم أمدوه بطاقة النور والرحمة، وهو بدوره يمنحها بحب للمؤمنين به. إنهم أيضاً يعلمون إنه يدعوهم إلى سبيل الله وهو على بصيرة من أمره، وأمر من آمنوا به. وهذه البصيرة التى أكرمه الله بها، يرى بنور الله ما فى قلوب المؤمنين به، ويعطيهم من عطاء ربه النور الذى يرون به رحمة الله قابعة فى قلوبهم، تدعوهم إليها، لينعكسوا إليها، ليشاهدوا رحمة الله فيهم، وهى شهادة لا إله إلا الله.

وشهادة محمد رسول الله، هى قرينة شهادة لا إله إلا الله. فكيف يكرم الإنسان بشهادة محمد رسول الله؟ وهناك مفهوم آخر يوضح المفهوم الأول.

نفهم من هذه الآيات أن من جاء الرسول مستغفراً، وعنده النية الصادقة فى تغيير نفسه، بعون من الرسول واستغفاره له، تناله رحمة الرسول وأعلاه (أنا رحمة مهداة).

والآية الثانية توضح أن من جاء الرسول .. أى أنه لجأ إليه، واستجاب لما يدعوه إليه من مجاهدة ومن سلوك قويم، خاص بهذا الإنسان فقط، ولا يستقيم إنسان بما أبداه الرسول لإنسان آخر، لأن كلاً منا له ما فى باطنه من المعانى الكثير والكثير الذى لا يعلمه إلا الله ورسوله.

هنا سوف يتولاه ويرشده من رأى داخله ورأى صدقه فى تغيير ما فى نفسه إلى ما يحيى داخله. وإحياء داخله هو أن يلتقى بمعنى الحق فيه، بعد تطهير وجوده وتهيأته لذلك. ودعوة الإنسان ورجاؤه من إنسان كامل راشد، بُعِثَ برسالة، فحواها دعوة إنسان الأرض الذى يؤمن برسول الله (أتقوا الله وآمنوا برسوله يؤتكم كفلين من رحمته). أستجابة الإنسان، وتعرضه للرحمة تمنحه قوة من أعلاه .. ألا وهى قوة حقية روحية، تعين الإنسان فى طريقه إلى إحياء داخله.

وما هو على الغيب بضنين. يعطى من عطاء ربه اللامحدود (الله المعطى وأنا القاسم). إنه مرافق الإنسان الذى يسعى فى طريق إحياء باطنه، يعينه بطاقة ربانية، وينقذه من عثراته، ويدفعه للمضى قدماً بإرشاده إلى أيسر الطرق إلى تحصيل المعرفة عن كل ما يقرّبه من مصادر النور، وتجنب كل ما يبعده عن معنى الحق فيه (واعلموا أن فيكم رسول الله).

رسول الله هو المثل الأعلى للإنسان الذى يطلب معناه فى الله. والمعنى فى الله هو طلب الحق فى هيكل إنسان استجاب لمن يدعوه لمعنى الحياة. ورسالة كل نبى هى دعوة إنسان الأرض للحق والحياة الموجودة بالفطرة فيه.

كانت رسالة السيد المسيح تدعو لذلك حين قال: "لا دينونة اليوم على من دخل فى قلب يسوع". لأن يسوع المسيح هو الحياه. والحياة الحقية متمثلة فى كل رسول. وكلمة (الآن) تعنى الوقت المتواجد فيه الرسول على الأرض. والإنسان الذى يدعوه المسيح أو محمد أو أى رسول من رسل الله هو الإنسان الذى أعدّ وجوده، واستجاب لدعوة الرسول لما يحيه. فإذا قام فى الحياة بقوة حقية روحية من رسول الله، استطاع بفضل الله أن يشاهد محمداً رسول الله.

محمد الذى أنمحى (مح) فى الله بقيامه فى التوحيد، و (مد) وامتد فيمن طلب واستجاب واستعمل فطرته الإنسانية، وأحسن استعمال أدواته الباطنية من عقل منير مستنير، وقلب تطهر وتعرّض للحياة، فقام فى الحياة .. وهى التعرّض لنفحات الله من رسول الله، وأصبحت بهذا روحه طليقة، وليست سجينة فى هيكلها من الطين.

من قام فى ذلك يستطيع أن يقول حقاً وصدقاً وقياماً لا ترديد كلام: أشهد أن محمداً رسول الله. وصحتها اقتداءً بقول رسول الله (أنا رحمة مهداه). إنه الهدية لمن قبل الهدية، وقام فى رحاب الهدية، ودخل فى قلب الهدية. أصبح كياناً حياً فى إنسان الحق من الأعلى له (أنا الحق من ربكم).

أصبح ذرة حية فى الهدية .. يقول: أشهد أنى محمداً رسول الله .. ذرة حية فى رسول الله. وكل ذرة حية فيه .. تمثل الكيان الحى الذى حيت منه فيه.

رسول الله محمد مثالية مرتضاه من الأعلى لكل إنسان يطمع أن يقوم فى هذه المثالية. فيطلب من الله أن يرحمه من وجوده المظلم البعيد عن الحياة الحقة. إذا صدق فى طلبه، أرسل الله له إنساناً حياً مستنيراً ليرعاه ويقوده إلى طريق الحق والحياة فى داخله (واذكر ربك فى نفسك) حتى تلقاه فى قلبك.

هنا يكرمه بالشهادة، ثم بالقيام فيما شاهد، وما سوف يشاهد هو مثالية لكل طالب للحق والحياة. (واعلموا أن فيكم رسول الله). هو المثل الأعلى القائم فى الحق والحياة، يهديها لكل طالب صادق مستجيب محب لرسول الله (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى)، (الله محبة).

هذا هو ما وصلت إليه نتيجة تأملى فى آيات الله وفى أحاديث رسول الله عن معنى الشهادتين. ومن الملاحظ أن سعى الإنسان لمشاهدة لا إله إلا الله قرينة لسعيه لمشاهدة محمد رسول الله. لا تفرقوا بين الله ورسله. ويريدون أن يفرّقوا بين الله ورسله آية ١٥٠ سورة النساء.

الشـــهادتـــان

بحـــثت عنـــك فـــى هـــذا وذاك وأنـــت تدفـــعنى إلـــيك بذاتـــى

أشـــتقت إليـــك فعلمـــنى كيـــف الســـبيل لمشـــاهدتك بذاتـــى

أهـــدنى الســـبيل كيـــف أخـــط جـــذور هـــواك فـــى لـــب أعمـــاقى

هـــواك صـــار حبـــاً هـــدانى إليـــك فـــى قلبـــى وملـــؤ ذاتـــى

obeikan.com

فهـم فى اللــه أكـبر
الله أكـبر الله أكـبر ولله الحمـد

"الله أكبر" لها عدة مفاهيم، وفى هذا البحث نقدم المفهوم العام عند الناس، ثم ما يفهم من عبارة "الله أكبر" نتيجة تأملنا وتفكرنا فيها.

المفهوم العام عند أغلب الناس هو أن الله أكبر من أى شىء من أشياء الوجود المعاش المشهود لنا فى عالمنا المادى الأرضى. والله أكبر من أى شىء أو من أى معنى غيبى غير مشهود لنا، ولا مدرك لحواسنا أو عقولنا. الله أكبر من ما خلق من كون أو كائنات.

الله أكبر يقولها الناس عندما يُشدهون بمشاهدة شىء شذّ عن ما هو واقع فى العادة، أو يصدمهم. حدث فيه عدل من الله بيّن.

الله أكبر يرددها الناس عندما يلمسون ويشاهدون قدرة الله نافذة على الظالم والطاغية، وواهم القدرة والقوة فوق الناس. ويقولون "الله أكبر على من طغى وتكبّر".

ويستعيذ بها الناس عندما يحسدهم أحد على ما فى أيديهم فيقولون "الله أكبر" لرد هذا الحسد وإبعاده عما يملكون.

وإذا تناولنا عقيدة الناس فى معنى عبارة "الله أكبر" سنجد إن أغلب الناس يرون أن الله فوق السموات والأراضين، وهذه العبارة تذكّرهم بضآلتهم، وأن عليهم أن يسلكوا طريق الاستقامة فى معاملاتهم، ويراعوا ضمائرهم فى كل ما يسرّون ويعلنون .. خشية الله ماثلة أمامهم حين يقدمون على فعل شىء منحرف عن الجادة.

هذا الاعتقاد وهذا السلوك المبنى على هذا الاعتقاد لا بأس به، ولكنه يجعل الناس فى حال وقيام يرون الله بعيداً عن المعنى المراد بعبارة الله أكبر على ما نتذوقها وندركها، لأنهم ينظرون إلى الله على أنه قيام بعيد عنهم، رغم

علم الناس بالآية التى تؤكد أن الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد ومعه أينما كان. وكما ذكرت فى هذا البحث إن أى معنى أو شىء فى هذا الوجود له صلة بى، علىّ أن أفاد منه. فما هى الفائدة التى يمكن أن أجنيها من عبارة "الله أكبر".

الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية كما ذكرنا سابقاً، لأنه غنى عن العالمين، فهو كامل فى ذاته، مطلق، لا يعرفه ولا يصله إلا حقائقه، وحقائقه يصلون عباده الصالحين .. وعباده الصالحون هم كلماته. وكلماته المكلفون بالرسالات التى أُكرمنا بها هى لتساعد الإنسان على الوصول والالتقاء بمعناه الإنسانى الحقى فى داخله. عباد الله أى كلماته، يعينون الإنسان بطاقة نورانية تهديه إلى جوانيه ليشاهد حقيقته وهى سر الله فيه.

وكما قلنا أيضاً أن الإنسان على الأرض، يستخدم كل وسيلة متاحة للوصول إلى معناه الداخلى، وأهم تلك الوسائل هى العبادات بمناسكها المتعددة فى كل دين. وقلنا أن كل العبادات باختلاف أشكالها هى دعاء ورجاء وطلب مستمر جاد وصادق محب يُدخل الإنسان فى حال من الافتقار ثم فى قيام المسكنة "اللهم أحينى مسكينا وأمتنى مسكيناً واحشرنى فى زمرة المساكين".

وحين نتأمل فى هذا الدعاء نجده مختلفا عن كل الأدعية الأخرى مجتمعة التى تتّبع القول المعروف "إذا دعوتم فعمموا". فنحن ندعو لنا ولكل من يرجو ويدعو بدعوانا، ولكل من لا يدعو ويرجو معنانا.

أما هذا الدعاء يبدأ وينتهى بصيغة المفرد، لأن الرقى والعلو الذاتى للإنسان يقوم من يقوم فى معانيه بمفرده، لمن أختاره الله ليبعثه برسالته رحمة للعالمين. هذا المقام لصاحب الرسالة قائم فى معنى دائم .. ألا وهو القيام فى معنى حى فى الله، ثم يموت عن هذا المعنى، ويرتقى لمعنى آخر فى الله. فالموت والحياة يتقلب فيهما إنسان الله. هذا المختار المصطفى الحى الميت بصورة دائمة، نراه فى استغفار دائم مما هو فيه من أنوار

أعلاه، فيموت عنه، ويكرم بمعنى أعلى وأرقى مما هو فيه. فهو بهذا مسكين إلى الله يموت ويحيا فى اليوم سبعين مرة.

نفهم من ذلك ونستخلص المعنى المراد حين ينطق الإنسان بعبارة "الله أكبر" وكل العبادات الأخرى كما قلنا، هى طلب ورجاء حين ندعوا لكمال نقوم فيه بدعائنا ورجائنا. فعبارة "الله أكبر" هى دعاء ورجاء من الإنسان إلى أعلاه أن يكون أكبر مما هو فيه من حال وقيام. بمعنى أنه يُكبر وجوده الإنسانى عن أى شىء أو معنى يعطله أو يصده عن الكسب والمضى إلى طريق إنسانيته، أو حين يصعد ويرتقى فى طريق إنسانيته.

وفهمنا فى عبارة "الله أكبر" تصاغ بتوجه الرجاء والدعاء إلى الله بعد أن نكون قد اهتدينا إلى طريق الله .. إلى داخلنا هكذا: يا أعلى، يا رب أجعلنى أكبر مما أنا عليه الآن، حتى أتسع لمعانى إنسانية أستوعبها بقيامى فيها. يا رب أكبرنى عن الانزلاق لمعانى تسفلى، بحيث لا أستجيب لشيطانى، واجعلنى لا أنغمس فيما تدعو إليه نفسى من نزوات وشهوات تأخذنى مما أنا فيه من نور الله، وذكر الله، والمضى فى طريق الله. يا رب أكبرنى، وباعد بينى وبين أبليسى..وما أبليسى إلا تمسكى بأنانى، وانشغالى عن أعلاى. أجعلنى أعلو وأكبر عن كل ما يشدنى إلى ما تحت حزامى، وانحرافى وانشغالى عن هدفى وطريقى، ويباعد بينى وبين طريقى الحقى.

كما رأينا من هذا التحليل أن عبارة "الله أكبر" هى دعاء ورجاء صادر من الإنسان، يحدّث به معناه الداخلى، ويسأل أعلاه أن يعينه على الوصول إلى لقاء معناه الإنسانى فيه .. فى قلبه .. فى بيت ربه فيه.

فهل المطلق أو الحقيقة الكبرى أو كلمات الله التامات فى حاجة إلى أن يكبرهم أحد؟ الكبير والصغير وكل الصفات والإسماء التى ذُكِرت فى كل الأديان، موجهة للإنسان، يعينه رائد الديانة ليقوم فى مستوى أو درجة من هذا الإسم أو هذه الصفة، ويتحلى بهما ليقترب بهما من معنى النور والحياة من مصدرها .. ومصدرها هو رائد الديانة وامتداده.

الإنسان هو الذى فى أمس الحاجة إلى أن يكبر بالعلم عن نفسه، وعن وجوده، وأن يعمل بما يرى أنه الحق، وأن يرجو ويدعو ويطلب، وأن يصبر صبراً جميلاً، وذلك حتى يُرحم من قيام لا يرضى عنه طال قيامه فيه، إلى قيام رآه وارتضاه لقيامه ولوجوده ويسأل الله بعون معلمه، مثالاً وقياماً بحبه وطاقته الروحية والحقية، أن يقيمه فيه، بقانون (المؤمن مرآة المؤمن)، (وما أعطيته فلأمتى)، و(أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى).

ومعنى أن يكبر الإنسان فى الله، هو أن يتسع الإنسان لاستيعاب معانى فى الله أكثر، من معين النور وروح الله والحق فى لانهائيته. الكسب فى هذه المعانى يكرم الإنسان ويتأهل لأن يكون أداة خير وسلام ورحمة له ولإخوانه المرافقين له فى طريقه إلى رقيه وعلاه، وللبشرية جمعاء.

هذه المفاهيم فى معنى "الله أكبر" يطلبها الإنسان من مصدر يعرفه .. مصدر إنسانى يراه ويسمعه، يجتمع بدائرته، يرشده ويعينه بكل طاقة تساعده فى الطريق إلى "الله أكبر". وإن كان متقدما روحياً، فيكون اتصاله بمعلم غيبى، يصله ملهماً، ويصله موحياً، إلى أن يتسع ويتسع إلى أن يصبح فى حال وقيام أكبر، يصبح فى معنى (ما أعطيته فلأمتى) يصبح فى مقام ومستوى من مستويات معلمه. فيقوم فى مقام الخدمة للناس أجمعين، أداة خير وسلام ورحمة. وفى نفس الوقت لا يتوقف سيره فى معانى "الله أكبر"، فيحمد الله على ما هو فيه ويطلب المزيد فى "الله أكبر".

نسأل الله أن يعيننا إلى القيام فى "الله أكبر" دائماً وأبداً، فى الدنيا والآخرة. ونحمد الله على ما نرى فضل الله علينا، ونسأله المزيد من فضله فينا.

فحمداً لله وشكراً لله وصلاة وسلاماً عليك يا رسول الله. والله أكبر دائماً وأبداً.

اللـــــه أكـــــبر

اللـــــه أكـــــبر، وأكـــــبر فيـــــك يـــا مـــن هـــو أكـــــبر

تجـــــلى لـــــى أكـــــبر لرفـــــعة فيـــــه أكـــــبر

وكـــــلما بـــــه كـــــبرت أراه يتســـــــع ويكـــــــبر

لا كبـــير ولا صـــغير فيـــك يـــا مـــن هـــو حقـــى الأكـــبر

obeikan.com

obeikan.com

الوضـــــوء

تعريـــفه وشـــروطه وســـننه

ومنـــدوبات الوضـــوء

نواقـــض الوضـــوء

وضـــوء المعـــذور

ما يرمـــز إلـــيه الوضـــوء

معـــنى الوضـــوء

obeikan.com

obeikan.com

مقـــدمة

أجتهد الأربعة وهم من اعتبروا أنفسهم أئِمة ووضع كل منهم مذهباً سُمى بإسمه، وكان هذا هو فقه المسلمين إلى يومنا هذا. لم يراجع أو ينقد أو يعيد أحد صياغة هذا الفقه، ولم يجرؤ أحد أن يعترض على أى من نصوصه، بل المسلمون أكتفوا بأن انتمى كلٌ منهم لفقه أحد هؤلاء الأربعة دون أدنى تفكر فيه.

أحتوى هذا الفقه كل مناحى حياة الناس من زواج وطلاق وصلاة وزكاة ووضوء واغتسال وطهارة إلى آخره .. هذا على مذهب أبو حنيفة، وهذا على مذهب أنس أبن مالك، وهذا على مذهب الشافعى، وهذا على مذهب أبن حنبل. ومن يخرج على هؤلاء الأربعة، أو إنتقد، أو لم ينفذ بدقة بالصورة والشكل والحركات والأفعال والنية ما فسروه وشرحوه وفصّلوه وقتلوه بحثاً وتدقيقاً، فهو خارج عن شريعة المسلمين، ومخالف، ومرتد عن دين الإسلام، فهو كافر.

ويدور حوار الناس وتساؤلاتهم، واستفساراتهم حول هذه الأمور الفقهية .. كيف يصلى بصورة صحيحة، وكيف يتوضأ، وكيف يخرج الزكاة، وكيف يصوم، وكيف يحج. وإلى القارىء عرض بعض من فقه الأربعة لنقف على مدى ما وصلوا إليه من وضع قواعد عامة على المسلم أن يتبعها حين يقدم على أداء أى منسك.

تعــريف الوضــوء

الوضوء طهارة مائية تتعلق بأعضاء بعينها. بعضها يغسل، وبعضها يمسح. وهى أربعة: الوجه، واليدان، والرأس،والرجلان. وكلها تغسل إلا الرأس، فإنه يمسح لستره غالباً فيشق غسله. ويستطرد فى آخر التعريف بقوله: فمن جحده بعد ذلك، فهو مرتد عن الإسلام.

لم يذكر أحد من الأربعة شيئاً عن حكمة الوضوء، ولم يعرّفه أحد منهم كمعنى إنسانى مرتبط بمن يقدم على وصلة بأعلى حين يقوم فى صلاة منسكية. ومدخله هو الوضوء، ولم يعرّف الوضوء كمعنى، بل اكتفى الأربعة برسم الشكل والصورة، والأداء الظاهرى للوضوء بالجوارح.

وحين صاغوا هذا التعريف لم يروا إلا شكل الوضوء، وكيفية أدائه، وأحوال الناس فى ذلك العصر الذى كتبوا فيه هذه المناسك. لم يضعوا تصوراً أو توقعاً بأن هناك بعض الشعوب لا تضع أى غطاء لرؤوسهم، ولا يلبسون جلباباً، ولا يتخذوا لحية لهيبتهم. التركيز كان على الشكل والصورة لمن تواجدوا فى عصرهم.

تجاهلوا الأنماط الأخرى لحياة الناس فى بقاع الأرض وما لهم من عادات وتقاليد. الكل يجب أن يصبغ بطابع من كانوا يعيشون فى الجزيرة العربية.

شـــروط الوضـــوء

سوف أذكر جزءا من شروط صحة الوضوء عند الحنفية: الشروط هى القدرة على الوضوء – بأن يجد الماء الكافى لوضوئه، ويقدر على استعماله – فلا يجب الوضوء على فاقد الماء – ولو حكماً – كأن يحتاجه لشرب ونحوه، ولا على من لم يقدر على استعماله: كمريض يضره استعماله، ومكره على تركه.

وأما شروط صحته فقط، فهى: عدم الحائل المانع من وصول الماء إلى البشرة – كشمع ودهن وعجين ونحوه – ومنه عماص العين، والأوساخ المتجمدة على العضو – وعدم المنافى للوضوء، فلا يصح حال حصول ما يبطله من النواقض ويستثنى من ذلك حدث صاحب العذر كالمستحاضة، وصاحب السلس.... ألخ.

هذا الذى ذكرته جزء يسير جداً مما ذُكِرَ فى شروط الوضوء.

obeikan.com

فرائـــض الوضـــوء

أركانه: أولها غسل جميع الوجه بالماء الطهور مرة واحدة. أما تكرار الغسل بعد المرة الأولى فليس بفرض، وسيأتى حكمه.

وحَدْ الوجه طولاً، لمن لا لحية له، من منابت شعر الرأس المعتاد إلى منهى الذقن من الوجه فيفترض غسله (الذّقَن – بفتح القاف – هو مجمع اللحيين، وهما عظم الحنك الأسفل)، وإلى منتهى اللحية لمن له لحية وإن طالت.

ويقول المالكية والحنابلة فى الفرائض: يجب مسح جميع الرأس من منابت شعره المعتاد إلى نقرة القفا، ويدخل فيه شعر الصدغين والبياض الذى خلفه فوق وتدى الأذنين، وكذا البياض الذى فوق الأذنين. والشعر المسترخى من الرأس يجب مسحه عند المالكية وإن طال كثيراً.

أما الحنابلة فقالوا: يجب مسح ما حاذى الرأس من الطويل دون ما زاد عنه. وأوجب المالكية نقض الشعر المضفود إن ضفر بثلاثة خيوط وإن لم يشتد ضفره ... فإن ضفر بأقل من ثلاثة، وجب أن اشتد، وإلا فلا. وإن ضفر بلا خيوط، لم ينقض، وإن اشتد كما يأتى فى الغسل.

الشافعية قالوا المفروض مسح بعض الرأس ولو قل، وإذا رش الماء على بعض الرأس من غير إمرار اليد أجزاه. ومن طال شعر رأسه لم يكف فيه مسح الزائد عن حد الرأس ولو كان معقوصاً فوق الرأس.

أيها القارىء العزيز: هل فهمت شيئاً مما قيل فى فرائض الوضوء. أنا لم أفهم شيئاً مما قيل، ربما لضعفى وقلة معرفتى باللغة العربية. إنها لغة أناس تواجدوا على الأرض منذ أكثر من ألف عام. وهذا هو فهمهم فى فرائض الوضوء.

وفى شروط النِّيَّة: وشرطها الإسلام، والتمييز، والحزم. فلا تصح من كافر ولا مجنون أو صبى غير مميز، ولا من متردد فيها ... كأن يقول فى نفسه نويت الوضوء إن كنت قد أحدثت.

وعند المالكية: النية وهى قصد الفعل ومحلها القلب، وتكون فى ابتداء الوضوء ... فإن تقدم غسل بعض الأعضاء، لم يصح تطهيره، ووجب إعادته بعدها.

والحنابلة: جعلوا نية الوضوء شرطاً. ويغتفر تقدم النية على الفعل بزمن يسير عرفاً لوجودها حكماً.

والشافعية: قالوا لا بد من مقارنتها لأول جزء من العمل، كالوجه فى الوضوء. ولا يغتفر تقدمها ولو كان يسيراً.

وكلام كثير جداً .. صفحات وصفحات فى شروط الوضوء ونية الوضوء وشروط النية، التركيز فيها على شكل وصورة الوضوء.

obeikan.com

ســـنن الوضـــوء

أما سنن الوضوء فمنها غسل اليدين إلى الرسغين .. يغسلهما ثلاثاً بالماء الطهور. وإليكم بعض ما جاء بها.

الحنفية: وفى كيفية الغسل تفصيل ... ذلك لأن الإناء الذى يريد أن يتوضأ منه إما أن يكون صغيراً يمكن رفعه والصب منه، وإما لا ... فإن كان صغيراً، رفعه وصب منه على اليمين، لأن التيمن مستحب. وغسلها ثلاثاً مع ذلك بعض أصابعها ببعض.

والشافعية: ... سنة غسل اليدين بغسلهما ثلاثاً خارج الإناء. وكذا يغسلهما فى الماء القليل إذا تيقن طهارتهما. وكلام كثير جداً فى كيفية غسل اليدين، فضلت ألا أطيل عليكم. ما ذكرته هو جزء يسير جداً، لأبيّن كيف تناول فقهاء المسلمين كيفية أداء منسك الوضوء.

هل يصلح هذا الكلام الآن بعد مرور أكثر من ألف سنة. ألم يطرأ بعقل التابعين المخلصين لهؤلاء الأربعة أن الوضوء الآن من صنبور (حنفية) بها ماء نقى وطاهر، فيبادروا بتعديل بعض من هذا الفقه، ليتناسب مع عقول وحياة الناس فى وقتنا وزماننا الحالى.

أختلفوا الأربعة فى المضمضة، وكذا الأستنشاق لدخولهما فى حد الوجه. عرّفوا المضمضة بأنها تحريك الماء فى الفم.

المالكية: عرّفوا المضمضة بأنها إدخال الماء فى الفم وطرحه. فلو دخل بدون قصد، أو أدخله ولم يحركه، أو أدخله وحركه ولم يطرحه بأن ابتلعه فلا تحصل السنة.

والأستنشاق عند الحنفية هو جذب الماء بنفسه إلى داخل أنفه.

أما الشافعية: قالوا أن الاستنشاق هو جعل الماء فى الأنف وإن لم يصل إلى أقصاه. ولا يشترط جذب الماء بالنفس. وتُسن المبالغة فى المضمضة والأستنشاق لغير الصائم، وتُكره له لئلا يفسد صومه.

والحنابلة: الأفضل أن تكون المضمضة والأستنشاق بغرفة واحدة، بحيث يتمضمض ثلاثاً ويستنشق ثلاثاً ويستنشق ثلاثاً بتلك الغرفة. جامعاً بينهما فى كل مرة. وقيل الكثير فى مسح الأذنين والرأس. ولبس الخاتم وخلعه أثناء الوضوء ليصل الماء إلى تحته. والخاتم يجب أن يكون من فضة. والمرأة لا يجب تحريك الأساور والخلاخل سواء كانت ضيقة أو واسعة. والمكروه والمحرم أن يكون خاتم الرجل من ذهب. ومكروه النحاس والرصاص أو الحديد. وألا يزيد عن درهمين.

عند إقدام أى سيدة على الوضوء فهى تكون حتماً فى ستر عن أى أحد. فما حكمة أن يذكر فى سنن الوضوء تحريك الأساور والخلاخل من عدمه. ولماذا هو مكروه ومحرم لبس خاتم الرجل من ذهب. لم يذكر أى تبرير لهذا التحريم أو لكونه مكروه. هل كان لديهم دراسة للمعادن، وعرفوا من دراستهم يقيناً طبيعة كل معدن حتى يحرّموا هذا ويسمحوا بذاك. وما المقصد من التحريم، هل هناك ضرر يصيب الإنسان من لبس هذا، وحلال ونافع لبس ذاك.

والأستياك قبل الوضوء بنحو عود، ويكفى الأصبع إن لم يوجد غيره. ويكون قبل الوضوء. ويندب الأستياك باليمنى، وأن يبدأ بالجانب الأيمن عرضاً فى الأسنان وطولاً فى اللسان، ولا ينبغى أن يزيد على شبر ولا يقبض عليه.

والآن يا سادة المسواك لزوم الإستياك قد حل محله معجون الأسنان والفرشاه، وهذا هو أسلوب نظافة الفم وتطهيره، وهذه طريقة صحية ومعترف بها من جانب الأطباء والصيادلة. هذا مثال على أختلاف أسلوب الحياة من عصر لعصر آخر.

مكـروهـات الوضـوء

منـها الإسراف فى صب المـاء بأن يزيد على الكفاية، مسح الرقبة بالمـاء، لأنـه غلو فى الدين وتشديد، ومبالغة الصائم فى المضمضة والأستنشاق مخافة أن يفسد صومه. ومنـها أن يتوضأ فى موضع متنجس، ومنـها الكـلام حـال الوضوء بغير ذكر الله، إلا لحاجة.

نواقـض الوضـوء: نواقض الوضوء كثيرة جداً، وأى مصلـى، أو مقدم على الصـلاة، يبدأ بالوضوء يحسـها ويعرف ما يمكن أن ينقض وضوءه، دون توصيف وتحديد واختلاف فى الرأى بين المذاهب. ومن جانبى لا يمكن ذكر نواقض الوضوء التى ذُكرت فى فقه الأربعة. ما ذكروه مقزز، ولا يليق ذكره.

وقالوا أيضاً فى وضوءِ المعذور كلاماً كثيراً مثلـه. وكلـها أمور تُعرف بالبداهة لكل فرد عنده عذر معين يعرفـه، وهو الوحيد الذى يرى كيف يتعامل مع هذا العذر حين يقدم على الوضوء. فإذا قالوا لا حياء فى الدين، أقول لهم: إن إحراج الإنسان وذكر عيوبه أشد قسوة عليه لأن طريقته الخاصة بـه عند تعامله مع عذره هى الملائمة لـه، يكفيه ما يعانـيه من عذره، وارحموه من إحراجه بذكر عذره.

مـا ذُكِرَ فى الفقه هو مقتطفات يسيرة جداً، ونود أن نطرح تعليق بسيط على فقه الأربعة، ثم ندلـى برأينا فى معنى الوضوء وارتباطه بالصلاة.

فقه هؤلاء الأربعة ظل سارياً عبر القرون دون أدنى تغيير، وكل من ينتمى لدين الإسلام عليه أن يأخذ بـه ويلتزم بكل ما جاء بـه، رغم تغير الظروف المعيشية للناس، وظهور معارف وعلوم كثيرة، والكل يعرف "كل يوم هو فى شأن"، والناس كل يوم هم فى تطور وتغير لا ينقطع. وكيف لعقول الناس أن تقبل تعقد الأمور حين تُقبل على الوضوء، أو أى منسك من مناسك ديننا الحنيف. وكما قلنا حين عرضنا فهمنا فى الشهادتين، أن كل هذه

المناسك قُدِّمت للإنسان ليتفكر فيها، ليخرج منها ما ينفع وجوده روحياً وحقياً. والتمسك بالشكل بهذه الصورة المفرطة يفقد المنسك روحه ومعناه.

حين نتأمل فى منسك الوضوء وما يرمز إليه من معانى، نجد أنه أستهلال ومقدم للصلاة. فالصلاة لا يمكن الإستفادة من إقامتها إلا إذا بدأت بالوضوء.

مادة الوضوء هى الماء، ولم ندخل فى تفاصيل الماء إن كان طاهراً أو طهوراً، وقد أفاض الأربعة فى وصفه وصلاحيته للوضوء من عدمه. وهذا الجهد المضنى لتوصيف الماء وصلاحيته للوضوء قد عفى عليه الزمن. ولكنا نتناوله من وجهة نظرنا التى تركز على مدى المنفعة التى تعود على المصلى من الوضوء، ولماذا قدّمه لنا رسول الله محمد. ليس كأمر، ولا يوجد فى الإسلام أو فى أى دين آخر يُقَدِّم منسكا كأمر، ولكن أداة خير ورحمة ومنفعة للمتعبد.

الماء هو مادة الحياة لكل كائن على الأرض. وبالنسبة للإنسان نعرف أن كل مكونات جسده معظمها ماء. والصلاة تبدأ بالوضوء ووسيلته وأداؤه بالماء.

رغبة الإنسان حين يقدم على زيادة الصلة بأعلاه .. رغبته مقرونة بنيته. ونيته هو أن يتطهر. يتطهر من كل ما علق به من أفعال وأفكار نفسه بعيداً عن وصلته ورباطه بأعلاه.

أفعال وأفكار نفس الإنسان يأتيها بجوارحه. وحركة جوارحه يقوم بها بناءً على فكر عقله المساق بأوامر ورغبات نفسه. فالوضوء هنا هو رمز لطهارة الجوارح التى قامت بالأفعال المتنوعة. هنا يعتق عقل الإنسان من أسر نفسه، ويتذكر علاقته بالمعنى الروحى فيه، فتتحول رغبته النفسية إلى اتجاه لبيت الله فيه .. إلى قلبه .. رغبة فيها حنو وشوق إلى الوصلة الروحية بأعلاه فيه.

هنا يبادر الإنسان إلى تطهير جوارحه بتحول فكره، وهمة قلبه بالوضوء. يطهر يديه بالماء (رمز الحياة)، (وجعلنا من الماء كل شيء حى)، حى مادياً وروحياً. ويطهر وجهته من انشغاله مادياً إلى التوجه إلى معناه الإنسانى فيه بغسل وجهه. ويطهر دعامة يديه وهو مرفقيه. ويمسح ويزيل كل ما علق بعقله من فكر لم يربطه بأعلاه، بإفراغ عقله مما سوى أعلاه، وذلك بمسح رأسه. ويطهر أذنيه مما أساء فهمه من كلام الناس، وقراءة كتب، ورؤى مختلفة فى الطبيعة، ومن الأجهزة الألكترونية دون أن يتأمل فيها، ويعتبره رسالة من أعلاه (الله ناطق على كل لسان).

لم يستنطق ما يسمعه، وما يراه، بقراءة تلك الرسائل من أعلاه. ويرمز لهذا المعنى بغسل الأذنين وتطهيرها. ثم أخيراً يغسل قدميه، أى يطهرهما مما سعيتا إليه وهما تحت تأثير عقل أسير نفس، ولم تحوّل المسعى إلى ذكر وفكر فى الأعلى لاستقبال ما وعِدَ الإنسان به.

هنا يستعد الإنسان ويفرغ قلباً وعقلاً للصلة (الصلاة) بأعلاه إذا وعى وأدرك تلك الأفكار المعنوية الإنسانية التى ذكرناها.

هذا تأمل فى معنى الوضوء. تأمل خاص، ليس باتاً، ولا أدعى أنه الحقيقة أو أنه الصواب أو الفكر الوحيد فى معنى الوضوء. إنه محاولة فهم ما وراء منسك الوضوء من معنى. إنه فهم من فهوم كثيرة، لأن قيام الناس فى الله، ومقامهم فى الله، ومدى قوة وضعف صلتهم بالله، وفكرهم وعقيدتهم وارتباطهم برسول الله، كوسيلة وعون، يشكِّل فكرهم وعقيدتهم، ومدى صدقهم فى السير فى طريق الله، فلا يليق أن نصبغ الناس بفكر واحد فى دينهم، ونحد أو نمنع انطلاق الناس بنور عقولهم فى معانى مناسكهم وما ترمز إليه من معانى روحية وحقية.

هنا يبرز للمتأمل مدى وعمق وصدق الإنسان فى مفهوم الوضوء كطهارة ليس فقط لجوارحه، بل أيضاً لقلبه وعقله لاستقبال فيوضات النور والرحمة أثناء صلاته.

فإذا أراح الإنسان عقله، وارتضى لقلبه موات إحساسه، وتغافل عن قيمته كإنسان مكرم من الله بالنور والحياة .. فتكون النتيجة الحتمية أنه قَبِلَ أن يكون تابعاً .. منقاداً يقلد ويبغاء يردد.

obeikan.com

الـوضـــوء

تطهـــير جـــوارح الإنســـان لصـــلة بالرحـــيم المســـتعان

رمـــزه طـــهارة بمـــاء تخـــلّى وتزكـــية للإنســـان

نيـــة الإنســـان صـــفاءً لاســـتقبال أنـــوار الرحـــمان

هكـــذا وضـــوء الإنســـان تطهـــير لإيقـــاظ الوجـــدان

obeikan.com

معــنى الصــلاة

فــهم فى معــنى الصــلاة

الصــلاة المنســكية

و

الصــلاة الإنســانية
الحقــية

obeikan.com

obeikan.com

الصـــــلاة

تكلم الأئمة الأربعة عن الصلاة الكثير والكثير عن كيف تؤدى منسك الصلاة، وإشفاقاً عليكم وأنا قبلكم ألا ندخل فى هذه التفاصيل. لقد فشلت فى تتبع كل ما قيل، وفضّلت الدخول فى معنى الصلاة مباشرة كما أتذوقها. إن ما قيل فيها لا يختلف عن ما قيل فى الوضوء من حيث شكل الصلاة، وكيف تؤديها بجوارحك.

الصلاة صلة بين العبد وربه. الصلاة وكل العبادات التى تؤدَى كمناسك فى كل الديانات هى دعاء .. دعاء ورجاء أن يزيد الله من صلتى به، وأن أكون أكثر قرباً منه، لأنها تعتبر نوعا من الذكر. إنها مقرونة بالذكر الدائم .. ذكر هو طلب بزيادة صلة. ذكر تطلب فيه وجه الله. وهذه الصلة تطلبها وترجوها (بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين).

تكرر الصلاة خمس مرات فى اليوم، تبدأ بالفجر .. والفجر يرمز إلى تفجر النور من بعد ظلمة، وهذا النور هو ما طلبته فى صلاة العشاء. بداية النور .. بداية المعرفة بالمجال الربانى الذى تستطيع أن تطلب منه إقامة صلة تمهيداً لمجال تدخل فيه يقرّبك أكثر لمعرفة حقيقة وجودك، وسبب قيامك على هذه الأرض.

وتُعرف أوقات الصلاة، والدعوة إليها، والدعوة لها، بالله أكبر. يؤكد لك الآذان أن طلب الصلة به أكبر من أى شكل ومن أى صورة ومن أى تخيّل أو تصور أو أى شىء من أشياء الوجود المادى الذى تراه أو تحسه أو تفكر فيه. ويؤكد لك هذا المعنى بأربع تكبيرات.

يذهب الآذان بعد ذلك إلى أن يُذكِّرك بأن هذه الصلة التى سوف تقدم عليها وتطلبها أثناء صلاتك هى شهادة حقية، تشهدها فى وجودك .. فى باطنك .. فى قلبك. شهادة لا إله إلا الله وشهادة أن محمداً رسول الله، وقد أفضنا فى شرحهما فى باب الشهادتين.

بعد أن عرفت أن الله أكبر، وشهادته تتحقق لك إذا حاولت وأكرمك الله بالولوج إلى داخلك، إنعكاساً إلى قلبك، كما تحققت الشهادتان لرسول الله الكريم. وصرح بهما لكل منعكس إلى داخله، مُجِد فى طلب الشهادة، حيث أنها موجودة بالفطرة فى كل إنسان تواجد على الأرض.

الصلاة هى رجاء ودعاء وطلب من الله أن يحقق للإنسان ما تحقق لرسول الله محمد. ورسول الله محمد يعطى ما وهبه الله وأكرمه به إلى أمته (ما أعطيته فلأمتى).

الصلاة دعاء وذكر كما أسلفنا. والإنسان يذكر ربه فى الصلاة بجوارحه أثناء ذكره بقلبه، ويتأمل بعقله أثناء صلاته. والصلاة بالجوارح كذكر لله، هى وقوف الإنسان منتصباً يرسم بجسده حرف الألف (ا)، ثم يركع ذاكراً ربه العظيم بالإنحناء راسماً حرف اللام (ل)، واللام الثانية يرسمها فى حركة الاعتدال من الركوع. والهاء (ه) يرسمها الإنسان فى سجوده وتمثل الحرف الأخير من لفظ الجلالة .. الله.

حركات الصلاة ورسمها بالجوارح هى رسم وذكر لإسم الله. وذكرها بالجوارح أثناء الصلاة هى لتُذكّر الإنسان أن (ما ظهر الله فى شىء مثل ظهوره فى الإنسان)، وظهوره بالإنسان. (أردت أن أعرف فخلقت الخلق فبى عرفونى). وتذوقى فى البسملة أنها تؤكد هذا المعنى: بسم الله الرحمن الرحيم .. بى أسم الله الرحمن بإحاطته، والرحيم بوجودى الباطنى القلبى.

وحين تسجد يكون رأسك الذى يحمل عقلك فى مستوى أدنى من مستوى القلب فى الصدر. بهذا الوضع يكون العقل ساجداً للرب فى القلب (القلب بيت الرب)، بهذا يدرك العقل أن الحياة الحقة وطلبها متواجدة فى القلب. الحياة هى حياة روحية حقية، هى سر الله فى باطن الإنسان، ونُعبر عنه بقلب الإنسان.

لا نقصد بالقلب تلك المضخة التى تضخ الدم، بل هو مستودع الأمانة التى أودعها الله فى قلب كل إنسان، عليه أن يتجه إليها ويطلب، داعياً راجياً فى الركوع والسجود طالباً صلة بها. هى الحياة الحقية الموجودة فى قلب كل إنسان، هى سر الله فيه. إنها لا تُطلب ولا تذكر أثناء حياة الإنسان .. ظلوماً جهولاً. يذكرها أهل الميت بقولهم: (سر الإله طلع).

أما من وصِلَ واتصل وأُكرِمَ بلقاء هذا السر فيه (سر الله) تحوّل من حياة مظلمة عمياء جاهلة غافلة عن معناها وسر الله فيها، فرضت عليه من خضوعه لسلطان نفسه، إلى حياة نورانية روحية حقية .. حياة أبدية، حياة قدسية ربانية، صدق فى السعى إليها، وطلب اللقاء بها فى قلبه، فأكرمه الله بها.

الصلاة وتكرارها خمس مرات فى اليوم هى تأكيد وتصميم من الإنسان على طلب الصلة واللقاء بالمعنى الإنسانى فيه، ألا وهو "سر الله فيه"، وهى الأمانة التى أودعها الله فى الإنسان. مطلوب من الإنسان أن يردها للمودع لها فيه. فمن وصل لها، والتقى بها، وملكها، يردها إلى صاحبها، فإذا ملكها الإنسان وردها إلى صاحبها، فهذا هو معنى التسليم. من وفقه الله وملك، هو الذى يستطيع أن يسلِّم ما ملك إلى الملك القدوس السلام. إنه الأعلى الذى يرد لك ما سلمته أياه .. الأمانة يردها إليك بعد أن نفخ فيها من روحه. يردها إلى الأمين، الذى أأتمنه على سره، أأتمنه على وديعته، فجاهد الإنسان نفسه، وركّز بنور عقله، واتجه مخلصاً خالصاً لسر الله فيه.

هذا الأمين الذى رُدت إليه الأمانة بعد أن نفخ الأعلى فيها من روحه أصبح مؤمناً. المؤمن كلمة من فعل آمن (آ) ترمز إلى الواحد والتوحيد. وكل من وصل وأكرم بمعنى التوحيد، يكون محلاً لأن (يمن) الله عليه بما لا نعرفه، فيصبح آمن فهو مؤمناً بعد أن كان مسلماً.

فهل أنا مسلم؟ ماذا ملكت حتى أسلمه لأعلاى. هل ملكت نور عقلى وأعمل لزيادته وتطويره، أم ما زال يخضع لظلام نفسى. هل حيا قلبى بنور عقلى ونفحات ربى حتى أكون مؤمناً.

أسأل الله لى ولمن يقرأ هذا البحث أن يمن الله عليه بهذه المعانى المفاضة على كل مسلم ومؤمن حقاً وصدقاً.

"إن الله وملائكته يصلّون على النبى يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليماً". الطاقة الإلهية من الله، والطاقة النورانية متمثلة فى الملائكة، كلاهما يصلون النبى. فأصبح ذا قوة عند ذى العرش مكين بهذه الطاقة التى سرت فيه نتيجة هذه الصلة. هذا العطاء اللانهائى مخير فيه، لأنه كُشف عنه كل الحجب، فهو يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه .. ما عرفنى غير ربى. إنه رفيقى الأعلى، لأنه كسب وقام فى درجات من أسماء الله وصفاته .. هذا عطاؤنا فأمنن أو أمسك بغير حساب. فهو يرى ما فى القلوب، فيعطى على قدر ما يتسع له الإنسان من العطاء الوفير المخير فيه من الله. أعلمنى الله فى موقفى هذا ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. من يطع الرسول فقد أطاع الله. لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم. وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون.

(أنا رحمة مهداه). الطريق إلى سر الله فى الإنسان حتى يستطيع أن يسير به إلى معنى الإنسان الذى فى طريقه إلى الحياة الحقية .. ملك يمين رسول الله، لأنه هو الرحمة المهداة، لأى إنسان قَبِلَ الهدية، والكلمة تحمل معنى الهداية. رسول الله هو الدليل الهادى إلى هذا السر فى الإنسان الطالب الصادق بصلاته الدائمة. فعلى الإنسان أن تكون محاولة صلاته بالرسول، وأن يسلم تسليماً حتى يقوم فى صلة دائمة برسول الله. فعليه بالصلاة والسلام على النبى الأمى .. أمة محمد، حتى يُقبل أن يكون منتسباً لأمة محمد، وهذا هو المقصود بالأمى. وعلى آله (من آلوا إليه)

ومن صحوا به إلى معناهم الحقى .. صحبه، ويسلم تسليماً. إذا قام الإنسان فى ذلك صادقاً يناله الرحمة (أنا رحمة مهداة).

فالصلاة كأمر خوفاً من عذاب، أو طمعاً فى جنة تُدَنّى من قيمة الإنسان الذى لا يدرك معنى الصلاة، ولا لماذا يصلى؟ وما هى الصلاة الحقة التى ترقى من معناه كإنسان، وتصله برسول الله الكريم؟ فإذا كان الإنسان يؤدى الصلاة كأمر، فهو منحدر إلى معنى: ما من مصلى ولم يأخذ من صلاته إلا القيام والقعود. ما من مصلى والصلاة تلعنه. ما من مصلى ولم يزدد من الله إلا بعداً. قام فى الشكل وفقد المعنى.

الله لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، غنى عن العالمين، ويقول لنا: أتقوا الله (بضمائركم)، وآمنوا برسوله فى سلوككم فى طريق الله. ونحن لم نرى من الله (الغيب) إلا رسوله ولم نعرف شيئاً عن الله إلا من خلال رسوله. فالرسول هو يد الله الممدودة لنا بالرحمة. وقدم سعى الله إلينا. وهو وجه الله الظاهر لنا من غيبه، هو المثالية المرتضاه للبشرية أن تكسبها بالطلب الصادق، والرجاء الدائم .. (ما أعطيته فلأمتى).

رسول الله هو مقام فى الله وصل إليه المجاهد الدائم القائم فى ذكر الله، وعبّد وجوده لله، فأصبح رسول الله محمد. وكما ذُكر فى هذا البحث أن أى إنسان يمكنه بتوفيق الله، وعون أى سيد من السادة المتحققين أن يعيننا لنصل إلى هذا المقام. والقريب من الحق فى هذا المجال هو أن نكون ذرة حية فى كيان رسول الله الحقى. سيدنا عيسى هو رسول الله، وكذلك من تحققوا ووصلوا إلى المقام المحمدى مثل السيد الإمام أبو الحسن الشاذلى، والسيد الصوفى الكبير محيى الدين ابن عربى. وفى التاريخ الإسلامى والمسيحى والبوذى والهندوسى نجد رجالاً متحققين وصلوا إلى المقام المحمدى.

والمقام المحمدى هو أن يُمحى الإنسان فى أعلى له، ويكلّف برسالة، يمتد بها فى من صلح من أتباعه المخلصين، والحريصون على كسب معناهم فى الله.

وكل معلم أو رسول أو نبى هو محمد أو فى طريقه لكسب المقام المحمدى، والقيام فيه. ومنهم من لم يكلّف برسالة. أما المكلفين برسالة فهم من يرافقون الإنسان فى رحلته الداخلية إلى معناه فى الله.

فعندما أذكر السيد الإمام المولى المعلم محمد لا أقصد بها من كان صاحب الرسالة الإسلامية التى ظهر بها الرسول محمد منذ أربعة عشر قرناً، ولكن أقصد المقام المحمدى القائم الدائم كحقيقة من حقائق الوجود الروحى الحقى فى كل وقت وحين، الذى يأخذ بيد كل صادق مجد فى طريق الله.

محمد أسم يمثل معنى القيام فى الله، صاحب رسالة، قام فيها، ويقدمها للناس بكل حب. له مكنة الحماية والرعاية، وتقديم العلم الذى يعرّف الإنسان عن ما فيه، وكيف يقوم فيما عرف. ينقل للإنسان المتابع كل ما كسب، وكل ما قام فيه فى الله بحب ورحمة.

فالصلاة هى شعور جارف قوى باطنى، يدفع الإنسان إلى طلب الصلة بمصدر روحى حقى، فهو يجاهد بكل ما أوتى من معرفة عن هذه الصلة إلى أن يقوم الإنسان فيها بحق وصدق. وحقيقة الصلة هى صلة بمن هم قائمون فى صلة دائمة لا تغيب أبداً بمجالات عليا (لو غاب عنى رسول الله طرفة عين ما عددت نفسى من المسلمين)،

هؤلاء الموصولون أكسبتهم هذه الصلة نوراً ورحمة، فأصبح شغلهم الشاغل فى الأرض هو أن يصلوا الإنسان الذى يجدون فيه استعداداً، وإعداداً لوجوده لإستقبال هذه الصلة الروحية الحقية.

أنتهى بما بدأنا به وهو النداء أو التكبير للدخول فى الصلاة. تأملت فيه فوجدت أن الإنسان يبدأ برفع يديه، ويضع إبهاميه خلف أذنيه قريباً من

مؤخرة رأسه، ذلك يحدث بعد النية للصلاة، ثم يندفع بيديه ليأخذا وضعهما الطبيعى. هذا يرمز إلى أن الإنسان إذا أراد أن ينتقل من المجال الأرضى المادى بكل ما فيه، وانشغاله به، إلى مجال روحى، يرجوه ويدعو الله أن يدخله فيه، عليه أن يطرح بعيداً عنه كل ما فى رأسه من فكر مشغول به، ويبعده عنه، وبهذا يصفو ويفرغ مما سوى ما هو مقدم عليه من طلب ورجاء صلة بمجال روحى أعلى. وهذا يدخل فى معنى من معانى الآية "إذا فرغت فانصب".

وكذلك الآذان قبل الصلاة هو معانى تعد الإنسان للدخول فى الصلاة. يبدأ الآذان بأربع تكبيرات تُحدّث الإنسان بما يجب أن يكون عليه وهو مقدم على الصلاة: التكبيرة الأولى تقول لك: أن الله الذى تريد أن تقيم الصلة به أكبر من أى انشغال لك بأى من أشياء الوجود المادى الذى تعيش فيه بتصريف وأداء من نفسك. أبعد نفسك بمجالاتها، ولا تنشغل به حتى لا يبعدك أثناء صلاتك عن ما تطلب وتدعو وجودك كله إليه. فهو حديث موجه لنفسك.

والتكبيرة الثانية موجهة الحديث إلى عقلك. تقول لك إن ما تركز عليه من معانى ربانية أثناء صلاتك التى أنت تنوى أن تقدم عليها أكبر مما يشغلك من فكر مادى أو معنوى تعرفه أو تقوم فيه، لأن أثناء صلاتك إن كنت صادقاً فيها، سينالك معنى جديداً إذا فرغت فعلاً أثناء صلاتك (إذا فرغت فانصب).

والتكبيرة الثالثة موجهة إلى قلبك تقول له: عواطفك وميولك وحبك لأشياء الوجود المادى، والمعانى الروحية التى تعرفها وتحسها وتميل إليها، أوقفها، وفرّغ قلبك ليستقبل مدداً روحياً وحقياً جديداً. حاول أن تطهر بيت ربك فيك ليستقبل فيوضات أعلى وطاقة أعلى، تعدّل، وتطور، وتُحدث إتساعاً لقلبك لإستيعاب كرم الله تدخله إلى باطنك .. إلى قلبك من خلال

أنفاسك، وإلى من تتجه إليه طالباً صلة حقية تحيى وتكبر معنى الرب فى قلبك (القلب بيت الرب).

التكبيرة الرابعة تتجه بها إلى المجال الأعلى مما أنت فيه. إنه مجال الروح. وبالتأمل فى التكبيرة الرابعة المتجهة والموجهة إلى مجال روح الإنسان هى طاقة علوية تستمدها بأنفاسك العميقة من مصدر حقى تعرفه، تطهر بها الروح من أدران ما علق بها من سيئات النفس والعقل والقلب أثناء تفاعلهم وتعاملهم مع المجال الأرضى الذى يعيش فيه الإنسان. فإذا تطهّرت، تمكنت من أن تنطلق وتتآلف مع أرواحاً أعلى وأعلى، تعلى من معارفك عن وجودك الروحى والحقى.

بعد ذلك يُرجى للمصلى أن يقيم صلة بالأعلى أثناء صلاته، تمكنه هذه الصلة من أن يشهد القانون الإلهى (لا إله إلا الله) الذى يوضح له طريقه إلى شهادة محمد رسول الله. وقد أفضنا فى شرحهما فى باب الشهادتين.

حى معناها اللغوى أقبل وعجّل. حى على الصلاة .. أقبل على صلة بمجال ربانى أعلى، وعجّل لأن الحياة على الأرض قصيرة. يأخذك هذا المجال الربانى إليه لترى ما هو فيك، مدفون فى أعماقك، ينتظر منك الإتجاه إليه (أذكر ربك فى نفسك)، وليس فى سماء ولا فى أرض. الصلة تكون بمعناك الإنسانى الباطنى. خطوات مناسك الحج توضح لك السبيل إلى كيفية الإتصال بهذه المعانى الإنسانية فيك. سوف نتناولها فى هذا البحث بالتفصيل.

الصلاة صلة بين العبد وربه. صلة تقوم بين من عبّد وجوده وهيأه لظهور ربه فيه. صلة بمن أعدّ وجوده، وأفرغه مما سوى الله .. أعدّه بذكر الله، وهذا هو النداء بحى على الفلاح.

لا ينسى المصلى أن كل ما يقوم به، ويكرم من الله بأن يقوم فيه، هناك دائماً ما هو أكبر وأعظم وأعلى. وأثناء طلبه لمعناه من الله، عليه أن لا

يضع صورة أو شكلاً أو تصوراً لما يكرمه الله به أثناء صلاته، أو ذِكره .. الله دائماً وأبداً أكبر. يطلبه غيباً، لا يحدد له معنى أو صورة، رغم علمه بأنه أقرب إليه من حبل الوريد ومعه أينما كان، وكيفما يكون. فهو قريب يكرمك بما أنت له أهل، وكلما اتسعت لمعانى أكبر، تعرف يقيناً أن هناك فى الله ما هو أكبر فى مجالات الإنسان .. فى مراقى الإنسان.

أما إذا حددت أى شكل أو صورة أو أى تصور لأى معنى روحى أو حقى ترجو من الله أن تكسبه، فسيرد إليك تصورك ورسمك، لأن وما تشائون إلا أن يشاء الله. وبهذا تحرم من كسب المعنى كما يرجوه لك الله ورسوله. فما كسبت فى هذه الحالة إلا ما اشتاقت له نفسك. أما ما أراده الله لك فقد حرمت منه.

أما الإنسان الذى يؤدى الصلاة على أنها أمر ينفّذ دون فهم لماذا يؤديها، خسر المعنى الروحى والحقى الذى تحمله الصلاة، وحُرِمَ من مكسبها. وبهذا يكون تابعا مقلداً، وببغاءً مردداً. أما الإنسان فله قيمة كبيرة عند الأحياء المستنيرين، لا يقلد ولا يردد دون فهم. فهو يتأمل ويتفكر ليفهم، ويتفاعل مع هذا الفهم ليصير إدراكاً يضيف للإنسان معنى جديدا لوجوده.

نسأل الله أن يقيمنا فى صلة قائمة دائمة بعباده الصالحين الأئمة المتحققين. نسأله أن نكون موصولين بأمة محمد. نسأله أن نكسب من كل صلاة نؤديها، وأن يزيد صلتنا بأعلانا فى كل صلاة. نسأله أن تكون صلاتنا ذكراً دائماً وطلباً لمعنانا الروحى والحقى. نسأله أن يهبنا حبه وحب من أحبه.

فحمداً لله وشكراً لله وصلاة وسلاماً عليك يا رسول الله.

الصـــلاة

وقـــفت وركـــعت وســـجدت ولـــم أقـــم فـــى هـــذا ولا ذاك

طلـــبت علـــماً بظـــن صـــدق غـــفر ظنـــى وأكـــرمنى بـــإدراك

أرشـــــدنى قيـــــاماً حـــــقاً فـــى صـــــلاتى قـــادنى للقيـــاك

شـــكرت وحـــمدت وطـــلبت مـــــزيد صلـــــة بمـحـيـــــاك

obeikan.com

الصـــــوم

صـــــار عـــــادة

و

الصـــوم لـــى وأنـــا أجـــزى عنـــه

و

نســـأل الله أن لا يكـــون مجـــرد جـــلادة

obeikan.com

obeikan.com

الصـــــــوم

شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن... يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم... الصوم لى وأنا أجزى عنه.

شهر يكاد ينعدم فيه اهتمام الإنسان بجسده، لأن شيئاً جلل قد حدث. أُنزل شيئاً فى هذا الشهر أزال عنه حيرته. شىء كان موجوداً من قبل، ربما بشكل آخر، نسيه الإنسان، فأُنزل إليه من عليائه. إنه قانون إلهى يذكّر الإنسان بوجوده المقدس، بانتمائه لرب رحيم، يأخذ بناصية الإنسان إلى الاتجاه لإنسانيته. قانون إلهى هو القرآن الذى أُنزل فى هذا الشهر الكريم.

إنزال من علىّ يدعو الإنسان أن يعلو بمعنوياته، يعيش فى هذا الشهر بروحه، ناسياً جسده. وقته من تفجر النور إلى أن يغيب عنه فى مغربه، يعب من النور أثناء صيامه أنّى شاء. هذا الشهر يذكّره بما أودع الله فيه من سره، يدعوه إلى الانعكاس إليه فيه، يدعوه إلى تعبيد وجوده بتعرضه لنفحات الله ورحماته .. نفحات إلهية تعينه فى سعيه لأمانة الحياة المودعة فيه.

الدعوة للصيام موجهة للذين آمنوا، وليس إلى أدعياء الإيمان. المؤمن هو الذى يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله، ولا يفرّق بين أحد من رسله، منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص: هذا مسلم وهذا بوذى وهذا هندوسى. المؤمن من عرف معنى الإيمان، من عرف بمن يؤمن .. أتقوا الله وهو ضمائركم فيكم. ميزان العدل، إذا خضعت ونفّذت ما يمليه عليك ضميرك، كان رحمة لوجودك، وتقرّبت إلى معانى الحق والحياة فيك.

أتقوا الله وآمنوا برسوله. عرف المؤمن بمن يؤمن. الرسول هو المؤمن بالله حقاً وصدقاً وقياماً ومثالاً واضحاً جلياً لك ولكل مؤمن. إنه آمن. إنه .. أَلِف .. ألّف بين القلوب بقوته اللانهائية .. قوة الله وملائكته (الله وملائكته يصلون على النبى) .. فأصبح ذا قوة عند ذى العرش مكين. ثم (منّ) الله

عليه فأصبح روحاً مقدسة طليقة يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه (أنا روح القدس). عرف المؤمن به بماذا منّ الله على رسوله ورفيقه وحبيبه. هذا الإنسان المؤمن برسول الله عرّض وجوده لنفحات رسول الله (لله فى أيام دهركم لنفحات فتعرضوا لها). النفحات هى عطاء الله لرسوله .. والرسول بدوره يعطى هذه النفحات لمن يتعرّض لها. يمن الرسول على المؤمن به ما منّ الله به عليه بقانون (الله المعطى وأنا القاسم).

يصبح المؤمن الرسول مرآة للمؤمن به، يرى نفسه فيه، يرى عقله فيه، يرى قلبه وما يحويه فيه، يرى روحه إلى أى مدى انطلقت فى مجالات رسوله الكريم، فيغيّر ما به بعون رسوله الكريم، وبقوة يستمدها منه بجهاده، بأنفاسه، بفكره، برجائه ودعائه، وطلبه الذى لا يفتر أبداً.

هكذا يُنزَّل القرآن .. ينزّل قانون الرحمة، قانون لمن يريد أن يرحم وجوده من نفسه ومجالاتها. ينزل القرآن فى رمضان ليرحم الإنسان الذى رمض: حر جوفه من شدة العطش. هكذا المؤمن .. حاله وقيامه فى عطش دائم لماء الحياة من الحى القائم عليه، الذى أسلم له وجوده .. يغيّره، ويبدّله، ويقوّمه إلى أحسن تقويم. وأحسن تقويم هو أن يتجه الإنسان بكله وعياً وحساً، وإدراكاً لما يقرّبه من معناه ووجوده الحقى فيه .. معناه الإنسانى. كيف يكون إنساناً حقاً مثل ما رأى من مثالية مبرزة أمامه.

يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون. الإيمان درجات. فمن المؤمنين من آمن بالله ورسوله، وهدفهم الجنة، نتيجة لما قاموا فيه من تأدية المناسك والطاعة الظاهرية لأوامر الدين كما يفهمونها، وأن آيات الله أوامر ونواهى تُدخل الإنسان جنة وبعصيانه أو تقصيره تُدخل الإنسان النار.

والآية أيضاً تدعو الناس من المؤمنين أن يصوموا لعل الصوم يدفع بهم إلى التفكر والتأمل فى أحوالهم، ومدى ارتباط أحوالهم بمعانى آيات الله لهم، فيتقوه معهم، أقرب اليهم من حبل الوريد، ومعهم أينما كانوا،

ويتجهوا إلى باطنهم، لعل الله يمن عليهم بالإيمان الحق، فيسلكوا معه، وفيه، فى طريق الحق والحياة.

ذلك يتحقق لأى إنسان استعمل نور عقله، واستفتى قلبه وإن أفتوه الناس وأفتوه. واستمع لمن يلمس فيه الصدق فيما يفيض به عليه، محباً، لا يلمس فيه أنانية بكبر، أو اعتزازاً بما عنده من علم، خالياً من نبرة الأمر والفوقية والتعالى، وأن ما يقوله هو لب وجوهر قضية الإنسان فى الله، ألا وهى جوهر الدين ورسالة الدين، لا يستشهد بقدماء سالفين، بل يحترم مستوى وعقول المستمعين إليه، متواضعاً بعيداً عن نبرة التأكيد واليقين. تشاركه الرأى، متسعاً بصدر رحب لكل تساؤل ونقد، لأنه يعلم أن الخلاف فى الرأى يفتح آفاقاً لإضافة أمر جديد لما أنتم فيه متواصين. حديثه موجه لنفس السامع، وعقل المنصت، وإلى قلبك المشوق. لا يذكر شيئاً عن نفسه حتى لا تيأس. (قل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً). يبلغون بحديثك مراد الله بهم.

أما من فُتِحَ عليه أبواب الإيمان الحق، ألا وهو معرفة الباب الذى يطرقه، فيفتح له مدينة العلم، وكلما تعلم شيئاً سأل الله أن يكسبه هذا الشىء حتى يكرم بالقيام فيه. وكل مجال أو أى معنى أو فكر أو علم فى الله لا يناله إلا بإرشاد ورحمة الواسع العليم. وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين. هذا هو الباب .. هذا هو مدينة العلم. هذا هو الرحمة المهداة الذى يدل الإنسان على طريق الهداية إلى الرحمة.

يهديه من اتخذه إماماً. يهديه إلى نفسه أولاً. كانت تقوده إلى السوء لتدمره وتذهب به إلى أسفل سافلين فى وجوده. أرشده معلمه كيف يقود نفسه بأن يدخلها مدينة العلم وما فيها من مجالات العلا والترقى فى طريق الله، ورؤية من آمن وسار إلى طريق الحق والحياة فى المدينة، فتتحوّل إلى نفس لوامة، تلوم ما دأبت عليه من فعل وهى قائمة فى مجالها المظلم من حياتها على الأرض. فإذا استجابت وتأست بما فى المدينة من رجال صدقوا

ما عاهدوا الله عليه، وسائرين فى طريق الله ليتحققوا على مثال رسول الله الكريم، صاحب المدينة، وما فيها من رحمة وهداية وعلم ويقين، تحوّلت إلى نفس مطمئنة، وأضيفت كطاقة تعين الإنسان، صاحبها، على المضى فى سبيل كسب الحياة.

هنا يستطيع العقل أن ينعكس ببصره إلى بصيرته فى قلب الإنسان ليشاهد ويبصر بعين الله، وبسر الله فيه، فيصير مؤمناً حقاً، أنطبع بالمؤمن الحق (أنا الحق أنا الحياة أنا القيامة)، (أنا الحق من ربكم)، (من رآنى فقد رآنى حقاً). أصبح صيامه لله حقاً.

هذا الإنسان لم ينحدر بصيامه، ولم ينل منه إلا الجوع والعطش. فالصيام فى شهر الجهاد وقيام الليل والنهار، كُتب على الذين هم جادون فى طلبهم ورجائهم ودعائهم، ليكونوا مؤمنين حقاً، غير مؤدين للصيام كأمر مقلدين غير واعين لما يفعلون. يقومون فى الصورة والشكل تابعين مقلدين وببغاوات مرددين.

الصوم لى وأنا أجزى عنه. الصوم هو المنسك الوحيد الذى جعله الله له. نحن نعرف أن الله أعلمنا من آياته أنه لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، وإنه غنى عن العالمين. فلماذا جعل الصوم له وهو الذى يجزى عنه؟

المقصود هنا على ما أفهم بأن الصوم لله، هو أن الإنسان يفرغ تماماً خلال هذا الشهر من أى توجه أو قصد، أو أى طلب إلا ويكون قاصداً وجه الله. والصوم هو الترفّع عن أتيان أى أمر أو فعل إلا لله. فالصوم لله أى لا أطلب ولا أرجو ولا أدعو إلا الله (قل كلٌ من عند الله)، فالإنسان وما يفعل راجع إلى الله. والإنسان وما يملك باطناً وظاهراً لله. والجزاء المنتظر من الله للإنسان إذا كان صادقاً مخلصاً خالصاً فى وجهته وطلبه لله أن يكون جزاؤه هو معنى فى الله أو مقام فى الله يكرمه الله به. فالإنسان وصومه لله وجزاؤه أن لا يرى ولا يسمع إلا الله (الله ناطق على كل لسان) ولا تكون وجهته إلا

لله (أينما تولوا فثم وجه الله). بهذا يتحقق للإنسان (الصوم لى وأنا أجزى عنه).

(الله نور السموات والأرض)، أودع نوره فى عقل الإنسان، فأدرك بنوره المعانى الربانية المخلوقة المودعة فى كيانه، فهى فيه بالفطرة. والله على مستوى معرفة الإنسان يُعرف بأسمائه وصفاته، واتخذ من قلب الإنسان بيتاً له (القلب بيت الرب). فأصبح كيان الإنسان بيتاً مقدساً بدرجات من نور الله وأسمائه وصفاته. والإنسان الذى فرغ بصيامه عن كل تطلع وطلب وحنو لنزوات وشهوات نفسه، واستطاع بعون الله وما أودع فيه من قدرته، واكتسب إرادة وعزماً من مرانه الروحى ومصاحبته لحق من حقائق الوجود، بهذا يكون فى صيام حقاً.

بكل ما أوتى من نور وإرادة صادقة، أتجه الإنسان إلى باطنه .. إلى قلبه، فأيقظ الأسماء والصفات الكامنه فيه بالفطرة. هذه الأسماء والصفات التى تمثل الحياة الحقية فى الإنسان، هى عطاء الله له، أوقظها الإنسان بطلبه ورجائه واجتهاده، وصيامه الدائم القائم فيه. ما قام فيه الإنسان من جزاء نتيجة قيامه فى صومه بصدق لله هو السبب الرئيسى لتواجد الإنسان على الأرض (خلقتك لنفسى وتصنع على عينى).

إتجاه الإنسان الصادق إلى قلبه .. إلى ربه فيه، بمعنى أن يتجه الإنسان بنور الله من عقله إلى بيته من قلبه، فيضىء ويكشف عن سر الله فيه وما يحمله من أسماء الله وصفاته؛ يتحلى بها، ويتصف بها، ويقوم فيما أفاض الله منها عليه .. قيام حق وصدق، ويتقلب فيها فى مراحل ومجالات، متابعاً من سار فيها قبله. وهذا هو معنى انعكاس السيد الرسول محمد ببصره فى بصيرته فرأى من ليس كمثله شىء. حيث أن سر الله وهذه الصفات والأسماء ليس لها فى عالمنا لغة تصفها وتعبّر عنها. سر الله وأسماؤه وصفاته يحسها الإنسان فى باطنه .. فى وجوده الداخلى .. فى قلبه.

أسماء الله وصفاته هى معانى مجردة، مطلقة، لا يعلمها إلا من قام فى شىء منها، ومن يقوم فى شىء منها .. يقوم فيها بقدر ما هو له أهل، وبقدر إتساعه. الإنسان يأخذ منها بقدر قربه من معناه الروحى والحقى، والأسماء والصفات تمثلان المعنى الإنسانى الذى نال قدراً من القرب من مصدر هذه الصفات والأسماء الحقية. هذه المصادر الحقية هى رسل الله الذين كسبوا وقاموا فى أسماء الله وصفاته بالقدر الكافى الذى يتيح لهم العطاء لطالب الله .. (الله المعطى وأنا القاسم).

هكذا يكون الجزاء من الله لصائم صياماً حقاً .. صياماُ واعياً مدركاً لملكوت الله بين جوانحه .. وهوسره .. روحه (ونفخنا فيه من روحنا).

وإذا قال قائل أن هذه الأسماء والصفات هى لله وحده، فكيف تخلعها على الإنسان وتدّعى أنها فيه؟

إنها درجات من أسماء وصفات يكسبها الإنسان ليتقرّب بها إلى الله، كما تقرّب بها السيد الرسول محمد إلى الله (كان خلقه القرآن) .. بل الرفيق الأعلى .. تقرّب إلى الله حين كسب بعون الله وتوفيقه قدراً كبيراً من أسماء الله وصفاته .. ولكن هناك من يحرم نفسه من اليد الممدودة له بالعطاء من الله، (الله المعطى وأنا القاسم)، (إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ...). يفرقون لأنهم لم يدركوا معنى التوحيد. والآية تقول لنا: لا تفرقوا بين الله ورسله .. فلا فرقة ولا تفريق بين الله ورسوله.

والذى يقرّب المعنى لنا هو أن الله ليس له أسم: (هل تعلم له سميا)، (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون). الآية الأولى رقم ٦٥ من سورة مريم، والثانية رقمها ٩١ من سورة الأنعام. الله لا نستطيع أن نرسم له صورة، ولا تنفعه طاعة ولا تضره معصية، غنى عن العالمين. فالذى هو كذلك، ليس له أسم، وغنى عن العالمين، فكيف نوصفه بصفات، أونطلق عليه أسماء، وقد قالها صريحة فى كتابه وهو يخاطب رسوله: هل تعلم له سميا.

فهمت من هذه الآية: (هل تعلم له سميا)، أن الإنسان فى قيامه على الأرض، هو قيام مظلم محدود فى كل ما يعرف ويدرك. فحين يتناول معنى غيبى، فهو ليس فى مقدوره أن يعرف حقيقة كنه هذا الشىء أو المعنى. فحين أفكر فى معنى يريحنى عن هذه الآية هو أننا تعودنا فى عالمنا الأرضى أن نطلق أسماءً على أشياء الوجود. أما الله وهو غيب علينا وقيل لرسول الله (هل تعلم له سميا) فهو ليس له أسم بمعنى أننى لا أستطيع أن أحدد كينونة له يشار إليها فى الكون المادى أو فى الوجود الروحى لها كيان مستقل كباقى الكائنات أو الأجرام.

كل ما نستطيع أن نفهمه أو نقوله هو: روح الله السارى فى الكائنات أو فى الأجرام مادية كانت أو روحية (نفخنا فيه من روحنا). ورسول الله هو المشهود لنا من الله. الله غيب وسيظل كذلك، تعاملنا مع آلائه، وقال الصوفية (كل ما جال ببالك فالله على خلاف ذلك)، (لا تفكروا فى ذات الله ولكن فكروا فى آلاء الله).

أما أسماء الله وصفاته كما قلنا: إنها مجردة ومطلقة، وليس فى مقدورنا أن نحيط بها أو نقدرها. فنحن نطلب رحمة الله وكرمه، ولا نحدد شكلاً ولا صورة، حتى لا نحد من تدفقها إلينا بمعناها الروحى والحقى الذى لا نعرف ولا نحس ولا ندرك عنه أى شىء إلا إذا أحسسنا بها فى داخلنا، حين يكرمنا الله بها.

لقد وعد الله الإنسان بكل ما أبرز من معانى روحية وحقية فى كتبه المقدسة حين قال: خلق الله الإنسان على صورته. وقال للإنسان مخاطباً سيدنا موسى: خلقتك لنفسى ولتصنع على عينى. وكذلك: ألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى.

وإذا قلنا إنه المحاسب المجزى، فنقول: (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)، يوم تفيق لمعناك كإنسان تحاسب نفسك على ما جنيته من خير أو شر فى سابق، قبل أن تحاسبك هى بعد انتقالك من الأرض.

والصورة المعطاه للإنسان القريبة منه، والمثالية له هى رسول الحقيقة الكبرى الذى يظهر لنا بالرحمة يهديها لمن يطلبها صادقاً محباً. والهدية هى قيام الإنسان بصفاته وأسمائه كما قامها وحيا بها. يقيمها فينا برضائنا وحبنا له، وذلك بأن يكشف القناع عما فينا مطابقاً لما فيه (ما أعطيته فلأمتى)، (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى)، نكسبه ونعيشه، ونقوم فيه، بإرشاد وحب رسول الله الكريم.

الإنسان وحدة وجود كامل، فيه كل الإمكانات التى ترفعه إلى أعلى عليين .. إلى معنى إنسانيته، وإلى أسفل سافلين، وفى كلا الاتجاهين مستخدماً نفسه كسفينه، وعقله كموجِّه، وقلبه كعبة .. مركز حياته .. (وتحسب أنك جرم صغير وفيك أنطوى العالم الأكبر).

وهذا هو الجزاء من الله الذى يجزى به الصائم الصادق، الذاكر، المحب، المتابع، المريد لرسول الله الكريم الذى يرحم البشرية، بأن يقدم قيامه مثلاً ليس فقط يحتذى، ولكن يُكسب أيضاً، وهدية للإنسان ليكونه، ويقوم قيامه، ويتحقق بما فيه من نور الله وأسمائه وصفاته.

الصـــــوم

صـــــمت جوعـــــاً وعطـــــشاً فكـــان نصـيبى جوعــوا تصـــحوا

ســـــألت صـــــياماً حـــــقاً فعلمـــتنى كيــف إليــك أصحـــوا

صـــــحوت بعـــــلم مـــــنك طـــهر قلـــبى فلـــك أعدتـــوا

فاحشـــرنى بفضـــلك فـــى زمـــرة المســـاكين إذا إليـــك ســـكنوا

obeikan.com

obeikan.com

الحـــج المعـــنوى

وعـــلاقته برقـــى الإنسـان

و

الحـــج المنســـكى

كتقـــليد وتـــرديد

و

كيـــف هو الإنســـان

فى

كـــل منـــهما

obeikan.com

obeikan.com

الحـــــج المعـــنوى

مقدمة

الحج نعرفه منسكاً لمن استطاع إليه اتجاهاً وترحالاً ومقاماً، ولديه من المال ما يسد نفقات هذه الرحلة. إنه المنسك الذى لم يُفرض كباقى المناسك. إنه المنسك الذى تُرِكَ للإنسان أن يُقدِّر قدرته على القيام به. ليس فقط القدرة المادية، ولكن هناك جانب عقلى وقلبى وروحى داخل الإنسان يستطيع بهذه الأدوات الباطنية فيه أن يقدِّر استطاعته للقيام بهذا المنسك، أو أنه يؤجله لحين استطاعته. والإنسان هو الوحيد الذى يستطيع أن يحس بنبض، ومدى نضج هذه الأدوات الباطنية فيه للقيام بهذا الحج المعنوى.

هل العقل اكتسب نوراً كافياً يستطيع به أن يتعرّف على المعنويات الإنسانية الموجودة فى الخطوات المتتالية فى هذه الرحلة.

هل حيا القلب بالدرجة الأدنى الكافية لاستقبال الفيوضات التى تفاض عليه من هذه الرحلة، وذلك باتساعه، بعد أن تخلص لحد ما من ميوله السالبة المصاحبة له من لحظة تواجده على الأرض.

هل عرف مجرد معرفة ما تحمله هذه الرحلة من معانى روحية لها علاقة بسر الله فيه .. أين مكان هذا السر فيه، وكيف يتجه إليه، وإمكانية انطلاقه، بعد تطهيره، ورجاؤه من الله أن يتآلف هذا السر مع من هو أعلى.

دعنا نرى بتأملنا فى خطوات الحج كما نفهمه معنوياً، وكيف يفاد منه الإنسان. والإفادة هنا هو تعليم الإنسان، كيف أن خطوات الحج هى نموذج حى يعرّف الإنسان السبيل إلى تطوير وجوده، بأن يحسن الاتجاه إلى معناه كإنسان، وكيف يحيى هذا الوجود ويسير به إلى كسب كرته على الأرض. ويصبح إنساناً بكل المعانى التى تحملها هذه الكلمة.

وما سوف أقدمه هو فهم فى معنى الحج، ولا أدعى أنه فهمً مطلقً، أو هو الحقيقة بعينها، فهو فهم من فهوم، وتذوق لمعنى الحج الباطنى، نتيجة تأمل وتفكر فى مناسك الحج.

تجربتى الشخصية مع الحج

فى بداية تسعينات القرن الماضى كنت أعمل بالسعودية، تحديداً فى العاصمة الرياض. وكما هو معروف فى السعودية، أن فترة القيام بمناسك الحج هى فترة إجازة من العمل. فكانت عادتى أن أستغل تلك الفترة وأسافر إلى مصر لقضاء الإجازة مع أسرتى. أما هذه السنة قلت فى نفسى، طالما أنى سأستقيل آخر السنة فلا داعى لسفرى فى تلك الإجازة لأسرتى. وجدت نفسى سأظل فى الرياض بمفردى، لأن كل زملائى فى العمل سوف يذهبون إلى مكة لأداء مناسك الحج. أمرونى بأن أسافر معهم ولا أظل بمفردى فى الرياض. رفضت أولاً لأنى غير مقتنع بأن أذهب لهذه الرحلة المرهقة لأدور حول حُجرة من الحجارة يسمونها كعبة، يتجه إليها المسلمون فى كل صلاة. ولكن أحسست بالوحشة، والوحدة فى مدينة لا أعرف فيها أحداً. فقلت فى نفسى لم لا أزور تلك الأماكن، إن لم يكن زيارتها لتأدية منسك، فإنها رحلة أتعرّف فيها على ما يفعله المسلمون، وربما ألمس سر قدسية هذه الأماكن، ولماذا رسمها الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) بهذا الترتيب المتلاحق، وما الفائدة من وراء أداء مناسك الحج، وإلى ما ترمز إليه من معانى تفيد الإنسان وتساهم فى ترقيته.

نظرتى هذه الأولى لمنسك الحج هى بسبب دأبى طوال حياتى أن لا أفعل شيئاً غير مقتنع به، ولا أرى لى فائدة منه .. لى ولمن حولى، ولبلدى، وللإنسانية جمعاء. وهناك من الأفعال ما يدفع الإنسان إلى سمو ورقى معنوياته. ومن الأفكار التى تتسم بالنزاهة، والبعد عن الأنانية، من النوع

المضىء الذى يضيف نوراً إلى العقل الجمعى للجنس البشرى فى سلم تطوره.

دفعوا بى أكثر وألحوا علىّ حتى أذعنت أخيراً ووافقت على القيام بهذه الرحلة. أخذنا سيارة، أستغرقت الرحلة من المغرب إلى بعد الفجر بقليل. ثم لبسنا ثوب الإحرام بعد التطهر وتوجهنا إلى الكعبة لأداء طواف القدوم.

تمهيد للدخول فى معانى
الحـــج المعـــنوى

دعنا نسرد أولاً خطوات الحج بعد أن نعرف المعنى الدال على كلمة حجَّ: حج تعنى قَدِمَ أو بمعنى قصد. فهو نية القصد والإتجاه. فأنا فى بادىء الأمر لم يكن لدى فى داخلى نية القصد والاتجاه للحج. فهو لم يكن حجاً، ولكن رحلة أستكشافية .. أكتشاف معنى الحج.

يبدأ الحاج بالتطهر والتجرد. ويطبق الحاج التطهر بالغسل، والمقصود به أن ينقى جسده وفكره من كل الممارسات المعتاد عليها، والرغبات الجسدية، ويكون فكره منصبا على ما سوف يقوم به من مناسك الحج. ورداؤه أبيض دال على الطهارة. هذه مجرد تهيئة للطهارة. إنه المظهر الخارجى الذى يذكّر الإنسان بالطهارة الداخلية، من فكر بعيداً عن متطلبات جسده، وعدم الانسياق لما تشتاق إليه نفسه، ومجانبة ما يهفو إليه قلبه.

لقد تهيأ الإنسان بذلك مظهراً وفكراً ليُقدِم على الكعبة التى ترمز إلى القبلة، وهى موشحة بالسواد. وعلى الحاج أن يطوف حولها سبعة أشواط، وأثناء ذلك الطواف يدعو الله. فإذا فرغ من طوافه، أنتقل إلى الصفا والمروة، ذهاباً إلى الصفا ثم إلى المروة، مرتداً إلى الصفا، راجعاً إلى المروة، سبعة أشواط. بعد ذلك يذهب إلى جبل عرفات، ثم يذهب إلى المزدلفة، يبيت هناك، ويأخذ ثلاث حفنات من الجمرات، كلٌ منها سبعة. يذهب بالجمرات إلى

منى ليلقى بالجمرات على الشيطان وأبليس، كل حفنة يوم، وبعد رمى الثلاث حفنات فى ثلاثة أيام، يذهب إلى الكعبة ليؤدى طواف الإفاضة، ويصاحب الطواف حول الكعبة دعاء مستمر لا انقطاع له.

أثناء تأدية مناسك الحج، كان ذهنى حاضراً، وعقلى متأملاً فى كل حركة وكل قول، وفى ترتيب التنقل من مكان لآخر، وأسماء تلك الأماكن ودلالتها المعنوية، وعلاقتها برقى الإنسان، ولماذا يؤديها؟ وإلى ما ترمز؟ وكيف ينتفع بها وجود الإنسان؟

عرفت أن الذى حدد الأماكن التى يمر بها الحاج، ورسم خطوات هذه الرحلة، هو رسول الله تأكد لى بعد تأملى وتفكرى فى هذه الرحلة وما ترمز إليه، أن واضعها، وراسمها، ومحدد الأماكن التى على الحاج أن يزورها له من نور الله ورحمته اللانهائية التى تتسع لتزكية وإنارة ورحمة البشرية جمعاء. حيث أن عبقريته المفعمة بنور الله ظهرت لكل متأمل فى ترتيب الزيارات المتلاحقة وأسماء أماكنها موضوعة بدقة بالغة، وكل مكان يدل على المعنى المراد للإنسان أن يكسبه فى الله.

لقد شرح للإنسان المتأمل المتفكر فى وجوده وفى الكون من حوله كيف يسلك فى داخله، ويحيى أدواته الباطنية التى هى عماد الإنسان حين يستخدمها الاستخدام الأمثل، مع رجائه وطلبه من المجالات الربانية العليا المستجيبة للإنسان الطالب الصادق أن يحقق وجوده ويحيه، بتحققه كإنسان كسب كرته على الأرض.

الغُسل رمز التطهر من كل دنس جسدى وفكر مادى، ثم ارتداء ملابس الإحرام، وهى ترمز إلى أن الإنسان قد تجرّد من كل ما هو لصيق به أثناء وجوده على الأرض، فهو بهذا التجرد قد أحرم بمعنى حرّم على نفسه كل ما هو متعلق به فى حياته المادية. وبهذا فقد أبعد الكيان المصاحب له بمعانيه المتدنية الأرضية، ألا وهو نفسه. أبعده عن وجوده إلى حين .. هو أعدى عدو له الذى يعيث فساداً فى وجوده.

هذا الإقصاء لنفسه هو إقصاء ظاهرى يتمسك به الإنسان بقدر ما يستطيع حين يهم بالبدء بأداء مناسك الحج، وأثناء القيام بكل مناسك الحج. يتجه ظاهراً، محرماً، بنية صافية لا تشوبها شائبة .. بنية متجهة إلى باطنه ليحيه.

أدركت من تأملى أن مناسك الحج بترتيب خطواته مرتبط بآيات القرآن وأحاديث رسول الله الكريم. أولها وما نبدأ به هو أن القلب بيت الرب. وحين انعكس رسول الله إلى جوانيه .. إلى قلبه .. أنعكس ببصره فى بصيرته من قلبه وهو باطن الإنسان، فرأى والتقى بمن ليس كمثله شىء. وما أعطيت فلأمتى، وأحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى.

الحج ومناسكه يرسم الخطوات التى يجب على الإنسان أن يسلك فيها ليتحقق له ما تحقق لرسول الله الكريم. إنه الإنسان الذى حقق وجوده وأصبح إنساناً يقوم فى كمال من كمالات الله اللانهائية، مرتضى من رفيقه الأعلى، ليكون مثالية للبشرية، حين يتجهون لجوانيهم وهو مركز وجودهم الروحى والحقى ليكسبوا فى الله، فرسم لنا مناسك الحج لنعرف كيف نكون حقاً على مثاله

طـواف القـدوم

أتجهنا بملابس الإحرام وهى تمثل ظاهر الطهارة والتجرد إلى الكعبة. الكعبة هى رمز للوجهة التى نتجه إليها .. الوجهة الحقة هى قلوبنا (القلب بيت الرب). الإتجاه إلى الكعبة وهى مغطاه بالسواد رمزاً لتواجدنا الأرضى فى لباس مظلم من مادة الأرض. هذا الجلباب المظلم يحوى كل الإمكانات والقدرات التى تحيل هذا الظلام إلى كيان منير، إذا انعكس الإنسان بنور الله فيه وهو عقله، وما يكتسبه من أنوار مستمدة من مجالات عليا يستجلبها الإنسان بتفكره وتأمله ورجائه ودعائه.

فهو دائم الاتجاه إلى قبلته من قلبه، لأنه بيت الرب فيه، بيت للكيان الأعلى فيه، فهو يطلبه، بالاتجاه إليه مثابراً، يطوف حول قبلته من قلبه، كعبة وجوده، فى باطنه، أشواط وأشواط، ورقم سبعة رمز لسبع مراقى، سبع خطوات، سبعة مسالك وطرق. هذه السبعة تبدأ بالغسل والطهارة، وهى التجرد وخلوص النية وصدق الاتجاه إلى رحلة الحج. والثانية هى طواف القدوم. والثالثة هى الصفا والمروة. والرابعة هى صعود جبل عرفات وما فيه من جبل الرحمة. والخامسة هى الرحلة إلى المزدلفة. والسادسة هى الرحلة إلى منى ورمى الجمرات. والسابعة هى الرحلة إلى مكة لأداء منسك طواف الإفاضة.

يطوف الإنسان محاولاً الولوج إلى باطنه، إلى داخله، إلى قلبه. وترمز هذه المحاولة بالطواف حول الكعبة. أثناء طوافه لا يكف عن الدعاء والرجاء لأعلاه أن يمكّنه من الاقتراب، أو الولوج، أو اللقاء بربه فيه.

الإجابة والاستجابة لهذا الإنسان الذى عرف طريقه إلى ربه بأن ينعكس إلى داخله، يوجهه ربه إلى الطريق والأسلوب الذى يسلك فيه حتى تنجلى له هذه الرؤية .. الرؤية التى شاهدها رسول الله حين انعكس إلى قلبه. فكيف يكون الولوج إلى باطن الإنسان؟

وجّه رسول الله الكريم الإنسان إلى طواف القدوم. والطواف هو محاولة الإنسان الولوج لداخله كما أسلفنا. ولكن هناك خطوات على الإنسان أن يقوم فيها شكلاً، وعقلاً، وممارسة بالقيام فى تلك الخطوات. وحيث أنه قد فشل فى طواف القدوم، ولم يلج إلى باطنه ليرى ربه كما فعل رسول الله الكريم. حينئذ عليه أن يقوم بالخطوات التالية لطواف القدوم ليتم دورة الحياة للإنسان، ليستطيع ساعتها أن ينفذ إلى داخله ليرى أعلاه فيه.

معـنى الصـفا والمـروة

من هنا يبدأ الإنسان السير إلى هدفه ومقصده. لقد عرف من الخطوة الأولى (طواف القدوم) أن السبيل إلى الوصلة بداخله لن يتحقق إلا بالخطوات التالية. هنا يتوجه الإنسان إلى السعى بين الجبلين. يسعى بينهما ذهاباً وإياباً مرات عديدة. هذا السعى هو بداية المجاهدة الحقة. وإليكم ما هدانى تأملى فى هذا المنسك.

هذا السعى يذكرنى بمثقف غربى، أراد أن يوسّع من حدود ثقافته بأن يضيف إليها ثقافة ومعنويات الشرق. فذهب إلى حكيم معلم، وطلب منه أن يعطيه هذه الثقافة بعد أن يعرّفه بها. فأحضر الحكيم كوباً ليفرغ فيه بعضا من الشاى لضيفه. فاستمر الحكيم يصب فى الكوب إلى أن امتلأ وفاض وانسكب على المائدة. فقال له الضيف: انسكب الشاى على المائدة. فكان رد الحكيم: هكذا أنت مثل هذا الكوب .. لا أجد مكاناً فيك أصب فيه شيئاً من حكمة الشرق. حاول إفراغ ما عندك، أو نحِّه جانباً، حتى لا تقيم مقارنة بما عندك. حينذاك أستطيع أن أنفذ لداخلك، وأنقل إليك شيئاً من حكمة الشرق.

دعنا نرى الواقع لنفهم الصفا والمروة. الصفاء من الداخل حتى لا تحد من تدفق الرى إلى داخلك. هكذا هو معنى الصفا والمروة، حين يقدم الإنسان على أداء هذا المنسك.

هناك معنى غاية الأهمية للإنسان، وملازم له لحظة تواجده على الأرض، ألا وهو الحرية التامة، حتى لا تتعطل أدواته الفطرية عن العمل، الأدوات الضرورية اللازمة لوجوده على الأرض، ألا وهى ضميره وعقله وقلبه ونفسه وروحه. أما إذا فُرِضَ عليه أنماط معينة تمثل معانى يقوم فيها المجتمع، وهى تخالف فطرته الإنسانية، بهذا يخبو نور عقله، وتتبلد مشاعره القلبية، ويصبح مقلداً لما سبق، ولما هو قائم، ومعاش وسارى. بهذا يفقد روح التطور والرقى الذاتى.

هكذا هو الإنسان فى منطقة الشرق الأوسط، وكل من تبعهم من شعوب إسلامية، ينظرون إلى الدين على إنه أوامر ونواهى تنفّذ دون تفكير أو تأمل. جَمُدَ كل معنى وكل فكر، وتسطّح كل معنى متصل بآيات الله. ونسخوا آيات بآيات أخرى ليثبّتوا فكرهم الذى أدى إلى التطرف. والدفاع عن فكرهم أسموه جهاداً فى سبيل الله، تحوّل عند بعض الفئات إلى إرهاب.

وإنى لا أغفل عن القلة الأحرار فكراً، المتأملين فى كل معنى تفيض به آيات الله لهم بتفاعل نور عقولهم مع النور الذى يستشفونه ويستخرجونه من آيات الله.

الإنسان الحر عقلاً وقلباً هو الذى يستطيع أن يصفو داخلياً. الصفا هو الصفاء الداخلى. جبل الصفا وجبل المروة، وصفهما بالجبال، لأن الصعود إلى معناهما ليس بالشىء السهل. فالصفاء الداخلى هو أن يرتقى الإنسان بالصعود بإنسانيته إليه، من هنا يصير مهيئاً للرى من مجالات عليا.

ومسألة تكرارها عدة مرات تعنى إنها صفات على الإنسان أن يكسبها حيث أنها ملازمة لنمو الإنسان روحياً بصورة مستمرة. كلما صفا داخلياً، أفاض الأعلى عليه رياً من مرواه الذى لا ينضب أبداً. كيف يصفو الإنسان حتى يرويه الله؟

الإنسان فى أحواله العادية حين يسمع قولاً فيطرب له، فهذا دليل على أن هذا القول له صدى فى داخله، يوقظ عاطفة يحب تذكرها وذكرها. والعكس إذا استمع إلى شىء أغضبه يثار ويتحفز ضده، وربما يهاجمه. أما إذا اتجه بإرادته إلى كيان أو معنى يحب أن يتقرّب إليه، ويفاض عليه من هذا الكيان أو هذا المعنى، وهو لا يعرف عنه شيئاً، فعليه أن يتجرد من كل فكر أو معنى، ويعطل مخزونه الثقافى تماماً حتى لا يقارن، ولا يوازن، ولا يقيّم، ولا يقدّر، لأنه متعرّض لمجال مجهول عليه. يتقدم لهذا المجال برهبة وإجلال. هنا يفرض عليه الموقف أن يكون سلبياً بأن يفرِّغ عقله من فكر، وقلبه من كل ميول ورغبة، ويصفى كيانه من كل شائبة مادية يعرفها أو

معنوية يرجوها. إذا استطاع أن يصل لهذا الحال فقد صعد وارتقى جبل الصفاء .. الصفاء الداخلى الذى يُهيئه للإرتواء من المروة.

والمروة هى طاقة روحية تُقذف داخل الكيان الذى صفا. هذه الطاقة تقوى من روحه، وتُغَيّر اتجاهه من فكره وميوله من قلبه، وينفتح على طاقات يُروى بها تملأ فراغ وجوده الروحى والمعنوى. حتى يتهيأ للمرحلة أو المنسك التالى الذى أعدّ وجوده للدخول فيه، بقيامه فى صفاء داخلى أتاح له الأرتواء بطاقة روحية تمهد الطريق إلى الاتساع لأستقبال المعانى التالية فى المنسك القادم.

الوقــوف بعــرفات

الحج عرفه .. لمن عرفه. إنه الصعود إلى جبل. الصعود ارتقاء. إنه نور يحل فى كيان إنسان يمحو ظلام سراديب الجهل. ويحوّل العلم المادى الذى اكتسبه الإنسان وهو على الأرض إلى معرفة روحية إنسانية نتيجة التأمل والتفكر والتدبر فيه.

يحدث ذلك للإنسان وهو على جبل عرفات. وهى المعرفة التى يظل يتعلمها على مدى طول حياته، حسب همته وشغفه واشتياقه ودأبه، وبحثه الدائم. يقوم فى كل ذلك الجهاد بتوفيق من أعلاه، يستعينه ويسترشده ليدله على منابع ومصادر المعرفة عن نفسه، ليلهمه السبيل إلى جهاده معها، حتى تتحوّل إلى آمرة بخير.

تأتيه معرفة روحية ومعنوية من مصادرها إلى عقل الإنسان (العقل أصل دينى). يعرف منها عن وجوده كله وما فيه. يعرف أن فى عقله نور موجود بالفطرة .. هو نور الله فى الإنسان. يعلم أنه يصعد على جبل عرفات – جبل المعرفة – رمز لحرص الإنسان على اتساع معرفته عن وجوده، ويعرف كيف يطوّره إلى الأفضل والأقوم، كما فعل رسول الله الكريم

(كان لى شيطان ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فهو لا يأمرنى إلا بخير). أما بالنسبة لنور المعرفة، وهو مطلب الإنسان دائماً وأبداً، وأكد لنا ذلك رسول الله بقوله: (إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة .. أأغيان أغيار يا رسول الله .. لا بل هى أغيان أنوار).

يعرف الإنسان من جبل المعرفة أن نوره الفطرى عليه أن يزيد منه بالتأمل والتفكر فى قضايا وجوده، وكيف يطور ما بداخل هذا الوجود. كيف يرتقى بمشاعر قلبه، وأن لا يكون أداة طيعة يقوم بتنفيذ رغبات نفسه. هنا يستلهم أعلاه بافتقار أن يزيده الله من نوره .. نوراً على نوره الفطرى لينجلى له سبل طريقه إلى معناه الحقى.

القلب يعرف قيمته حين يتعرّف على ما يحويه حين ينعكس العقل بنوره إليه فيرى ويعرف أنه بيتاً للرب. من هنا يعرف أن عليه أن يَتطهَرَ مما فيه .. كيف يزيل كل ما فيه من رغبات وأهداف حياة زائلة زائفة. وكلما زاد نور العقل بالمعرفة، وحرصه على تحصيلها، والزيادة الأبدية منها، كلما أدرك القلب أن ما هو قائم فيه ليس بحياة حقية. تتبدل رغبة القلب بعد أن أستقبل نور العقل (المعرفة)، وأصبح هدفه هو أن يموت عما يحسه ويحياه، إلى حياة يغمرها نور المعرفة، وتسرى فيها حياة روحية، تمهد السبيل إلى إفاقة واتجاه نحو ما هو حى فى قبره من القلوب، يقوم ويتقلّب فى الساجدين، إذا ما أزالوا من القلوب كل ما يعطل ويمنع الحى فى قبره أن يُبعث، ويقوم على هذا الوجود الذى حيا بافتقاره وحبه.

أثناء وجود الإنسان على جبل المعرفة الذى على الإنسان أن يستقبل هذه المعرفة وينعكس بها فى وجوده. هناك شياطين الجن والأنس بطاقاتهم التى تشد الإنسان إلى أسفل .. إلى ظلام نفسه، وإلى موات قلبه، وإلى شتات فكره بإظلام نوره. ولحماية الإنسان من كل ذلك يوجد فى جبل عرفات جبل آخر هو جبل الرحمة. هذا الجبل هو رمز يشير إلى أن الإنسان الذى يسير فى طريق المعرفة عن وجوده ومعناه فى الله، هناك

رحمة تحيطه وترعاه وتبعد عنه كل ما يحاول جذبه إلى معناه وحزبه. هذه الرحمة يستقبلها من رسول الله (أنا رحمة مهداه).

لقد تهيأ الإنسان للمنسك التالى بكل ما أخذه من معرفة. والمنسك التالى هو المزدلفة.

الرحـلة إلى المـزدلـفة

أزدلـف .. من مـادة دلـف بمـعنى أقتـرب

طواف القدوم .. قام به الحاج وطاف وأكثر من الدعاء علـه يكرم من الله بأن ينفذ إلى داخله .. إلى باطنه .. إلى قلبه، ليرى ما رأى رسول الله الكريم حين انعكس بصره فى بصيرته، ولكن الحاج فشل. فشله راجع إلى أنه لم يتزود بعد بالمعانى التى تتيح له هذا النفاذ.

صفا باطنه، وارتوى بطاقة روحية أهلته وهيأته إلى اكتساب معرفة عن وجوده، وعن سبب تواجده على الأرض، وكيف يطهر وجوده ويهدى نفسه، وكيف يزيد من نور عقله، وكيف ينعكس بنور عقله إلى قلبه من جبل المعرفة (عرفات).

عرف أن لقيا ما بداخله هو بداية الطريق لقيامه فى الحق. فإلى جانب الطاقة الروحية، والمعرفة التى حصّلها ما زال فى حاجة ماسه إلى طاقة حقية، لا توهب إلا من الحق. عليه أن يزدلف .. أن يقترب من الحق وهو فى ليل قيامه – ليلة يقضيها فى المزدلفة – يطلب من رسول الله .. (أنا الحق من ربكم)، (من رآنى فقد رآنى حقاً) أن يعينه على شيطانه. وشيطانه هو كل رغبة، وإرادة، وعمل، يتجه ويطلب ويهدف إلى الشىء الذى طان لحد ذاته (الشيطان هو أشياء الوجود المادى الذى يتعلق بها الإنسان لذاتها كهدف لحياته). أما إذا كان متأملاً فى كل ما يحصل عليه أو يتعامل

معه من أشياء الوجود المادى، ويتعلم نتيجة تأمله فهو فى أمان وسلام ورحمة من شيطانه.

هنا يوجهه رسول الله الكريم بأن يتسلّح من عنده. والجمرات هى رمز لهذا السلاح، فيأخذ سبع جمرات لكل يوم من الثلاثة أيام التى سيقضيها فى منى، ويتجه بها إلى منى، ليتمنى على الله أن يخلصه من شيطانه وإبليسه برجمهما.

الجمرات تُجمع من المزدلفة.ولا جدوى من جمرات تجمع إلا من المزدلفة، لأن الأزدلاف أو الأقتراب من رسول الله هو الذى يزوّدك بطاقة حقية كما تزوّدت بطاقة روحية من جبل المعرفة (عرفات) من عنديته تستطيع بها أن تُصلح من وجودك وتقويه، ويجعلك قادراً على رجم شيطانك وأبليسك. والمحقق والدال على هذا المعنى إنك لا تجد فى المزدلفة إلا مسجد رسول الله.

الجمرات هى رمز لهذه الطاقة الروحية الحقية التى يمنحك إياها رسول الله، إذا أحسنت الإقتراب .. أى فى حال من الرجاء والإبتهال والدعاء والصدق فى أنك حقاً تريد التخلص من شيطانك وإبليسك. والجمرات هى رمز لرجم المعانى السفلية التى كونها الإنسان فى وجوده وتراكمت، ثم صعب عليه التخلص منها إلا بعون من كان له شيطان وأعانه الله عليه فأسلم وتحوّل وأصبح لا يأمر إلا بخير.

إذا افترضنا جدلاً أن أحد الحجاج تحوّل شيطانه إلى كيان ملازمه – (هو نفسه) – لا يأمره إلا بخير. فهل هذا الإنسان يجد فى المزدلفة جمرات يرجم بها شيطانه. لا أظن ذلك، وإن وجِدَتْ فإنها تستحى منه وتختفى من أمام ناظريه. هؤلاء الرجال قلة نادرة جداً فى البشرية.

الرحـــلة إلى منـــى

من الملاحظ أنى أذكر أنـها رحلة. وما أشدها علىّ من رحلة شاقة، غاية القسوة، لأنـها كانت فى الصيف، وما أدراك ما الصيف فى مكة وما حولـها. من مكة بعد طواف القدوم مشيت إلى جبل عرفات، ومن عرفات إلى المزدلفة مشياً مع الأفارقة وسكان بلاد آسيا. كنت فى جفاف مستمر ليل نـهار، رغم زجاجات الماء البارد التى كانت تلقيها العربات على المشاه. ومن المزدلفة إلى منى مشياً، ومن منى إلى مكة مشياً. تورمت قدماى، ولم يفارقنى الجفاف، مهما شربت، يـلازمنى الشعور الجارف بالعطش.

كنت مندهشا من جلد الأفارقة والآسيويين ونشاطهم فى المشى، وحماسهم أثناء تأدية المناسك، ولا يبدوا عليهم أى علامة تدل على تعب أو إرهاق أو ضيق .. مبتسمين، جادين فى سيرهم، وفى تأدية مناسكهم، وهذا ما شجعنى على المضى معهم ماشياً، ناسياً ما يحدث لجسدى من إرهاق ووهن.

حملت الجمرات ومشيت من المزدلفة إلى منى، واقتربت من الصخرة التى يسمونها الشيطان، والناس يلقون بجمراتهم .. يلقون الجمرات بعشوائية فتقع على بعضهم البعض، فأكثرهم يخرجون من المكان والدماء تسيل من رؤوسهم ووجوههم. بالنسبة لى مجرد دخولى لهذا المكان، وهممت برمى الجمرات، تدافع الناس، ألقوا بى يميناً ويساراً، فوقعت على الأرض، وانتثرت الجمرات فى الهواء. وانهارت قواى، ووقعت على الأرض، ولم أستطع القيام، فنظرت إلىّ إمرأة أفريقية ضخمة، وأشفقت على حالى وأنا ملقى على الأرض، فمددت يدى إليها، فعلقت يدى بزراعها، وجرتنى سحلاً على الأرض، إلى أن أخرجتنى من المكان، ثم تركتنى ملقى على الأرض. كان معى زميل عمل، رمى الجمرات بدلاً عنى.

تأملت فى معنى رمى الجمرات، وفى الشيطان، وفى معنى أبليس وعلاقة كل ذلك بالإنسان.

تأملى هدانى إلى أن ذهاب الإنسان إلى منى، هو معنى التمنى والرجاء والطلب أن يوفقه الله فى حسن استخدامه للجمرات، ونجاحه بتوفيق من الله أن يحوّل شيطانه ويبعد معنى الأبلسة عن وجوده. أما الشيطان فقد ذكرنا أنه اختصار لمعنى الشىء الذى طان .. وإنها إرادة الإنسان المتجهة إلى أشياء الوجود الطينى من حوله وفيه .. وهو جسده. وهو وإن كان متغلباً على الإنسان وملازم له أكثر من ظله إلا أن الإنسان فى مكنته أن يتغلب عليه، هذا الإنسان قلة نادرة. أما أغلب الناس يقومون بأفعال نابعة مما يمليه عليه شيطانهم .. أى أنفسهم فى حالة ظلامها وكنودها، وغفلتها عن المعانى الطيبة فى وجود الإنسان.

وهناك معنى جوهرى مرتبط بما ذكرنا من معنى الحج. فالحاج قبل أن يعرف معانى راقية من عرفات عن وجوده، أنارت له معرفة عن نفسه، كان هو ونفسه كياناً واحداً، إتجاه واحد، طريق ومسار واحد. كل تركيزه فى حياته هو ما تأمره به نفسه أن يفعل. إنها الأنانية. لا يرى إلا نفسه، وإشباع رغباتها، ومكسبها فى مجالات المادة المختلفة.

المعرفة التى أُكرم بها من جبل المعرفة (عرفات) أبانت له أن أعدى عدوه نفسه التى بين جنبيه. فأصبح وجود الإنسان يضم الإنسان ونفسه .. أصبحا أثنين. أنتاب نفسه الهلع لهذا الإكتشاف. وانقلبت عدواً، لأن الإنسان بدأ جهاده بمحاربتها، لأنه عرف أن انقياده لها سوف يدمره معنوياً، فاستعان بمن مرّ بهذه التجربة فى سابق، وأعانه أعلاه على نفسه، فأسلمت له وتحولت إلى آمرة بخير.

فالإنسان الآن فى منى .. رمز التمنى والرجاء أن يعينه الذى مرّ بهذه التجربة، وأعطاه سلاحاً يرجمها به لتموت عما هى فيه، وتحيا بما يقوم الإنسان به، ويسعى للقيام فيه. فإذا أسلمت، رافقته فى طريق النور والحياة، بعد أن كانت بمكرها لها السلطة العليا فى حياته الأرضية، وحتى

حين تفقد سلطانها عليه بمكرها، يكون لها السلطان الآخر بعد موته، وهو سلطان المحاسبة (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا).

أما معنى الأبلسة فهو معنى آخر. قبل أن ندخل فى معنى الأبلسة، علينا أن نلمس المعنى من نفس اللفظ. فإذا لاحظنا تركيب الكلمة نجد أنها مركبة من أب ليس .. أى الإنسان الذى ليس له أب روحى أو معنوى أو حقى.

لا يوجد شىء فى حياتنا ليس له علم. كل علم له معلم. فالمجال الروحى له معلم روحى. والمجال الحقى له معلم حى مستنير. وكل علم متطور إتساعاً وعلواً برواده. وكل العلوم إن كانت مادية أو روحية أو حقية لها رباط متين بالإنسان. وكل أدوات الإنسان من نفس وعقل وقلب وذات وقالب (الجسد) ملك لروحه فهى الأصل. وتواجدت فى هذا الكيان الإنسانى لتعرف عن وجودها، وكيف ترقيه وتطوره. تحتاج وهى فى هذا الهيكل المظلم إلى علم، وطاقة تفعّل هذا العلم. والرسول (صلى الله عليه وسلم) يقول: أنا مدينة العلم وعلىّ بابها. فهو المعلم. واستمرار تواجده بيننا لا يغيب حين قال: أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك... وسلمان منا آل البيت.. وبلال منا أهل البيت.

فالمعلم الحقى الذى يأخذ بيد الروح فى سلم ارتقائها واتساعها فى الله ذى المعارج موجود لمن يسعى إليه طالباً علماً .. وطالباً رحمة .. أنا رحمة مهداه. فكيف للرحمة أن تغيب بعد أن بُعِثَتْ للبشرية. والشىء المثير للعجب أننا نؤمن بالشيطان يسرى فينا مع مسار دورتنا الدموية، وننكر على وجودنا تواجد الرحمة فى أعماق وجودنا، تنتظر منا أن نتجه إليها فينا، وأن نطلب ونرجو أن تكون الرحمة هى الظاهر والباطن فى كياننا، وكل كلنا.

من هنا فأى معنى تطلبه له علم والعلم له معلم، فإن كنت صادقاً فى طلبك، تواجد لك من يعلمك، ويأخذ بيدك إلى ما تطلب، ويعدّل لك فى طلبك

لتصل للإستقامة فى مقصود وجهتك. فإن صدقت مع معلم، واتخذته معلماً لك، سَرَتْ محبة بينكما، فصار أب لك. من هنا يمحى عنك قيامك فى أب ليس .. هجرك أبليسك. لأن أبوك الروحى القائم فى معنى الحق سيرعاك، بأن يعلمك عن وجودك وما يحويه ويرقيه، ويرحمك من أبلستك.

وبهذا تكون قد رجمت شيطانك وأبليسك بالتمنى على الله، والرجاء، والاستعانة برسول الله – نعم المعين – الخبير والمعلم، رحمة بالأرض وأهلها، الطالبين بصدق أن يشاهدوا وجه الله فيهم (جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا) .. أرض القلوب المتعطشة لماء الحياة. (أنا حى فى قبرى) .. حى فى قلوب الناس، ولكنهم قابرينه بظلامهم وغفلتهم عن معنى الحياة فيهم .. (واعلموا أن فيكم رسول الله).

الرحـــلة إلى مكـــة
طـــواف الإفـــاضـة

بعد أن تمنيت على الله فى منى بالدعاء والرجاء، واستعنت بعون هو طاقة روحية تسرى فى وجودك، تغيّر، وتمحو، وتثبت حين أسلمت لها. كنت جيد الاستقبال لطاقات روحية خيرة من معلمك، باجتهادك، وبنيتك الخالصة فى الطلب.

لقد تطهّرت من شيطانك، ورُحمت من أبليسك، وأصبح عقلك ذاكراً متذكراً للمعنى الحقى الذى ترجو من الله وتطلب منه أن يكرمك بمشاهدته فيك .. ذاكراً متذكراً دائماً أبداً مطلوبك من الله .. إنه وجه الله.

بدأت رحلة الحج من كرات مضت. كل كرّة تدرك منها معنى من معانى الحج. وتجتهد وتسعى فى تعلّمك، وتطلب من الله صادقاً أن تكرم بالقيام فيما عرفت، ليضاف إلى وجودك. وبهذا تكون قد صقلت وجهاً من وجوه

جوهرتك .. روحك، إلى أن يكتمل بهاؤها وجمالها وكمالها. وما من كمال إلا وعند الله أكمل منه.

عدت إلى ما بدأت منه. عدت إلى ما اتجهت إليه راجياً داعياً أن تشاهد من هو ليس كمثله شيء. عدت إلى ما انعكست إليه ببصرك لتراه فى بصيرتك. عدت إلى سر الحياة فيك .. سر الله فيك. عدت إلى روحك، عدت إلى أمانة الحياة، عدت إنساناً جديداً. عدت بعقل اكتسب نوراً على نوره. عدت بقلب حيا بطاقة ربانية، أستمدها من خطوات رحلة الحج، عرف قيمة ما فيه، وسر انزواء ما فيه إلى أن يُصقل الباحث ويصدق فى طلب هذا السر فيه.

عدت تحمل عون من أعانك على شيطانك، وطهّرك من شتات، إلى التجمع والانتماء إلى أسرة روحية، وأبوة حقية للأسرة الروحية. أبٌ عطوف رحيم بأسرته، ينزع من أفرادها أنانيتهم، ويكرمهم بأن يفيض عليهم بأناه، فيتحولون رحماء كرماء فيما بينهم وبالبشرية جمعاء.

أكرمك بلقائه فى المزدلفة بعد أن كنت حائراً متردداً لا تعرف لك وجهة، أنقذك من اليأس، ودفع بك إلى الصفاء ليرويك طاقة روحية تشعل فيك الشوق إلى معرفة ما فيك، وما يعوّق لقاءك بما هو فيك. عرفت جبالاً من المعرفة (عرفات)، وكنت محاطا برحمة، حماية لك من شيطانك وإبليسك، لأن المعرفة عنك يحتمل أن يستخدمها الإنسان إستخداما منحرفا عن الجادة، حين يستخدم الإنسان هذه المعرفة للحصول على معانى حسية مادية، فتذهب به إلى أسفل سافلين.

والتقيت به فى المزدلفة، فأكرمك بطاقة من عنده (الجمرات) وبالمعرفة عن وجودك، وكيف تسلك إلى معناك الباطنى لتصير بما فيك إنساناً حقاً، منطبعاً بخلق أبيك. وصلت إلى القبلة (ألكعبة)، إلى قلبك، لتطوف حوله مرة ثانية، راجياً، طالباً، طامعاً فى اللقاء. تطلب هذه المرة وأنت متسع أفقاً بالمعرفة الحقة، وبقلب كله شوق وحب لهذا اللقاء. قلب يطلب وهو

بصحبة أبيه، بنور أبيه، برحمة أبيه، بحب أبيه. لقد أُعِدّ واستعد لهذا اللقاء.

يطوف ويطوف، مُلحٌ فى الدعاء، طالباً اللقيا بمعناه. يريد أن ينفذ إلى سر الله فيه. يطوف ويطوف بعقل هجر كل ما سوى أبيه فيه (الأبن سر أبيه)، لا فرق بينهما.

الأبن وارث أبيه. والأب الحق كرسول الله الكريم حى فى قبورنا من قلوبنا (واعلموا أن فيكم رسول الله)، (أنا حى فى قبرى). الأب المحب الكريم لأبنائه، يكرمهم بمعناه، وبكل ما هو قائم فيه لأبنائه (ما أعطيته فلأمتى)، (لا أرضى وأحد من أمتى فى النار). فى نار أنانيته بعيداً عنى، وأنا رحمة مهداه، أدفع بأبنائى إلى الخوض فى مشاق معانى رحلة الحج، ليصيروا أبناءاً لى حقاً، فيرثون كل ما أنا قائم فيه.

الإفاضة لكل أبن صادق فى طلبه مستجيب لندائى، يعب من علمى، وعلمى يحمله عبر الزمان والمكان أهل بيتى (ما لكم وعلى ما لكم وعلى على منى وأنا من على وهو ولى كل مؤمن بعدى)، (الحسين منى وأنا من حسين). أهل بيت رسول الله الكريم، هو كل من آل إلى بيته، وكسب معناه، الحى المنير المستنير.

(أنا حى فى قبرى)، أبعثونى للحياة من قبور قلوبكم، لأحيى موات قلوبكم، وأنير بنورى ظلام عقولكم، حتى تستجيبوا لما يحيكم من حياتى الروحية والحقية. أحبونى ليكون لكم ما لى من الله .. يفاض عليكم من نبع الحياة الذى لا ينضب أبداً. أرشدنا إليها رسول الله الكريم. أبانا الذى فى السموات .. سموات عقولنا سموها من نوره، يفاض علينا من توجيه رسول الله الكريم فى المنسك الأخير وليس بآخر. طواف الإفاضة. اللقاء الخاتم وليس ختام بباطننا – لكل مجال ولكل مقام لقاء جديد – بسر الله فينا، بوجه الله فينا.

هذا اللقاء هو بداية السير فى طريق الرقى بإنسانيتنا إلى الأعلى. والأعلى من مرتقى إلى مرتقى فى رسول الله الكريم .. فى أبينا. (أذكر ربك فى نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون) حتى تكرم بهذا اللقاء. لقاء الإفاضة هذا هو فتح لما هو غيب عليك، هو سر الله فى أعماق وجودك، ولكنه غيب عليك، ينفتح لك بعد تمام وكمال رحلة الحج .. قمت بها بتوفيق من أعلاك.

الآن يفاض على الإنسان فتحاً مبيناً.. مبيناً لما فى الإنسان من سر الحياة.. من سر الوجود.. من سر الله. جىء بالإنسان إلى الأرض ليكرم حين يتلاقى مع هذا السر فيه، ليبدأ السير فى الله، بعد أن قام برحلة الحج التى ترسم له، وترمز إلى كيف يكون السير إلى الله. أما الآن بعد الإفاضة والولوج لداخله أنفتح له الطريق للسير فى الله. الطريق اللانهائى من الرقى والترقى فى مجالات العلا، التى لا يعلمها إلا الأعلى ومن يقتفى أثره، وسار على منهاجه، ألا وهو الحق والحياة. برباطهما الوثيق بالحب .. أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى .. الله محبة .. لا دينونة اليوم على من دخل فى قلب يسوع. حيا فى قلب الإنسان الحى .. أدخلى فى عبادى وادخلى جنتى.

هكذا رسم رسول الله الكريم كيف تكون رحلة الإنسان على الأرض حتى يحيا وينطلق فى مجالات الرقى فى الله الحى القيوم. لأن مجالات الحياة الحقية لا ينطلق إليها إنسان إلا إذا حيا بإنسان حى، عرف الطريق إلى الحياة، فرسمها فى رحلة الحج لكل متأمل حائر متسائل عن وجوده الحقى، فاتجه صادقاً راجياً محباً أن يسير فى طريق الله .. ألا وهو الطريق إلى باطنه .. إلى قلبه .. إلى سر الله فيه.

من هنا عرفت لماذا دفعنى الله إلى أن أخوض فى هذه الرحلة رغم مشاقها، وتعبها، ولهيب حرارتها. ربما لشغفى طول حياتى لتحصيلى للمعرفة، وانشغالى بوجودى الداخلى وحيرتى وشكى فى أى قول منقول أو موروث.

ذهبت لهذه الرحلة ليعرفنى راسمها بخطواتها، وأسماء أماكنها الدالة على معانى إنسانية موجودة فى باطن الإنسان، وما جاء إلى الأرض إلا ليعرفها، ويسير فيها، ويطلب من الله القيام فيها، ليحقق وجوده ويصير إنساناً حقاً ينتمى لأمة محمد، حامداً الله على معرفة كيف يكون توحيد ذاته من قلب وعقل فى إحاطة روح طاهرة طليقة متآلفة مع لبنات أمة محمد.

أما إذا قام بهذه الرحلة طمعاً فى ثواب أو جنة فهو بهذا إنسان مقلد، وما يتلفّظ به من دعاء أو ابتهال، هو مجرد ترديد كترديد ببغاء، لا يليق بإنسان أن يكون مقلداً ولا مردداً، بعد أن كرّمه الله (كرمنا بنى آدم). وكما قيل لسيدنا موسى (خلقتك لنفسى ولتصنع على عينى).

تكرر كثيراً أثناء تأدية كل منسك من مناسك الحج ضرورة الإكثار من الدعاء والرجاء والطلب من الله أن يكسب الإنسان المعنى وراء المنسك الذى يقوم الإنسان بتأديته. دعاء الإنسان ورجاؤه بتركيز وإخلاص محاط بحب، بهذا يرسل الإنسان طاقة تسرى إلى مجال غيبى لا يعرف عنه شيئا. والأفضل للإنسان أن لا يتصور لهذا المجال الذى يتجه إليه بأن لا يرسم أو يتخيل له صورة. هذه الطاقة التى تخرج من الإنسان لها قوة كبيرة جداً، وتصل إلى وجهتها فى لحظة إرسالها. وتعود إلى الإنسان بالمعنى الروحى والحقى كما يراه الذى استجاب لدعائك ورجائك. لأن ذلك المصدر يرى داخلك وما هو فى حاجة إليه مما طلبته. (أدعونى أستجب لكم).

هذا فهم من فهوم فى معنى من معانى مناسك الحج. وهناك فهوم أعلى وأرقى. نسأل الله أن يكرمنا بفهم أفضل وأعمق مما قدمنا.

معــنى النحــر

(إنـا أعطيناك الكوثر، فصلِ لربكَ وانحر، إن شانئكَ هو الأبترُ)

النحر يقوم بـه الإنسان الذى يملك القدرة على النحر، هو الإنسان الذى نحر، فيعلمك كيف تنحر، ثم يعطيك القدرة التى بـها تستطيع أن تنحر.

النحر لـه علاقة وثيقة بمناسك الحج. وجدت أنـه لـه علاقة توضحه لأرتباطه بسورة كريمة هى سورة الكوثر. وكما رأينا حين تناولنا الحديث عن مناسك الحج، أن على الإنسان أن يقوم بعملية النحر، وهو رمز لقتل الإنسان نفسه (فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم)، (ولو أنا كتبنا عليهم أن أقتلوا أنفسكم أو أخرجوا من دياركم ما فعلوه إلا قليل منهم)، (فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم).

ماذا تنحر؟ النحر فى الظاهر هو ذبح حيوان. ومعنوياً هو رمز لقتل النفس، وقتل النفس هو رمز لقتل الإنسان معنى الحيوانية التى هى طبيعة نفسه فى ظلامها وكنودها وعدائها لمعنى الحياة الحقية فى الإنسان. ولكن كيف يقتل الإنسان نفسه؟

النحر لم يُذكر فى القرآن الكريم إلا فى سورة الكوثر. والإنسان لا يستطيع أن ينحر إلا إذا اتصل راجياً، فوصِلَ بربه مكرماً (فصل لربك وانحر) والواصل المتصل بربه هو رسول الله الكريم. وهو الإنسان المكلّف برسالة أعلاه، برسالة ربه، برسالة رفيقه الأعلى. هذا الإنسان أُعطى الكوثر.

والكوثر هنا ليس ذلك النهر الجارى فى الجنة. ماذا يفعل بهذا النهر وبالجنة التى يجرى فيها. الجنة وما فيها للذين يحسنون عملهم ونواياهم طيبة فى الدنيا، ويطمعون فى جنان تعج بكل ما يشتهون. يصورها لهم القرآن حسب ما تشرئب لها نفوسهم ويرسمها لهم خيالهم .. هذا مطلبهم من الله وما تنطوى عليه نواياهم وما تحب نفوسهم.

أما الكوثر الذى أُعطى لرسول الله هو أن يتكاثر فى أهل بيته، يمتد فيهم بروحه (فاطمة أبنتى روحى..) بكل ما أعطاه الله من رحمة وعلم ومعرفة. ويمتد ويتكاثر أيضاً فى الإنسان الذى أُكرِمَ بدورةٍ على الأرض ليعرف الطريق إلى تعبيد كل وجوده لكسب نفحات من الله ويقوم فى كرمه وجوده ومنته، هذا يأتيه عن طريق رسول الله الكريم (الله المعطى وأنا القاسم). يمتد ويتكاثر فى عباد الله الصالحين، الذين أصلحوا وجودهم لاستقبال نوره، ورحمته. يمتد ويتكاثر فيمن أفرغ وجوده واتجه خالصاً مخلصاً لاستقبال ماء الحياة من الحى القائم على وجوده، الذى استطاع أن يملك وجوده، وقَبِلَ رسول الله أن يتولاه، ليصب فيه كل ما أعطاه الله (إذا فرغت فانصب).

يمتد ويتكاثر فيمن آل إلى بيته .. إنه البيت الحرام، من دخله كان آمناً (لا دينونة اليوم على من دخل فى قلب يسوع)، (أنا مدينة العلم وعلىّ بابها). من يريد أن يعلو يدخل مدينتى، يجد فيها من آل إلى بيتى، فيدخل فيه. هو الباب .. باب الرحمة لمن يريد أن يرحم وجوده من نفسه، ومن كل ما بناه بعقل مظلم، وقلب حاقد، غيور ليس له ميول إلا إلى ما يدمر وجوده الروحى، ليس فى قلبه إلا الرغبة فى حطام الدنيا (جيفة وطلابها كلاب). إنه العلى الذى يعلى من شأنك إذا دخلت مدينته من بابها. إن من يتولاك فى مدينته هو كوثره .. من تكاثر وامتد فيه بنوره ورحمته (أنا رحمة مهداه) لمن اهتدى إلى مدينته ودخلها.

إنه المتكاثر الموصول بربه، هو الذى يعرف كيف تُنحر النفس. أُعطى مكنة التكاثر، أى أنه صلى عليه ربه فوصله، وبالطاقة الإلهية أعطاها له (إن الله وملائكته يصلون على النبى ..)، يصلونه بكل خير ورحمة، ومكلّف برسالة وهى إيصال النور (المعرفة عن الله فى الإنسان)، يوصله بنوره (صلى عليهم إن صلاتك سكنا لهم). والرحمة أى كيف يرحم الإنسان وجوده وينتشله من دناه وتسفّله، إلى علوى قيامه الإنسانى. وكيف يصل

إلى حقى معناه فى أعماق وجوده (أنا الحق من ربكم)، (من رآنى فقد رآنى حقاً).

إنه الكوثر المتكاثر فيمن طلبه. إنه الكوثر المتكاثر فيمن أحبه (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى). إنه الكوثر المتكاثر فيمن رآه وقد اجتاز عقبة نفسه، بعون من الله، وطلب التحرر من سلطان نفسه. إنه المتكاثر فيمن رجم شيطانه وأمات إبليسه بتنازله عن أنانيته (من مات فقد قامت قيامته)، قام واعتدل واستقام سيره فى الله .. سيره فى الله إلى معناه حين دخل مدينة رسول الله. مدينة ليس فيها إلا أحياء، فرغوا مما سوى الله، فأكرمهم الله بالحى فى قبورهم من قلوبهم (أنا حى فى قبرى). من قلوبكم يُبعث، فيحيى موات قلوبكم، وينير ظلام عقولكم، ويطهر أرواحكم، ويطلق أرواحكم فى سموات العلى .. يعرج بكم إلى عالى إنسانيتكم فى الله ذى المعارج (ما أعطيت فلأمتى).

فهل نحن من أمة محمد؟ هل آمن به أحد من المسلمين على أنه أمة (إن إبراهيم كان أمة)، أم أننا نراه أمياً لا يقرأ ولا يكتب. قيل له أقرأ. قال ما أنا بقارىء. لأننى لم آخذ علمى من الكتب كما يأخذه الناس، أكرمنى ربى بعين بصيرة أرى بها. وهبنى نوراً على نورى أرى به من ليس كمثله شىء فى الأرض ولا فى السماء.

قيل له أقرأ باسم ربك الذى خلق. إقرأ بالله الخالق الذى هو ربك ومعلمك، به تقرأ سر الخلق وسر الوجود. به تقرأ معناك كإنسان، به تقرأ خلق السموات والأرض .. سمواتك وأرضك. ونقول أمياً، فلم لا نفهمها على أنه أتسع لكل أمم الأرض، على أنها صفة لكلمة أمة. لم لا وقد تخلّق بأخلاق ربه (إنك لعلى خلق عظيم)، (كان خلقه القرآن). وهل بحثنا عن رجل فى الأرض جميعاً جمع الخطوات المعنوية المتكاملة، بمسمياتها الدقيقة والمعبرة، التى تربط الإنسان بمعناه الإنسانى الحقى (معناه فى الله) فى مناسك متتابعة كل منها يزيل عقبة من طريق الإنسان إلى ربه فيه، بعون

الحق عليه، كمناسك الحج. إنه السيد الذى ملك سيادة وجوده ورسمها بهذا الشكل العبقرى لأى إنسان طالب صادق لهذا المعنى الإنسانى في مناسك الحج.

لنا عقول مهيأة لاستقبال نور الله، ولكن لا نفكر بها إلا فيما هو ظاهر لنا من عالمنا المادى. لنا قلوب لا نفقه بها لأنها غارقة فى رغبات نفوسنا، وغارقة فى أنانيتها. قلوب أصبحت بيوتا خربة، فقدت صفتها كبيوت للرب. ونفوس تعيث فساداً فى كل وجودنا بمكرها، فخبا نور العقل، ومات وجيب القلب، وتراجع الضمير، فاختلّ الميزان.

ولكن لا يأس من روح الله، ينتظر، ويعطى الفرصة تلو الفرصة، بدورات وكرات إلى الأرض. يعطى للإنسان الحرية الكاملة ليفيق. ويهيء له المجال والظروف المواتية للإتصال والوصلة بمن يتولاه، يذكّره بقيمة وجوده، وسبب تواجده على الأرض. فإذا استجاب، سار فى طريق يرسمه له أعلاه. يعينه على نفسه، وينير له عقله، ويطهّر له قلبه وروحه، ويعرّفه كيف يسلّم لمن علّمه. من علّمه موصول بأعلى، الأعلى يمنحه كل الطاقة والقوة والرحمة. من علّمه مالك الطاقة والقدرة والقوة والرحمة، كيف ينحر نفس الإنسان الذى سلّم له نفسه، ثم يوصله بمعناه الأعلى بربه الأعلى، حتى يستطيع أن يسير فى الطريق إلى معناه الإنسانى، إلى معناه الروحى، إلى معناه الحقى. يصير إنساناً حقاً، أداة خير وسلام ورحمة له وللناس أجمعين (فصلِ لربك وانحر).

(... إن شانئك هو الأبتر)

إن مبعدك .. إن مجافيك .. إنه من أغفل وجودك فيه (وأعلموا أن فيكم رسول الله)، (أنا حى فى قبرى) .. إن من لم يطلب ويرجو من الله معناه الإنسانى .. إن من اتبع هواه .. إن من حج ولم يزرنى فقد جفانى. هذا هو الأبتر. ولكن لم يخرج من رحمة الله، لأن رحمة الله موجودة فيه، فى أعماق أعماق وجوده، عليها أتربة وظلام، تكوّن من سلطان نفسه بمكرها أثناء

حياته، تفقد سلطانها بمكرها حين وفاته، وتفرض سلطانها حين يقوم حسابه (كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا)، (ويحذركم الله نفسه). "يُرَد هذا الإنسان إلى ربه مما عشق، وما كبر فى صدره مما خلق .. ثم يأخذ طريقه فى دورة أخرى بعد كرته الخاسرة".

إنها الطاقة المحركة للإنسان أثناء وجوده على الأرض. ألهمها فجورها وتقواها. كان لى شيطان فأعاننى الله عليه فأسلم فهو لا يأمرنى إلا بخير. إنها نفس رسول الله ألهمت التقوى حين رأت فى قديم المجالات المحيطة بصاحبها، مجالات كلها نور ورحمة، فتوارى فجورها خجلاً، ورافقته بالتقوى.

(ما أعطيته فلأمتى)، (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى).

هذا الأبتر .. الذى باعد بينه وبين المعنى الروحى .. الحقى الذى لا يفارق الأرض أبداً. هذا الأبتر متواجد فى كون الله، وتحديداً على كوكب الأرض. وصاحب الهدى والرحمة يقول: (جعلت لى الأرض مسجداً وطهورا). فهو الساجد لأعلاه، الذى كلّفه وحمّله بنشر الرحمة، بأن يهدى الناس إليها فى قلوبهم. فهو ساجد لله فى دوام طالباً الرحمة لكل من فى الأرض، بعد أن يطهرها مما علق بها من أدران النفوس وانحرافها.

باخع نفسه على آثارهم. فمن عشق النار ولهيبها، أدخله فيها بإرادته وحبه لها (إن عذابها كان غراماً) فظاهرها عذاب وباطنها تعليم. لأن كلمة نار إذا قرأناها من آخرها أصبحت ران أى غطى أو خفى، فمن فى النار بعيد عن رؤية حقيقة معناه فى الله.

فإذا أفاق من عشقه وهواه فى النار، ورأى طريق الهداية والرحمة، ربما وجد من تولاه أن يدخله جهنم ليطهره ويعلمه حقيقة معناه أكثر. فكلمة جهنم أيضاً لو قرأناها من آخرها لكانت منهج، فهو منهج تعليمى مرسوم ليعرّف الإنسان عن بعض المعانى التى توصله إلى الإستقامة فى الطريق

إلى معناه، أو تطهيره من معانى تعطله عن سيره فى طريق الله. (نار الله الموقدة التى تطلع على الأفئدة) تُطهر ما فيها مما سوى الله.

هكذا هو طريق رسول الله الكريم الذى أُعطى الكوثر، كرماً وجوداً وتفضلاً منه، لمن أراد بحرية كاملة، أن يهديه الطريق إلى صلة موصولة بربه بعد أن أقتنع وآمن وسلّم تسليماً، فنحر له نفسه. وإن لم يرغب الإنسان، فحريته وشأنه وطريقه فى الحياة مكفولة له بكل حرية واحترام وحب، إلى أن يرى بنفسه جدوى الإتصال والصلة برسول الله الكريم. هذا جلى الوضوح حين رأينا معاملة الرسول لجيرانه وعدم تفريقه بين كافر ومؤمن وأهل كتاب. ولم يفرض على أحد دين الإسلام. (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

هذا هو النحر على ما أفهمه وأتذوقه. إذا ملكت نفسك بعون رسول الله، وسلمتها تسليماً لرسول الله، هنا تتجلى الرحمة فيك، وتُنحر لك نفسك. فإذا فرغت منها، وتحولت إلى آمرة بخير، أمتد فيك رسول الله بكوثره، وما كوثره إلا رحمته (أنا رحمة مهداه)، لمن قَبِلَ الهدية، وهى رحمة الله، القائم فيها رسول الله.

هكذا هو فهمى فى سورة الكوثر "إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شانئك هو الأبتر".

الحـــج والنحـــر

أكرمـــــت منـــــك بمعـــــرفة عـن مـا فـى كيـانى وتكـــوينى

هـــــدانى علمـــــك لحـــــج لكعـــــبة هـــى ســـر مكـــنونى

قدمـــت طائفـــاً طالبـــاً راجـــياً معـــــنـاى.. تأجـــل لقـــــائى

ســعيت صـــافياً راجـــياً مـــروى منحـــت صـــفاءً ونـــوراً لكيـــانى

نلـــت مـــن عرفـــات بعلـــم محـــاط بجبـــل الرحـــمة أنـــار مكـــنونى

أزدلـــفت مـــن الرحـــمة فرحـــمنى بجمراتـــه رجمـــاً لشـيطانى وأبليسـى

أعنـــت علـــى نفســـى فأســـلمت وبفضـــــله نحـــــرت أبليســـــى

أكمـــلت دورة إنســـانى مســـكيناً أفـــاض بلقـــاء مـــن هـــو حبيـــبى

obeikan.com

الـــــزكاة

مفهــومها الشـــرعى

الزكـــــاة

بمعنى الطـــهارة

الزكـــــــاة

وارتباطـــها بالصـــلاة

obeikan.com

obeikan.com

الزكــاة وارتباطــها بالصــلاة

الزكاة بمفهومها الشرعى هى حصة من المال، أو ما يقابله من متاع الدنيا يوجب بذله للفقراء ونحوهم بشروط معينة يحددها القرآن، أو ما فُهم من آياته. هذا أيام الرسول (صلى الله عليه وسلم)، واستمرت لأزمنة بعده حتى الآن.

والنظام الإقتصادى الآن يفرض ضرائب على الدخل للوظائف العامة، وعلى أى نشاط تجارى أو صناعى أو سياحى، بنسب معينة للصرف منها على المرافق العامة الخدمية مثل الصحة والتعليم.

والسائد الآن أن الناس يدفعون الضرائب، ولا يؤدون الزكاة (إلا من رحم). ومن الملاحظ أن شروط الزكاة، والمبالغ التى تدفع عنها لم تتطور رغم تغير النظام الإجتماعى والاقتصادى. وهناك أناس حريصون على دفعها خوفاً من مخالفة ركن من أركان الإسلام، ويقام عليهم الحد من الله. وهناك من يتحايل فى دفعها.

ومن أمثلة هذا التحايل، سمعت أن فى بعض البلاد الإسلامية أن بعض أصحاب الملايين يدفعون الزكاة كما سنها الشرع القديم أو كما وصفت فى القرآن. فيملأ عبوات كثيرة من المواد الغذائية المنصوص عليها. هذه العبوات وما فيها تمثل جزءاً ضئيلاً جداً من المفروض أن يدفعه كزكاة، ويضع باقى قيمة الزكاة مالاً سائلاً فى عبوة أو أثنين مخبأة داخل المواد الغذائية التى ستدفع للمحتاجين.

وحين توزع هذه العبوات على المحتاجين، يساوم أحدهم الذى هو من نصيبه تلك العبوات التى تحتوى على المال السائل. يقول له: إن بيتى فى حاجة لما فى هذه العبوة وثمن العبوة (س) من المال، سأدفع لك ضعف ثمن هذه العبوة وتتركها لى. بالطبع يوافق صاحب العبوة، وبهذا يعود المال لمانح الزكاة. وهذا نوع من التحايل يلجأ إليه بعض أصحاب الملايين

بطريقة سليمة عادلة فى ظاهرها، غارقة فى تحايل ذكى على الناس، وزيف جلىّ على الله.

والزكاة بمفهوم آخر هى الطهارة. الإنسان الطاهر هو الذى اتخذ الطهارة أسلوب حياة. إذا تناول أى عمل فهو مؤديه بنية إتقانه، وإخلاص فى محاولة كمال ما يعمل، لا يضمر إهمالاً حين يقيس العائد أو الأجر الذى سيحصل عليه. (وقل أعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون). فالعمل لوجه الله .. الله معك يراك ويسمعك. فاجعله يرى عملك نابعاً من ضمير حى ويسمع قولك الصادر من قلب طاهر، يتخير ما يلفظ به حين يُعبر عما فى قلبه وما يبطن فى سريرته.

إن كل ما يصدر عن الإنسان من قول أو فعل، مع نية خالصة طاهرة، ينبعث منه طاقة خيرة، تضاف إلى مصادر الخير والمحبة، التى تعمل على نشر المحبة والسلام بين الناس.

كل ما يصدر عن الإنسان يرتد إليه بطاقات مماثلة تتغلغل فى قيامه وتشكله، وتحيط به، وترشده لمزيد من تلك الطاقة ومصادرها، ودرجات أعلى من تلك الطاقة تضاف إليه من الغيب.

(الحسنة بعشر أمثالها). فالطهارة هى صفاء داخلى يتسم به الإنسان الطاهر. هذا الإنسان الطاهر لجأ إلى فطرته السليمة .. فطرته الإنسانية، فأفاضت عليه من معينها الذى لا ينضب أبداً. هذه الأفعال الحسنة التى قدمها خدمة للناس تجذب إليه طاقات تعينه وتغذى هذا الأتجاه الخير فيه. وهذا هو ما أعرفه عن مضاعفة الحسنة بعشرة أمثالها.

وهذه هى الزكاة كما أفهمها بشكلها المعنوى، فيه كثير من التأمل الإنسانى وقليل من أرض الواقع المتصل بأداء الزكاة عطاءً وفعلاً.

"وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة" آية كثر تكرارها وهى تربط الزكاة بالصلاة. فمن تزكى هو من تهيأ لإقامة الصلاة. الإنسان الذى تطهّر وجوده من كل

أدران نفسه، هو الإنسان الموصول بمجال أعلى فى باطنه. الإنسان الذى وصله أعلاه، هو من طهّر قلبه من هفواته، وكل ميوله المتجهة والمرتبطة بحب وشوق دائم لما هو تحت حزامه.

تقوم الطهارة القلبية والعقلية إذا وصِلَ الإنسان بمجال أعلى .. بمجال أرقى من قيامه (رسولاً منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم) آية ١٥١ سورة البقرة. (من يطع الرسول فقد أطاع الله). فإذا وصلك الرسول بمجال منه أصبحت ممن تزكى.

قراءة الرسول للآيات تختلف تماماً عن قراءتنا لها. قراءته محملة بطاقة نورانية حقية، تسرى فى وجود من يستقبل منه هذه الطاقة لأنه (ذى قوة عند ذى العرش مكين) (صلى عليهم إن صلاتك سكناً لهم) وصِلة تطهر وجودك، وهذه هى الزكاة الحقة.

(والله يزكى من يشاء والله سميع عليم) هذه مشيئة الإنسان الذى يبدأ بها. يريد أن يتزكى، فيلجأ إلى الله، والله سميع عليم بالسرائر، فيعين الإنسان برسوله، وهذه مشيئة تضاف إلى مشيئة الإنسان الذى يريد أن يتزكى. ثم يساق هذا العون والمشيئة المضافة لمشيئة الإنسان. هذه الآية توضح الحرية الكاملة للإنسان، هو الذى يبدأ والله ورسوله المعين.

(قد أفلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى). إنها الحرية المطلقة للإنسان إن سار فى طريق التزكية بجد وصدق مع ذكر الله الدائم .. وذكر الله يؤدى إلى العون من الله للإنسان لمزيد من التزكية والذكر، فيوصل الإنسان بأعلاه، ويبدأ سيره فى الله. فهى ثلاث مراحل متزامنة: طهارة قلبية، تيسّر للإنسان ذكراً خالصاً طالباً وجه الله، هذا الحال يؤدى إلى وصلة بمجال أعلى مما هو فيه، كيفما يراه ربه أنه أهل له، وبقدر ما هيّأ الإنسان وجوده لإستقبال نفحات الله من صدقه فى صلاته.

(وأوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حياً) آية ٣١ سورة مريم. فى هذه الآية يتحدث السيد المسيح أبن مريم وهو فى المهد، أن أباه أوصاه بأن يذكر ويتذكر الصلاة بأبيه .. الصلة بأبيه ما دام فى حياة على الأرض وبعد غيابه بجسده عنها. السيد المسيح موصول بأبيه صلة دائمة قائمة لا تغيب أبداً. إنها صلة بمصدر الحياة الأرضية والسماوية الأبدية.

ولكن هذه التوصية من أبيه، يذكرها السيد المسيح وهو على الأرض. إنها رسالة منه لمن سمعوه وللناس أجمعين. للناس فهى تذكرة للقيام الناسى، وهو قيام الإنسان الموجود على الأرض فى حاجة إلى التذكرة المستمرة. من هنا على الناس أن يتذكروا الصلاة ويقيموها لأعلاهم، وهى تزكيهم إذا حافظوا عليها. لأن الصلة بأعلى لهم يعرفونه هى تزكية لكل وجودهم، والتزكية لوجودهم تزيد من صلة الإنسان بربه .. بأبيه .. بأعلاه. فالصلاة والزكاة هما معنيان متلازمان يؤدى أحدهما إلى الآخر.

أما الصلاة والزكاة التى أوصى الله بها السيد المسيح، فهى صلاة وزكاة مختلفة عن صلاة وزكاة الناس فى الدرجة فقط. فصلاة وزكاة السيد المسيح هما معنيان فى الله لا منتهى ولا نهاية لهما. فالصلة بالله لها مراقى ومعارج ومجالات موصولة بالله لا يدركها إلا من قام وتدرّج فيها. كذلك كل تزكية فى مجال أو مرتقى يختلف عن مجال ومرتقى فى الله أكبر .. فى الله اللانهائى .. فى الله المطلق.

نسأل الله أن يزكينا قلباً وعقلاً، وأن يطهّر أرواحنا، ويزكى نفوسنا، ونكرم بصلة دائمة قائمة فى زيادة دائماً وأبداً بكرم الله وجود الله ومنة الله.

الزكـــاة

قدمـــت زكـــاة مـــال مـــن مـــالى ... ســـألت اللـــه أن يتقـــبل زكـــاتى

علمـــت أن الزكـــاة مقبـــولة ... إذا أودعتهـــا مقـــرونة بصـــلاتى

طـــرقت بـــاب الموصـــول علـــه ... يوصـــلنى بمـــن يقـــبل زكـــاتى

زكيـت نفسـى وطـهرت روحـى ... بـه هكـذا يكـون مقبـول زكـــاتى

obeikan.com

الأركـــان الخمســـة

من قرأ الأركان الخمسة يلاحظ أن كل ركن منها وما يحمل من معنويات، إذا صدق الإنسان فى تأمله لأى منها، وحاول أن يحوّل فهمه فيها إلى قيام حال عنده، يقوم فيه بصدق، بعون الله وتوفيقه، يجد أن المعنويات التى قام فيها لأى ركن تؤدى إلى كسب الإنسان للأركان الأربعة الأخرى مجتمعة معنوياً.

إن كل ركن من الأركان الخمسة إذا تأملنا فيما قدمناه من تحليل وتوضيح حسب فهمنا فيه، يحمل فى طياته الأفكار والمعانى التى تحملها الأركان الأربعة الأخرى.

فالصلاة وما يعد الإنسان لها نفسه بالوضوء، وارتباطها الوثيق بالزكاة فى آيات عديدة، هى طلب ورجاء من الله أن يشهد الإنسان سر الله فيه. والشهادتان هما طلب ورجاء الإنسان الدائم، ولا يقوم الإنسان فيهما إلا إذا كان فى صلة بصلاة قائمة دائمة، وصوم هو بعد ومجافاة لكل ما يبعدنى عن ذكر الله، ومحاولة القيام بروحى، وهى الأصل الجامع المحيط بكل وجودى، وهى التى تقوم بالصلة بأعلاى، وهى التى تقوم فى معنى الشهادتين.

والحج هو الركن الجامع الشامل لكل المعانى الروحية والحقية التى يقوم فيها الإنسان والتى هى الأساس المكوّن لعناصر معنويات الأركان الأربعة الأخرى.

تأملى فى أن الله قد أودع المعانى التى على الإنسان أن يكسبها مجتمعة فى كل ركن من أركان دين الإسلام، هذا حسب تأملى وفهمى .. هو أن قدرة الإنسان على العمل والفكر والتأمل تتفاوت وتتنوع من إنسان لآخر. فتعدد المناسك بأركانها الخمسة هو ليأخذ منها الإنسان المعنى الذى تستطيع قدراته أن تؤديها، فقيامه فى ركن واحد حسب قدراته يعطيه القدرة على

القيام الصادق فى باقى الأركان. ثم يتطور لفهم، ثم إدراك لمعانى أعلى وأرقى فى حياته الحالية وحيواته القادمة.

هذا حسب اجتهاده وصدقه فى طلبه ورجاءه المنزّه عن تحديد شكل أو صورة للمعنى الذى يرجوه ويطلبه، هنا تشمله رحمة من الله تدفعه دائماً إلى الأرقى والأحسن والأفضل والأقوم.

obeikan.com

obeikan.com

القضـــاء والقـــدر

المفـــهوم العـــام

عند النـــاس

معـنى القــضاء والقــدر

كمفهــوم خـــاص

لـه ربــاط وثيــق بالرســالة الروحــية

obeikan.com

obeikan.com

القضـــاء والقـــدر

القضاء والقدر فى مفهوم الناس راسخ من قديم، حيث أن الناس عطلوا نور عقولهم، ولم يتجهوا لفطرة الله فى أعماقهم، ولم يستفتوا قلوبهم، فكانت النتيجة هو اعتماد كلى على من وضعوا شروحاً، ووهم تفسير لكلام الله. فبنوا فكراً من خيالهم أسموه فقهاً، وانساق الناس وراء ما قدموه لهم دون تطوير أو مراجعة عبر مئات السنين، متناسين سنة التطور فى خلق الله من ترقى وتطور بنور الله الدائم الذى كان رسول الله الكريم يستغفر الله منه سبعين مرة فى اليوم الواحد حين يكرمه الله بنور أرقى وأعلى مما عنده.

تراكم الصدأ على القلوب، والأتربة والظلام على العقول، ولم نشعر بغيرة من تقدم الشعوب من حولنا، ومحوهم لسلطان الكنيسة وأبدلوه بنور عقولهم، ونحن نعتمد كلية على ما ينتجون لبطوننا ومظهرنا، رافضين فكر العباقرة منهم لأننا نعتبرهم كافرين. والنابهون النابغون، العباقرة العالمون منا لا يجدون مجالاً لإستخدام علمهم، فيهربون، ويرحب بهم أخواننا فى البشرية، الذين يحترمون ويقدرون عقل الإنسان.

إننا نتخيل .. بل نعتقد إعتقاداً راسخاً أن هناك إله يجلس على عرش، ومطّلع على كل شىء فى الكون، يصرّف شئون الناس، ويرسم ويقدِّر لهم حركاتهم وسكناتهم، وكل ما صدر عنه من كتب مقدسة هى أوامر صارمة جازمة محددة، وموقوف معناها وفهمها على القائمين على شرح وتفسير كلام الله الذى جاء بهذه الكتب المقدسة، وعلى الناس فى الأرض جميعاً الطاعة. لا نُعمل عقلاً، وإلا نكون من الكافرين. ولا يجرأ أحد من الناس أن يقدم فهماً يخالف هؤلاء الذين أقاموا أنفسهم حماة وشيوخاً لهذا الدين.

وشيخ الفقهاء الكبير أبن تيمية ألغى ونفى أى حديث للرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) يُذكر فيه أى شىء أو قول عن العقل. علينا أن نكون مقلدين وببغاوات مرددين. ونصيبنا فى آخر المطاف جنة أو نار حسب ما يرى الإله، لا دخل للإنسان فى مصيره أو فى حياته.

سوف أتناول هذه القضية من منظورى ورؤيتى الخاصة، وهى فهم من فهوم، لا قطع فيه ولا أدعاء أنه الحق أو الحقيقة. كل فكر قابل للتعديل والمراجعة والتصحيح بفكر أعلى وأرقى وأصفى.

أم المشاكل هو فهم الناس فى مسألة القضاء والقدر. الفهم فيها أدى بما يسمون أنفسهم بالمسلمين إلى التخلف عن مسيرة البشرية إلى التقدم فى كل مجالات الحياة. لو تأملوا فى بعض آيات الله التى بين أيديهم، لساقتهم إلى الفهم الصحيح للقوانين التى ذُكِرت فى القرآن عن هذه المسألة.

(كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم ثم يحيكم ثم إليه ترجعون) آية ٢٨ من سورة البقرة. كنتم أمواتاً فى عالم من عوالم الله، فأحياكم بأن أرجعكم إلى الأرض لتكملوا مسيرتكم فى إنسانيتكم إلى الله، أو تصححوا ما ارتكبتم من أخطاء، ثم يميتكم، وبموتكم تنتقلون إلى حيث تستحقون من مجالات الله لا حصر لها. ثم يحيكم مرة أخرى بمولد على الأرض. وهكذا إلى أن يستوى الإنسان، ويكمل نموه فى الله، ويشرف بعروجه إلى حضرة مولاه (ثم إليه ترجعون).

واضح من الآية أن كرات الإنسان على الأرض عديدة. فنحن بترنا كل ما حصّل الإنسان من مجموع كراته وما كسبه فى كل مرة (ذكرت فى القرآن بكلمة كرة)، وأضيف إلى وجوده، ونظرنا إليه على أن حياته على الأرض هذه هى المرة الواحدة والوحيدة، وسوف يذهب إلى جنة أو نار بعد موته، ولن يعود إلى الأرض مرة ثانية.

فما رأى أصحاب هذا الفهم فى الآية التى تقول: (ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحاً إنا موقنون). لو كان هؤلاء غير موقنين من رحمة الله وكرمه ولم يكن عندهم يقين بهذا الرجوع لما طلبوه.

وقول آخر: (الله يبدأ الخلق ثم يعيده ثم إليه يرجعون). الأفعال هنا فى صيغة المضارع، أى استمرارية الخلق، وإعادة ما خلق بخلق جديد، كرة من

كرات، بقانون تتابع واستكمال المعانى الربانية للإنسان. وليس من المعقول، وليس فى استطاعة أى إنسان أن يكسب كل المعانى الإنسانية فى حياة واحدة.

الخُلق الكريم، والصفات الربانية التى اتصف بها رسول الله الكريم الذى كان خلقه القرآن .. وأدبنى ربى فأحسن تأديبى. ومن واقع رحمته، وما التزم به حباً في رضاء الله ورحمته المهداة للناس، أعلنها محباً (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى). ونعرف أنه مثالية من الله للإنسان .. مثلٌ يحتذى (إنك على خلق عظيم)، (وما أعطيت فلأمتى). فكيف يكون فى استطاعة أى إنسان أن يقوم فى كل هذه المعانى التى هى ملك يمين رسول الله، فضلاً عن وعده لمحبيه أن يهبها لهم، فى حياة واحدة!

رجوع الإنسان هذا بمحض اختياره، ليصحح أو يضيف أو يستكمل حياته الروحية الممتدة كما ذكرنا. هذا الإنسان أكرمه الله باستنارة كشفت له طريق الحياة الممتدة. أمتداد الحياة هذا وتكراره معروف حديثاً منذ أكثر من مائة عام حين ظهرت الرسالة الروحية فى أمريكا ثم انتقلت إلى أوربا. ثم كان نصيب مصر من هذه الرسالة هو العلاج الروحى والإرشاد المعنوى. وما وصل لنا من هذه الرسالة إلى مصر لم يستمر، لأن جحافل أعداء كل جديد منتشرون فى كل ربوع البلاد، وما زالوا منذ خمسينات القرن الماضى وقبل ذلك بكثير حين رفضوا وحاربوا الرسالة الروحية، كما حاربوا كل فكر يحرر العالم الإسلامى من الفكر السلفى وتسطيح المعانى الربانية. هذه الحرب كانت ضد رواد حرية الفكر، مثل السادة على عبد الرازق، وطه حسين، وعبد الرحمن الشرقاوى، وعبد الرحمن بدوى، وغيرهم كثير. وقديماً السادة أبن سينا والسهروردى والحلاج وغيرهم كثير.

هذه الرسالة الروحية خرج منها أهل الغرب بأن الإنسان هو خليفة الله على الأرض، نفخ فيه من روحه، وكرّمه (كرمنا بنى آدم). ظهرت الرسالة الروحية وشجّعت كل العلوم، وساعدت إنسان الغرب، المستجيب للتطور

والرقى، فى اختراع بعض الآلات الدقيقة الكترونياً، يستطيعون بها أن يشاهدوا ما كان غيباً على الإنسان. مثال ذلك: رؤية الجسد الأثيرى لروح الزائر وسماعه عن طريق وسيط أو أجهزة أخرى؛ رؤية الأجساد الأثيرية وهالة الإنسان. وأصبح لديهم كليات عملية تساعد الباحث روحياً على اكتشاف أشياء كثيرة لا حصر لها مثل الكيمياء الروحية، والفزياء الروحية، والطب الروحى، والحكمة الروحية، والتعرّف على أن هذا الإنسان تواجد على الأرض عدة مرات لإستكمال أهدافه المادية العلمية، والروحية المعنوية.

وفى الهند واليابان وبلاد كثيرة فى آسيا يعرفون أن حياتهم الحالية هى امتداد واستمرارية لرقيهم وتحصيلهم من علم الله عن أنفسهم وذواتهم ومعانيهم الروحية، بنوها وبدأوها من حيوات سابقة. وهذا سر ارتقاء الإنسان على الأرض عقلياً وعلمياً وثقافياً، وفهماً لحياته الأخروية، أو الحياة فى عالم الروح، حيث أن الأرواح المرشدة تعرّف وتوصف على قدر استيعاب عقل الإنسان عن ما هى حياة الإنسان بعد انتقاله.

كل ما تقدم يوضح أن الإنسان المتواجد على الأرض الآن ليس موجوداً لأول مرة، وإلا كان العدل الإلهى به خلل، وظلم، ومحاباة لبعض خلق الله على حساب الآخرين. كيف يعيش جارى فى قصر فاخر، وأنا أعيش فى عشّة ليس لها مرافق؟ كيف يعيش فلان فى بزخ، وأنا أبحث فى فضلاته عن ما يسد رمقى؟ كيف يملك سيارات وطائرات فاخرة يستخدمها فى تنقله، وأنا أمشى على قدمى لمسافات طويلة أتصبب عرقاً وأحترق تحت شمس الصيف، أو أتجمد فى برد الشتاء.

(إنها أعمالكم ترد إليكم)، (وما ربك بظلام للعبيد).

من ينتقل لعالم الغيب، ليس فى حاجة لمعدة، ولا لكل ما تحت حزامه. إنما التعامل يتم عن طريق تبادل طاقة الفكر، الصادرة عن العقل. فالأعمال ترد للإنسان فى المجال الذى ارتكب فيه الفعل، وليس فى مجال غيبى. فضمير

الإنسان وعقله هما ميزان العدل فيه، إذا تم لهما إفاقة، فيقضيا على الإنسان الرجوع إلى الأرض ليكفر عما فعل حين كان على الأرض.

هنا يتخذ الإنسان الذى يسير إلى حال يمكِّنه من التكفير عن ما ارتكب فى سابق من حياة. فمن يعمل مثقال ذرة من خير أو شر يراه بعد انتقاله فتُرتّب الظروف والأماكن والأحوال له ولمن تعامل معهم ليرجعوا، ويتم تصفية كل الأخطاء أو الاستزادة من كل ما هو فعل حسن.

وهناك من الناس من لم يفق بعد لمعناه كإنسان .. من مات ضميره وقلبه، وأظلم عقله، وتسفل لعدم مجاهدته لنفسه، فهو بعد انتقاله لا يفارق الأرض، ولا يفارق أو يتخلى عن كل شروره، فهو يمارسها على الناس ضعاف العقول والنفوس، الذين لم يكتسبوا طاقة نورانية، ولم يطلبوا حماية ربانية أثناء تواجدهم على الأرض. فيدخل هؤلاء عليهم من باب هالاتهم وأجسادهم الأثيرية، ويسكنون فيها، ويدفعون بهؤلاء الأشخاص إلى ارتكاب كل ما هو فى جعبة هؤلاء الشاردين المنغمسين فى كل أنواع الشرور. ويوجد فى الأرض الكثير منهم. وهذه الأحوال ما نطلق عليه المس الروحى، والمس الأرضى، ومس الجن وهكذا.....

ذكرنا كل هذا لنبيّن أن الإنسان هو الذى يشكل ويخلق المجال الذى سوف يعيش فيه عندما يرجع إلى الأرض. قولنا هذا لا ينطبق على الإنسان الشارد الجاهل الذى لا يعرف من حياته إلا الحياة الأرضية وما فيها من شهوات وأطماع واعتداء، وليس له من طاقة روحية تدفعه خارجها، فهو يعيش فى الأرض بجسده، وحين يفقد جسده بظاهرة الموت، يعيش عليها بشهواته ونزواته وشروره. وله بالقانون الطاقة التى ينفِّذ بها ما يحب (وما تشاءون إلا أن يشاء الله). فمشيئة الله مرتبطة بمشيئتك إن خيراً فخير وإن شراً فشر، ولكن فى حدود القانون الإلهى المطلق، وهو على ما أفهم: كل فعل له رد فعل. والكل خاضع للقانون. وهؤلاء الشاردون المعتدون يُستخدَمون كأداة فى يد القانون الإلهى الذى لا يخرج من طائلته أحد. ثم

ينفّذ فيهم القانون برد فعلهم إليهم. وهكذا يعمل القضاء والقدر ليس حسب رؤيتنا وفهمنا، ولكن وفقاً للقانون الإلهى المعصوم الذى لا يخطىء أبداً.

أما ما تعودنا قوله وفق موروثنا الدينى هو: الله هو الفاعل. كل شىء يتم بأمر الله. وأن الإنسان ليس له من الأمر شيئ، ونستشهد بالآية: (إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون) و(إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون).

الأمر فى الله، والشىء إذا أراده الله ليس لهذه المعانى علاقة بالقضاء والقدر. ذَكِرت الآيتين لأن لهما علاقة وثيقة ببعضهما، وسوف أتناول بالتفصيل فهمى فى الآيتين بعد أن نعرف العلاقة بين الفعل الصادر من الإنسان، وعلاقة الغيب بالإنسان وفعله، وكيف يكون رد الفعل أو القضاء.

إذا كان الله هو الذى قضى بهذا الفعل، والإنسان مجرد أداة فى يد الله، لا حول له ولا قوة، ولا إرادة له فيما يقوم بفعله، فإن الإنسان غير مسئول عما يفعل، وليس للمحاسبة أو رد الفعل أى معنى أو سبب. وإذا كان حال الإنسان على الأرض وأفعاله التى تصدر عنه من تقدير وفعل الله، فهذا قول يتعارض مع: الله غنى عن العالمين .. لا تنفعه طاعة ولا تضره معصية. إنما القريب إلى الصحة أو الحقيقة فى هذه المسألة الشائكة هو أن الله أعطى الإنسان خلقه ثم هدى. هديناه النجدين .. من يعمل مثقال ذرة خير يره، ومن يعمل مثقال ذرة شر يره .. ليس للإنسان إلا ما سعى.

إنها مشيئة الإنسان. وحين يذكر القرآن أو الرسول فى أحاديثه أن الله يفعل أو يأمر بشىء، فالمعنى على ما أفهم هو القانون الغيبى، بمعنى القانون الذى يُنظم سير الكون والكائنات فيه، أما لفظ الله هو ما يعبر عنه بالقدرة التى وراء كل الأفعال والأقوال، ومحيطة بكل الكائنات. فحين نذكر الله نتذكّر هذه القدرة، لأن القدرة أو الله لا يمكن تصوره أو نرسم له شكلاً، ولا نستطيع أن نقول أن الله هو المطلق فى أفعاله بعيداً عن إرادة الإنسان ونيته. (هل تعلم له سمياً). فالله ليس له أسم .. فلفظ الله يشير إلى القانون. فالقدرة

تعمل مع الإنسان بقانون كل فعل له رد فعل، وما نراه من أحداث وأحوال الناس على الأرض هو نتيجة ردود أفعالهم كما ذكرنا.

وإذا أردنا أن نعرف أحوال وأنواع الأرواح التى انطلقت من أجسادها بظاهرة الموت، كيف هم؟ فلنستمع إلى السيد سلفر برش سفير الأرواح العليا فى دائرة من دوائره فى لندن: "إننا نتعامل مع ملايين الأرواح فى أطراف كثيرة من عالم الروح، منها الأرواح المريضة، وأرواح صغار السن، وأرواح فاقدة الوعى وأرواح لا تدرى من أمرها شيئاً، وأرواح هائمة وعابثة وشاردة. الكثير منهم يأتون ألينا من عالمكم الأرضى حاملين معهم نتيجة أعمالهم من ظلام وحقد وجشع. أما من تطهرت أرواحهم وبدأوا رحلتهم على الأرض متجهين إلى قلوبهم ليشهدوا سر الله فيهم جاعلين هذا هدفاً لهم من تواجدهم على الأرض، يأتون إلينا بنورهم وصفائهم".

وتعليقاً على حديث السيد سلفر برش نقول: إن الأرواح المريضة .. هى مريضة نفسياً. إنها تعمل بأنانيتها، لا تحاسب نفسها كأى نفس لوامة، فهى لم تبدأ حياة الروح بعد. الفاقدة الوعى والتى لا تدرى من أمرها شيئاً، فهى لا وعى لها مستقل مبنى على تأمل وتفكر وتدبر ما يعرض لها من أمور. عملها يتم كرد فعل لما يعرض لها من أمور وأحوال، وتسير منقادة وراء ما هو سائد وعام دون إعمال فكر فيه.

والأرواح الهائمة والعابثة والشاردة .. من يهيمون على وجوههم فى الأرض، يعبثون، وتركهم لأجسادهم لم يمنعهم من الأستمرار فى ارتكاب نفس أفعالهم حين كانوا فى أجسامهم على الأرض، ليس لهم وجهة ولا هدف، يلحقون الضرر بأرواحهم وبأرواح من يصادفونهم من الناس، وبمن كانوا يعيشون معهم. هؤلاء لم ولن يخرجوا من طائلة القانون، فهم من تسفل إلى تسفل أكبر. كل أعمالهم تُرد إليهم بميزان القانون الدقيق، ومتى يرى القانون. إنهم ينتقلون بظاهرة الموت آخذين معهم كل أفكارهم من شر، وما

يقدمونه من خير، ويمارسون كل ما كانوا يفعلون أثناء تواجدهم على الأرض.

وكما ذكرنا أن الإنسان إن لم يعرف سبب وجوده على الأرض، ويعرف كيف يطور وجوده ويدفع به إلى طريق النور والحياة، مسترشداً بمن سلك طريق الحق والحياة، أو معتمداً على ما كوّن من خبرة شخصية من تعاملاته، فسوف تكون أعماله نابعة من ظلام نفسه، وحقد وجشع نفسه، وينتقل بكل هذه الطاقات السلبية إلى تواجده الجديد بدون جسده المادى وهو يحمل كل هذه الصفات. وإذا أتيح له دورة أخرى على الأرض، بمولد جديد وجسد جديد فهو حامل لكل ما مات عليه، (يبعث المرء على ما مات عليه)، إن كان فى حياة بجسد مادى، أو بحياة بدون جسده المادى.

أما من تطهرت أرواحهم وهم على الأرض، وبدأوا رحلتهم إلى جوانيهم من قلوبهم ليشهدوا سر الله فيهم، فلهم شأن آخر، ومسار آخر. فهم فى رعاية وحماية من كل الأرواح العابثة والشاردة. هؤلاء لم يخرجوا من سلطان القانون الإلهى عليهم. إنهم حريصون على احترام القانون وذلك بمراقبة نفوسهم، وتركيزهم على تزكية وجودهم يبعدهم عن الظن بالآخرين، فهم يحسنون الظن بالناس جميعاً، ولا ينظرون بحقد أو غيرة لما فى يد الآخرين حتى لا يدخل فى قلوبهم ظلام، وطاقات سلبية تعطل مسارهم وتبعدهم عن هدفهم. الحب دينهم والرحمة ثمار عملهم. الحلال بيّن والحرام بيّن عندهم. إنهم يملكون ضميراً حياً وقلباً طاهراً، نابعاً من استقامتهم مع قانون الحق والحياة.

فالإنسان يأتى إلى الأرض بكل ما كسب من خير ومن شر مسيّر بالقانون الإلهى فى حالة من وضع اجتماعى متناسب ومطابق تماماً بميزان دقيق لما فعله فى حيواته السابقة. وفى نفس الوقت هو مخيّر بحرية كاملة فى إصلاح كل ما يراه ويحسه غير مواتى لما يراه من استقامة، لتمحوا ما فعله من سوء فى حيواته السابقة. وربما يريد أن يسير فى طريق الرقى

لوجوده بعد تطهيره من سابق فعله، فرجوعه إلى الأرض هو رحمة بوجوده وعتق لوجوده من عبوديته لنفسه، وفرصته مواتية لتصحيح مساره إلى الإرتقاء بوجوده إلى إنسانيته.

فالإنسان مسيّر بالقانون الإلهى المطبق عليه طبقاً لما فعله فى حيواته السابقة، ومخيّر أيضاً بالقانون الإلهى .. خيار حر .. حرية مطلقة فى كل ما أفكر وفى كل ما أعمل وفى كل ما أتجه إليه .. أصحح أو أعدّل ما فات، أو أستمر فيما أنا كنت عليه فى سابق من حياة.

فلا تواكل، ولا ركون لقول قد أسيىء فهمه، ولكن توكل. المتوكل على الله هو أن أطلب وأرجو من الله (القانون الإلهى) أن يعيننى على ما أطلب ويعطينى قدرة إضافية لما عندى من قدرة لأسير إلى هدف أرجوه، فإن لم أستعمل الأدوات التى مُنحت أياها (عقل وقلب ونفس وضمير) للوصول للهدف الذى أطلبه وأرجوه، فلن يتحقق لى شىء.

أما فهمنا فى الآية: (إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون).

إن أكثر المسلمين يفهمون هذه الآية على أن الله إذا أراد خلق شىء من العدم، فإنه يقول له كن فيُخلق، ويتواجد فى الوجود، ويكون له كيان مشاهد وملموس حى، يتم هذا بقدرة الله. وهذا الأمر له علاقة بمفهوم القضاء والقدر عند أكثر الناس. وذلك من فهم الناس لآية أخرى تقول:(إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون). وكذلك (الله على كل شىء قدير).

فهمنا لهذه الآيات المتصلة بذكر قدرة الله على أنها قاهرة وتفعل ما تشاء دون تبرير، ولا دخل لعقول الناس التى تزن الأمور على الأرض بميزان السبب والمسبب. وكل ما يبدى الناس فى هذه الأمور أن يقولوا: "لا حول ولا قوة إلا بالله". فهو تسليم بإذعان دون محاولة فهم أى قضية أو مسألة غير مبرر القضاء فيها، بعكس ما نعرف وتعارفنا عليه فى عالمنا المادى. فهمنا لهذه الآيات نابع من عدم التعمق بفكرنا فى هذه الآيات، واعتدنا أن

نتبع فى فهم كلام الله فى القرآن على ما يسمونه تفسير فلان، الذين كانوا يعتمدون فى تفسيرهم على الفاظ اللغة بتسطيحها، هذا من جهة.

ومن جهة أخرى فهم يفسرون الآيات حسب ما نُقِل إلينا من أسباب نزول هذه الآيات. وأحياناً يستندون إلى قول من أقوال الرسول، ولكن لم يخرج تفسيرهم للقرآن الكريم عن عقيدتهم وفهمهم لرسالة رسول الله محمد بتصور مادى لا يخرج عن نطاق مفهوم نطاق الأرض. وخلقوا من هذا الفهم سلطة دينية. ولو أن الآيات تفهم حسب سبب النزول، لكان القرآن مقصورا على من نزل فيهم ولم ينزّل للبشرية جمعاء.

أما ما تحمل الآية بألفاظها من معانى روحية باعتبار أن الرسول هو "روح القدس"، أو ما تحمل الآية من معانى حقية فلم يتناولها السابقون من هذه الوجهة. وهذا ما قاله الرسول عن نفسه: (أنا الحق من ربكم) و(من رآنى فقد رآنى حقاً)، فلم يلمسوا هذا الجانب الروحى أو الحقى للرسول فى فهم الآيات. وهناك بُعد آخر ذُكِرَ فى القرآن وقاله الرسول فى أحاديثه، وهو البعد الذى يهم الناس من مجال الرحمة التى ينالونها من الرسول لوجودهم ألا وهى (أنا رحمة مهداة) إذا تعرضوا لها وآمنوا بوجودها فى امتداد رسول الله.

هذه المعانى الثلاث وهى فهم آيات الله من الناحية الروحية لم يطرقوه، وفهم الآيات من الناحية الحقية لم يستلهموه من إنسان تحقق فى الله، فيعلمهم معانى القرآن من معينه الحقى، وصلته بمجالات القرآن الحقية. وجانب الرحمة الذى يخاطب الإنسان عن كيفية اتجاهه إلى باطنه ليطهره ويصب فيه ما يرحم به وجوده من معانى الرحمة التى قام فيها رسول الله الكريم، ويمنحها هدية لمن يرجو الرحمة لوجوده (أنا رحمة مهداة) وأيضاً لكل من يعرّضوا وجودهم لهذه المجالات الثلاث .. الروحية، والحقية، ومجال الرحمة. ولا اتجهوا خالصين مخلصين لأى إنسان قائم الرحمة فى الأرض من بينهم.

أما التفسير الذى قدموه معتمدين على أسباب النزول، وأقوال الرسول، وسطحية اللغة القريبة إلى معنى مادى للألفاظ، هو الذى ساد وانتشر إلى الآن، غير متأثرين بكل ما هو جديد من معانى وعلوم. وكل ما يظهر من إنسان حى باطنياً (روحياً وحقياً)، بل يحاربوه ويكفروه، ويأخذون بالمنقول ويفرضوه، ويثبتوا الموروث من مفهوم القضاء والقدر.

أصبحت كتب القدماء شبه مقدسة مثل القرآن، وإنها صحيح الدين.

هؤلاء المفسرون ينتمون إلى عصور قديمة لا تمت لنا بصلة. وتفسيرهم يتسم بالسطحية المفرطة، ومتعلق بمذاهبهم الفقهية، التى تنسخ آيات بآيات أخرى. والآيات المنسوخة التى لا تتفق مع عقيدتهم فينسخوها بآيات أخرى. آيات القرآن لا ينسخ بعضها بعضاً، ولكن هناك آية لقوم حديثى العهد بالدين الإسلامى، ودخلوا فيه، فلهم آيات تحذرهم من بعض ما اعتادوا عليه طوال حياتهم، ثم بعد ذلك يتطور إدراكهم .. أبتعاد بعد تحذير، ثم منع ثم تحريم. الإسلام يستوعب كل خلق الله بأطيافهم وملهم وأديانهم، لأنه لا يوجد على الأرض من إنسان لا تشمله رحمة الله. الله مولى كل خلقه .. يتولاهم بالرعاية والحماية والإرشاد والهدى، كلٌ حسب مستواه.

رسول الله محمد صل الله عليه وسلم لم يفسر القرآن، وكان الحديث الموجه إليه: (فإذا قرأناه فاتبع قرءانهُ، ثم إنّ علينا بيانه) فلم يفسر الرسول محمد القرآن حتى لا يثبّت هذا التفسير عند المسلمين، ويكون حجة لا يمكن لأحد أن يتعداه، أو يقدم تفسيراً آخر على مر العصور. رغم أننا نعلم أن الرسول صرّح بأن الله أعلمه فى موقفه هذا ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. فهو يرى أن البشرية تتطور بنور الله لعقولها وتتسع لمفاهيم ومعانى للقرآن على مر العصور لا يمكن لمن كانوا فى عصره القدرة على استيعابها، لأن البشرية فى تطور مستمر بنور الله المكتسب والموهوب من الله لعباده الصالحين .. أمتداد رسول الله الكريم وعطرته وآل بيته.

كرم الله وفضله المعطى لرسول الله لا يحرم منه من كانوا صادقين، لنور الله مستقبلين، ولرحمة الله فى قلوبهم متسعين، ومِنة رسول الله ورحمته وجودهم معبّدين. فى هذا المقام نحن لا نتحدث عن هؤلاء. هؤلاء استثناء.

رسول الله الكريم صرّح لمحبيه، ولمن ساروا وراء ما اهتدوا إليه بنفوسهم بأن: أنا لها أنا لها .. لا أرضى وأحد من أمتى فى النار .. جُعلت لى الأرض مسجداً وطهورا. فهو لم يتركها، لا هو ولا أحد من أنبياء الله. كلهم طاقات إلهية نورانية مكلفون بتطوير البشرية. فكيف لنا أن نتّبع أو نأخذ بتفسير من عاشوا فى عصور لم ينالها نور الله من علم ومعرفة وتقدم مذهل كعصرنا والعصور التالية.

ما يحدث هو قدرة الله .. ربنا عاوز كده .. ليس فى الإمكان أبدع أو أفضل مما كان .. شوف تصريف الله! يا سلام على قضاء الله وقدره .. أنت تريد والله يفعل ما يريد. إنسان كسول خامل، لا يُعمل عقله فى أى أمر، محبط، يترك الأمور تسير بوهم قدرة الله، ألغى عقله، محا قدرته، غير متقن لأى عمل رغم قراءته للآية (وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون)، (وما تشاءون إلا أن يشاء الله)، أين مشيئتك حتى يدفعها الله ويمنحها القوة من مشيئته، فيظهر عملك على خير ما يكون، نافعاً لك وللناس، بنية منك صافية، فتعان من طاقة إلهية معينة.

ونرجع لمحاولة فهم ما تقدم من آيتين ونرى محاولة فهم فيهما، لندرك على قدر معرفتى عن معنى القضاء والقدر، ولا أقول تفسير، لأن آيات القرآن فيها من المعانى الكثير، فلها أوجه كثيرة، لا يعرف باطنها إلا إنسان قد قام فى معنى الآية، والآية تمثل قيام حال عنده (كان خلقه القرآن). والإنسان الذى يتعرّض لبيان آية وما فيها من معانى لديه من نور الله وعلم الله ورحمة الله ما يؤهله للتصدى لبيان وجه من وجوه الآية مناسب ومتوافق مع المكان والزمان والناس الذين يوضح لهم معنى هذه الآية.

ليس هناك ما يسمى بتفسير القرآن. القرآن لا يفسر. علمه عند من أنزله. إنها محاولات فهم فى آيات الله. يختلف الفهم فى الآيات حسب ثقافة وعلوم العصر الذى قام (س) من الناس لتقديم فهمه. أما أن نقطع بأن هذا تفسير لآيات، هذا تجاوز، لأن القرآن صالح لكل زمان مهما تقدم بمعنوياته، وعلا بثقافة رجاله. علينا أن نتواضع حين نقدم على فهم تنزيل غيبى، لأن المجال الأرضى الذى نحن فيه محدود جداً بأبعاده الروحية والحقية والمعنوية. إنها محاولات منا للإقتراب من المعنى الروحى أو الحقى الذى يرقى بوجودنا ونقترب منه بمحاولة الفهم عن طريق التفكر والتأمل والتدبر لكل ما هو غيبى.

وليعلمنا الرسول الكريم عن هذا المعنى يقول لنا (ها أنا رسول الله بينكم ولا أدرى ما يفعل بى غداً). شاهد أنه أداة طيعة فى يد الله يفعل به الخير كل الخير له وللناس أجمعين. ويرى من آيات الله فى باطنه وفى الأفق من حوله ما يؤكد له أن قدرة الله وتصريفه لانهائى .. لم يتواكل ولكن كان لا يكف عن الذكر والتأمل والتفكر فى كل أمر، رغم علمه أن الله أعلمه فى موقفه هذا ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة. تأمله وتفكره يجذب إليه فيضا ومعرفة من الغيب أكثر تنير له مجالا روحيا أو حقيا من مجالات الله اللانهائية، وهذا واضح من تصريحه فى طلبه الدائم من الله (إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة .. أأغيان أغيار يا رسول الله .. لا بل هى أغيان أنوار). والرسول يعلم علم اليقين أن فوق كل ذى علم عليم.

وهذه محاولة فهم منى لمعنى الآية: (إنما قولنا لشىء إذا أردناه، أن نقول له كن فيكون).

إنما: تأكيد وتوضيح أمر.

قولنا: من الرفيق الأعلى مصدر آيات الله، والحديث موجه لرسول الله.

لشىء: والشىء هنا على ما أفهم هو شىء قد أصبح حياً، لأن الخطاب لا يوجه لجماد. هذا الشىء قد تكوّن وأصبح شيئاً فى استطاعته أن يستوعب خطاب الأعلى له. والذى يستوعب ويدرك خطاب الأعلى هو إنسان. إنسان قد تكوّن من لاشىء إلى شىء. تكوَّن من شبه إنسان .. من صورة إنسان إلى أن أصبح شيئاً محل حديث الأعلى له (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً) سورة مريم آية ٩.

كلنا أمل أن نكون هذا الإنسان (إنسان أملاً، لم نبلغ بعد مقام الإنسان) الذى يجاهد نفسه فى الله لتسلِّم وتصبح آمنة تأمر بخير، ثم تدخل فى عبد من عباد الله تتطور فيه عقلاً وقلباً ونفساً وذاتاً إلى أن يتكوّن ويصبح شيئاً. هنا يكون محل خطاب الأعلى، لأنه تكوّن وأصبح شيئاً. كلام الحق ليس كلاماً ولكن طاقة حقية نورانية لا يستطيع استقبالها إلا إنسان قد تكوّن فى رحم الوجود الحى، وهو عبد من عبادنا، فأصبح شيئاً من أشياء الوجود الحى. هذا الشىء الذى أصبح وجوداً حياً هو من تتجه إليه إرادتنا .. إرادة حية، فاعلة، قادرة أن تجعل هذا الشىء يتجه إلينا راجياً طالباً محباً مريداً لنا (إذا أردناك فكان كل ما فيك يريدنا).

إذا أردناه: إن رأيناه قد تهيأ بكل وجوده لنا، فارغاً مما سوى الله، نقول له كن فيكون.

كن فيكون: كن .. هذا أمر محمل بطاقة حقية لهذا الشىء الذى عرّض وجوده للأعلى، وأراد محباً راجياً طلب أعلاه، فتحوّل بأمر من إرادة حية فاعلة من شىء إلى كينونة فى الله، أصبح كائناً حياً، قائماً على وجوده، طليقاً فى الله ذى المعارج.

نسأل الله أن نكون محل نظر عبد من عباد الله الصالحين .. يرانا وقد أكرمنا الله بهداية نفوسنا، وأنارة عقولنا، وطهارة قلوبنا، فننطلق فيه بأرواحنا.

(إذا قضى أمراً فإنما يقول لـه كن فيكون)

نفهم هذه الآيـة بآيـة أخرى وهى (ذوالعرش يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده)، وأيضاً الآيـة التى تقول: (أتـى أمر الله فلا تستعجلوه).

أقول حسب فهمى .. وهناك بالطبع فهوم أعلى لـها نصيب من الصحة أكثر بكثير مما أقدم. وهذا اجتهادى فى الفهم، أرجو من الله أن أكون قريباً من الحق.

الأمور فى الله كثيرة، وقد قلنا فى الآيـة السابقة أن أمر الله هو إنسان فى طريقه فى الله اللانهائى من الرقى فيه، فجعل لـهذا الأمر .. لـهذا الإنسان حيث رآه قد طاب واستوى، ومعد وجوده لأعلاه ينمو ويتطور فى مجال أعلى من مجاله ومن وجوده، فحق على هذا الإنسان وقُضى لـه أن يتحوّل إلى كينونة حية فى الله.

ذو العرش .. الأعلى .. العقل الكلى للكون ألقى الروح من أمره، ألقى من قدرتة، ألقى من كريم صفاته الإلهية الكامنة فى روح من عنده، من عنديته .. منه .. من أمره. وأمره هو عبد من عباده المتحققين. يلقيه على إنسان قد طاب واستوى ومعرِّض وجوده لله كما قلنا فيتحوّل من شىء إلى كينونة .. إلى كائن حى من حياة الله الحى القيوم.

(أتـى أمر الله فلا تستعجلوه). إنه رسول الله الكريم .. أمر الله .. عبد الله .. من عبّد وجوده فى سابق حيوات لا إحاطة لنا بـها، وأصبح أمراً لله فلا تستعجلوه. (وقرآناً فرقناه لتقرأه على الناس على مكث) سورة الإسراء آية ١٠٦ من هنا نفهم أن الآيتين لا علاقة لـهما بأمر من الله كما نحن نأمر أحداً ليفعل شيئاً معينا. ولا هو قضى أمراً دون تبرير أو سبب. أو أنـه القهار فوق عباده، لأننا عرفنا الآن ما المقصود بكلمة عباده، ومن هم عباده. ونحن نطلق على أنفسنا عباداً، ولكن هناك أنواعاً كثيرة من العباد. فهل (قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله)، كعباد

الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً، أو سبحان الذى أسرى بعبده ليلاً .... أو فأوحى إلى عبده ما أوحى.

الله غيب لا نعرف ولا نرى إلا قانونه الإلهى الذى ألقاه على رسله ونحن نتقى الله (أى نتقى قانونه) ونؤمن برسله وامتدادهم، فهم رواد وأئمة التطور على رؤوس القرون (يأتى على رأس كل قرن آدم يجدد للأمة شئون دينها). فالناس فى تطور لا يتوقف أبداً، وفهمهم فى الحياة والدين متطور، متزايد، ذو سمو وارتقاء مستمر بمعنويات الإنسان.

قد عرفنا أن روح الإنسان من الله، لها وجوه كثيرة كوجوه الجوهرة، يأتى الإنسان إلى الأرض كرات وكرات ليصقل فى كل مرة وجها من وجوه جوهرته، إلى أن يكتمل فى الله نموها، ويستوى الإنسان ويطيب على أجود ما يكون لربه. هنا ترجع إلى بارئها .. إلى خالقها .. إلى من خلق فسوى .. إلى الانطلاق فى كون الله الواسع .. إلى ما ملكت من ملكوت الله .. إلى ما كونته فى كون الله من عملها، بعون عبد الله القائم الدائم فى الأرض .. أمر الله .. عبد الله .. رسول الله ومن آل إليه والمؤمنون (فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون).

فلا قدرة وهمية نسميها القضاء والقدر، ونعطل قدرتنا، ونوقف نور عقولنا حتى يتحوّل إلى ظلام، ويصير عبداً لنفوسنا، وتصير قلوبنا مرتعاً لشياطين نفوسنا، ويتراكم ظلام الجهل على أرواحنا وهى سر الله فينا، ونقول: ربنا عاوز كده، ما باليد حيلة، نصيبنا كده، إنه قضاء الله.

إنها أعمالنا فى هذه الحياة، وفى حيوات سابقة تُرد إلينا، ولم نحرم من فرصة الإصلاح بكرات وكرات، هى رحمة من ربنا. نسأل الله أن يصلح أحوالنا وأن يرفع الغمة عنا وعن عقولنا وعن قلوبنا وعن نفوسنا وعن بلادنا وعن الأرض جميعاً، وأن يطهر أرواحنا ويطلق أرواحنا وأن يؤلف بين أرواحنا.

القضـــاء والقـــدر

قـــــدرت فنويـــــت فعمـــــلت جنـــيت حـــالاً حاضـــراً بعمـــلى

عمـــلى مـــن ســـابق حـــياة يقضـــى بحـــياة وفـــق عمـــلى

بنـــــيت قصـــــور أحـــــلام لـــــم أنـــــال إلا رد فعـــــــلى

وفـــقت لطـــابع مـــن أحبـــبت نلـــت رضـــاه فصـــح عمـــلى

هـــذا قضـــــاء الله أصـــابنى برحمـــــته وتوفيـــقه لعـــملى

obeikan.com

obeikan.com

الطـــــاعة

لمـــن تكـــون

لمن الطـــاعة عند أكثر

النـــــــــاس

ومـــا هـــى الطـــاعة

obeikan.com

obeikan.com

الطـــــاعة

الطاعة أنواع متعددة. المكان والزمان وثقافة الإنسان المتواجد فى المكان والزمان تؤثر تأثيراً مباشراً على الإنسان. الإنسان الذى يعيش فى أوربا وأمريكا وبعض دول آسيا لدى الكل معرفة لا بأس بها بالقانون، والقائمون على تنفيذه يحكمون بروح القانون .. لا انحياز لأحد على الآخر. فالكل يطيع القانون. طاعته نابعة من يقين الإنسان بأن القائمين على القانون يحكمون بنزاهة، الوزير والغفير سواسية أمام القانون.

حرية الإنسان الشخصية لا يتدخل فيها أحد، إلا إذا كان فعله يضر بالآخرين. يدين بأى دين، يتحرر من الأديان جميعاً ويكون لا دينى، ويجاهر برأيه فى حرية تامة. له حرية انتقاد أى مسئول، لأن الذى يحكم بالفعل هو الشعب بأفراده جميعاً، ويمثله فى حكم البلاد البرلمان. يسن القوانين، ويلغى قوانين ويعدّل قوانين، كلها تهدف إلى المنفعة العامة للناس وللوطن. يرسم السياسة الخارجية، وينظم العلاقات مع الدول الأخرى. يتم كل ذلك بعد مناقشات مطولة ومعلنة. والكل يدلى برأيه لصالح الكل.

يقدرون العلم، ويوفرون للعلماء كل ما يطلبونه، ويرصدون الأموال الوفيرة للأبحاث العلمية، ويرحبون بكل باحث أو عالم يلجأ إليهم. ولكنهم يغضون الطرف عن أبحاث بعض الشركات التى توظّف أبحاثها لمنتج يضر بالشعوب الفقيرة، وهذا مرجعه لرواسب بعضاً من الأنانية التى لا تفارق الإنسان على مدى تواجده على الأرض. بالإضافة إلى بعضاً من مجافاة الإنسان لمعناه الروحى، وحبه والتصاقه للمجال المادى الذى يعيشه على الأرض.

هناك طاعات أخرى يخضع لها أفراد هذه الشعوب نابعة من نفوسهم، حيث لا يوجد لديهم مُثل عليا دينية، أى لا رادع من دين، أو خوف من عذاب غيبى كما هو موجود لدى شعوب الشرق الأوسط، وشعوب آسيا. ورغم

إباحة كل شيء بحرية تامة، إلا أن هناك أفراداً فى الغرب يؤمنون بفلسفات أخلاقية، مبنية على أسس عقلية منطقية إنسانية، يلتزم بها مثقفو تلك الفلسفات، فهم يقدرون الإنسان ويحترمونه، ويلزمون أنفسهم بالمبادىء الأخلاقية التى استوعبوها بعقولهم.

أما فى الشرق الأوسط الذى يضم شعوباً أغلبها يدين بالإسلام ظاهراً. الطاعة السائدة بين أفراد هذه الشعوب هى طاعة للنصوص الدينية. تطبق هذه النصوص طبقاً لما تم شرحها منذ مئات السنين من أفراد تناولوا هذه النصوص بسطحية مجافية لأى فكر أو أى تأمل من سماته التعمق للوصول إلى معانى أكثر محملة بباطن هذه النصوص، لأن القرآن حمال أوجه. ولكنهم ثبّتوا فهم هؤلاء الأفراد واعتبروهم أئمة ومعلمين كبار، لا يعتريهم هفوة، ولا يداخلهم شك، ولا يشوبهم خطأ أو انحراف عن المعنى الذى فهموه للنصوص.

ورغم أن هؤلاء ينتمون إلى زمن سحيق حوالى ألف عام أو أكثر. وكانت العلوم والمعارف آنذاك محدودة جداً، إلا أن الذين يتربعون على عروش المعرفة والعلوم الدينية الآن يصرون على أن أعمال هؤلاء القدماء مثل البخارى ومسلم وابن تيمية وابن كثير وغيرهم. ومن أئمة الشريعة مثل أبو حنيفة ومالك والشافعى وابن حنبل هى الأعمال الوحيدة والفريدة للدين الصحيح والشرع الإلهى المعصوم، ومن الواجب على كل مسلم الطاعة العمياء لكل ما جاء به هؤلاء، دون تفكير أو نقد أو تفكر، ولا يقبل أى خروج ولا قيد أنملة عن ما فسروه وأوضحوه، ومن يخرج عن الطاعة لما أدلوا به فهو منحرف ومذنب ومسىء، وأوصلوه إلى أنه كافر بدين الله الحنيف الذى هم رواده وأئمته وشيوخه.

وإذا أردنا أن نعرف بعض ما استندوا إليه فى توضيح أو شرح أو تفسير أى نص، نجد أن هناك نصوصاً وجدوها متعارضة مع فهمهم العام للدين، وهذا لا يجوز. فألّفوا من قريحتهم، وأعطوا لأنفسهم مكانة من الله، وأنهم خلفاؤه

فى الأرض .. ألّفوا أن هناك نصوصاً تنسخ نصوصاً، لأن ما جاء فى كتاب الله فى وقت ما يتنافى ويخالف ومتعارض مع ما جاء فى وقت لاحق له. فهذه الآية تنسخ ما قبلها، وهذه الأخيرة ثابتة لكل زمان ومكان ولكل إنسان يدين بالإسلام على هذه الأرض.

لم يتفكروا فى الحكمة وراء نزول الآية التى نسخوها بآية أخرى. السنة (قول الرسول) لا تنسخ الكتاب، وأن السنة لا ينسخها إجماع (فقهاء الأمة)، وأن الإجماع الصحيح لا يعارض كتاباً ولا سنة. فهل إجماعهم كان صحيحاً حين قرروا نسخ آية بآية أخرى. إنهم بعدوا بالسطحية المفرطة عن المقصود الإنسانى من آيات الله، وأطاعوا فهم الأولين من الفقهاء، والأولون الذين عاصروا رسول الله. ولنلقى نظرة على ما فعل الأولون بعد غياب رسول الله بجسده.

الحروب التى شنوها على الشعوب الأخرى وقتلوا ونهبوا مقدرات تلك الشعوب .. خرّبوا وهدموا وأسروا، وحوّلوا الأحرار كانوا فى بلادهم آمنين إلى عبيد أذلاء. والنساء إلى جوارى كسيرات، ملك يمينهم. محوا آدمية الإنسان وحولوه إلى سلعة يباع ويشترى. ويسمون ذلك فتحاً. أليس هذا، لأى عاقل، أو عنده حتى اليسير من إنسانية، يعتبر ذلك الذى مارسوه على الشعوب الأخرى تسفّل للإنسان نابع من انحطاطه وانحداره إلى حيوانيته.

أى فتح هذا من فتح الله على رسوله. الفتح الذى أبان للرسول ما كان وما سيكون من حاله وقيامه .. بياناً جلياً لوجوده، مجرداً من الزمان والمكان كروح عال طليق، ويتم نعمته عليه بأن يهديه طريقاً إليه قويماً مستقيماً .. طريقاً إلى معناه الحقى. هذا هو الفتح المبين على ما أفهمه (إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً). أما قول الكتاب وينصرك الله نصراً عزيزاً، هو معنى النصر الروحى .. النصر الإنسانى على طبيعته الحيوانية "كان لى شيطان ولكن الله أعاننى عليه فأسلم فهو لا يأمرنى إلا بخير". وأيضاً ينصره بعون الله على طغيان نفوس من أسلموا له ظاهراً باللسان .. والله أعلم بالسرائر.

وإذا كان الرسول قد وعد من أطاعوه بملك الفرس والروم، فهذا الملك الموعود هو ما رآه الرسول يقيناً فى قلوبهم، وتشرئب إليه نفوسهم، من جنان يتمتعون بها فى الدنيا والآخرة، وهذا ما يحلمون به نتيجة إسلامهم. ووعد الرسول لهم جاء نتيجة قراءة الرسول لما تعشق نفوسهم ويتوقون إليه فى قلوبهم، ونَصَرَهم على الفرس والروم وهم قلة، وعتادهم وعدتهم للحرب أقل كفاءة من أعدائهم، وخبرتهم بالحرب لا يعتد بها إلى جانب خبرة الفرس والروم.

نصرُهم جاء نتيجة طاعتهم لله ورسوله، وطمع الرسول فى الله، رغم ما رأى حقيقة ما فى قلوبهم، أن يخرج الله من ظهورهم من يعبد الله. هذه الطاعة للرسول، وصلة الرسول بالله وملائكته ولّدت طاقة جبارة سرت فى نفوسهم، وقادتهم إلى النصر.

فهل ما حدث بعد غياب الرسول بجسده من حروب .. فتح؟ إنه إنحراف الفهم فى رسالة الإسلام. إنه ميل وعشق وحب لما يعتمل فى نفوس من سموا أنفسهم مسلمين. لقد أسلموا لأنفسهم، وعطلوا نور عقولهم، وأماتوا قلوبهم، وعطلوا يقظة ضمائرهم، وانحطوا بإنسانيتهم إلى طاعة حيوانيتهم، وقهروا ونهبوا الآمنين، وبلغتنا الحديثة، إنهم المستعمرون.

الذين ألّفوا ما سُمى بالشريعة، وهم الذين أطاعوا الحكام بعد رسول الله من أمويين وعباسيين وغيرهم إلى وقت قريب، ويوجد الآن من يعتقدون فى شرعية الخلافة، ومن الواجب أن تقام من جديد. والغرب الطموح أستغل تخلف فكر أدعياء الإسلام فى الشرق، وأشعل فكر التخبط فى متاهات التحزّب والتشيع المذهبى، وحب السيطرة والهيمنة بإسم الدين ... لم لا تقام دولة إسلامية تقود الأرض جميعاً إلى دين الحق .. دين الإسلام الحنيف، كما يتصورونه.

لم لا تكون الطاعة لإخوة مسلمين، يعودون بالزمن إلى عهد الرسول، ويسيطرون على الأرض بمليشيات، والتنفيذ سهل. نشر عناصر إرهابية فى

ربوع البلاد الإسلامية، تسيطر على الشعوب الإسلامية بإسم الدين، بعد إسقاط الحكومات. هذا التخلف ناتج عن وهم القوة ومساعدة المخططين الغربيين بالسلاح والمال.

وآخرون أيضاً انتشروا فى البلاد باسم الدين متشبهين بالهيئة الخارجية للرسول، متجاهلين قول رسول الله: إن الله لا ينظر إلى صوركم واشكالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم. إنه مبعوث الرحمة والحب للبشرية. تمسكوا بالهيئة: لحية وجلباب أبيض، وتسللوا للبرلمان فى فترة زمنية ليست بعيدة، ولا أدرى الآن هل لهم أعضاء فيه أم لا. أتخذوا التجارة مهنة لهم. لا يعرفون صناعة ولا علم ولا حضارة ولا تقدم. وجدوا من الغرب ومن بعض البلاد المتأسلمة عوناً. أنشأوا الجمعيات الأهلية الكثيرة للوصول للشعب، حربهم وتخريبهم وفسادهم فى خفاء، ويسيطرون على البسطاء بتافه العطاء، ليجدوا الطاعة من الشعب وقت الإنتخابات. أو الحرب الخفية غير المعلنة، كل ذلك باسم الدين.

(أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) آية ٥٩ سورة النساء. فُهِمَ أولى الأمر على أنهم قادة الناس ورؤساؤهم .. وبعد إفاقتهم وانتقالهم قالوا لربهم (وقالوا ربنا أطعنا ساداتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا) آية ٦٧ سورة الأحزاب. أطيعوا أولى الأمر منكم .. نطيعهم حين نجد فيهم استقامة وصدقاً وتقوى وإخلاصاً فى خدمة الناس. أما من أطاعوا ساداتهم وكبراءهم فأضلوهم فإنهم هم الذين انقادوا بنص دينى، أساءوا فهمه وخضعوا للأمويين والعباسيين وغيرهم، ويريد بعضهم أن ينقادوا إلى ما تخلّف من أتباع فكر وعقيدة الأمويين والعباسيين الذين تخلصوا بالقتل والذبح لأكثر أهل بيت رسول الله وصحابته، طمعاً فى الحكم بأمر الله.

تصوروا أنهم خلفاء رسول الله، وأنهم خلفاء الله فى الأرض، وطاعة الناس لهم واجبة، لأنهم أولى الأمر، ودخل الناس فى طاعتهم بأمر وهم دين. وأباحوا قتل أهل بيت رسول الله، وتناسوا، ونسى الناس قول رسول الله(أهل

بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك). غرقوا فى شهوات نفوسهم، وأضاعوا ما جمعه العلماء من الترجمات فى علوم شتى، وأضافوا المزيد لتلك العلوم، نُقلت إلى الغرب واستفادوا منها وزادوا عليها علوماً وعلوماً إلى وقتنا هذا. تقدموا علمياً وصعدوا إلى قمم الحضارة المادية، وهدموا صرح السيادة الدينية المتمثلة فى الكنيسة التى سيطرت قروناً وقروناً. قدسوا نور عقولهم، فأفرزت العقول فلسفات أخلاقية فطرية إنسانية لا تختلف فى جوهرها عن أى دين ظهر على وجه الأرض، لأن أى دين هو دعوة للإنسان الذى يعيش على الأرض أن يتّبع فطرته الإنسانية السليمة.

أما من عاشوا فى منطقة الشرق الأوسط ومن تبعهم من مسلمى العالم حتى الآن (إلا من رحم) فظلوا حريصين على عقيدة إسلامية بخارية مسلمية وشيخها الأكبر أبن تيمية، فاق وتفوّق بعقيدته السائدة فى البلاد الإسلامية على أى مفكر أو معلم صوفى أو أى رائد دينى معروف. لقد رسم الصورة المثلى التى يجب على كل مسلم أن يتحلى بها ويعتقد فيها، وإذا لم يطيع ويتّبع ذلك فهو كافر خرج من حظيرة الإيمان والإسلام. والذى جعلهم كذلك هم من يؤمنون بالتسطيح، ونسخ آيات بأخرى، ووضع القوالب المنحوتة من فكر لا يخرج عن فكر أبن تيمية. أصبح له القدسية والتقديس الكامل، لأنه الوحيد الذى شرح كل الدين وعلم تأويل الآيات ومعناها. أصبح الدين صوراً وأشكالاً من خيال وفكر أبن تيمية ومن تبعه إلى الآن.

ولا ننسى أنه حنبلى متشدد، لا يخرج عن اتباع الكتاب والسنة حسب فهمه فيهما. وعُرِفَ عنه أنه إن لم يجد فيهما حلاً لما يعرض له لجأ إلى أقوال الصحابة القريب من الكتاب والسنة، ثم متحرجاً كارهاً للقياس مضطراً إلى استخدامه فى بعض القضايا. ولا ننسى أنه أيضاً كان قريب العهد بفقهاء القرن الرابع الهجرى الذين حكموا بسد باب الاجتهاد. وقد استمر هذا الأمر

إلى يومنا هذا. وقد سار المسلمون إلى الآن على نهج وفقه الأربعة (الشافعى، وأبو حنيفة وابن حنبل ومالك).

إلى جانب هذا التقليد الأعمى للأربعة وأبن تيمية كان مذهب الأشاعرة نسبة للإمام أبى الحسن الأشعرى، الذى كان وسطاً فى آرائه بين السلف وبين المعتزلة منتشراً فى عصر أبن تيمية، وكان مؤيداً من السلطان صلاح الدين الأيوبى. وهناك أيضاً الشيعة والسنة وخلافه .. خليط متنابذ متناحر، يكفر بعضهم بعضاً.

وكان من سمات هذا العصر أيضاً انتشار التصوف، وكان من المعتقد أن التصوف يعتمد على الذوق والوجدان، يتجلى هذا فى شطحاتهم وأقوالهم. ولكن إذا تأملنا فى ما قالوه من شعر أو قول، نرى فيه عمق المعنى، ولا يُدرك إلا لمن يعرف سر نجواهم والمجالات التى يتعرّضون لها فى ذكرهم وحضراتهم.

هذا الجمود والتقليد الأعمى، ورسم صورة للإسلام محددة مغلقة، بعقول مادية مظلمة، تحكم على شهاب الدين السهروردى الفذ فى العلوم المعروفة فى هذا العصر، وشعلة من الذكاء الحاد وبراعة فى الفقة وأصول الدين بالعقل لا بالنقل ويظهر منه ذلك كله بفطرة نقية، الذى عُرِفَ فى هذا العصر (بالشاب المقتول). ومن عُرفوا فى هذا العصر بالفقهاء رموه بالتفلسف والإلحاد.

وكذلك كل من يشتغل بكتب أبن سينا (العالم والفيلسوف الذى أخذت أوربا من علومه الكثير) فقد غدر بدينه وتعرّض للفتنة الكبرى، لأن أبن سينا شيطان من شياطين الأنس. وأن الفلسفة أُس السفه والانحلال، ومادة الحيرة والضلال ومثار الزيغ والزندقة، ومن يشتغل بها أستحوذ عليه الشيطان. والإمام الذهبى فى القرن الثامن الهجرى، فى عصر أبن تيمية يدلى برأيه فى الفلسفة: أن المشتغل بها يجب أن يحرق ويعدم من الوجود.

كان أبن تيمية فى رفض وإنكار وهجوم على كل من يخالف أو يدلى برأى بعيداً عن الكتاب والسنة كما يفهمهما السلفيون الآن بسطحية وبعقيدة لا تخرج عن فهم الصحابة والعلماء السلفيين من بعدهم.

(العقل أصل دينى)، (أول ما خلق الله العقل، فقال له: أقبل، فأقبل، ثم قال له: أدبر، فأدبر، فقال: وعزتى ما خلقت خلقاً أكرم علىّ منك، فبك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب والعقاب). حين سُئل أبن تيمية عن هذا الحديث فكان رده: هذا الحديث باللفظ المذكور قد رواه من صنف فى فضل العقل كداود بن المجبر ونحوه، ثم يذكر رأيه فى الحديث فيقول: واتفق أهل المعرفة بالحديث على أنه ضعيف بل موضوع. ثم ينقل عن الحفاظ أن الأحاديث المروية عن الرسول فى العقل لا أصل لشىء منها، وبخاصة والمراد بالعقل فيها هو العقل الإنسانى كما يزعم الذين رووها.

فإذا كانت أحاديث الرسول عن العقل ضعيفة وموضوعة، ولا أصل لشىء منها، وبهذا لا تتفق مع ما جاء بكتاب الله، فما رأى من آمنوا به وبأعماله المسجلة مما جاء فى كتاب الله من تأكيد وتكرار الآيات التى تعاتب من لا يستخدم عقله، وتلقى اللوم على من يتّبع دون تفكر ويقول: (هذا ما وجدنا عليه آباءنا)، وأهملوا الآيات المتكررة فى القرآن مثل: لعلكم تعقلون، لعلكم تذكّرون، لعلكم تهتدون، لقوم يتفكرون ...)، تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون، وكذلك: إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون.

الآية الأولى تحسبهم جميعاً...يتجمعون لصلاة الجمعة، وفى المحافل والمجامع الإسلامية، ولكن قلوبهم موزعة بين أغراضهم الشخصية، وبين إرضاء أصحاب السلطة الدينية والمدنية. هذا التجمع يحسبه الناظر أنه لإقرار فهم عبقرى جديد، أو تعديل أمر عقيم يمجه الذوق والعقل، أو إعادة وتجديد مفهوم قديم لا يتناسب مع ما اكتشف الناس من علوم، فهم بهذا "لا يعقلون".

والآية الثانية: نزول القرآن بلغة يفهمها المحيطون بالرسول، إلا أن مُنزِّله على يقين من عدم فهمهم معانى القرآن المنزّل بلغتهم، فهو يقينا يعرف عدم تقديرهم لمعانى القرآن فيقول "لعلكم تعقلون" .. لعل وعسى.

ومن البديهى لأى إنسان حين يستقبل كلاماً من أى إنسان أو يقرأ، ليس له وسيلة إلا أن يفهم مُستقبِلاً بعقله. ليس هناك وسيلة أخرى لاستقبال أى معنى أو فكر إلا بالإنصات ليصل إلى العقل، ولا يملك إنسان غير عقله ليحلل الأفكار ويحولها لمعانى تضاف لوجوده.

فكيف لأى عاقل أن يتّبع هذا الفكر الجامد، الفكر الذى ينقل دون تفكر ولا تأمل. إن هذا الإنسان المتّبع يستخدم وظيفة واحدة من وظائف العقل ألا وهى الذاكرة، يطبع فيها قول وعمل الآخرين ثم يخرج منه هذا بنفس الصورة وبنفس الشكل. وصفة النقل عن طريق التقليد والترديد هذه موجودة عند كائنات أخرى غير الإنسان. هذا التقليد وهذا الترديد لا يليق بالإنسان، خلقه الله على صورته، ومن خلقه على صورته كرمه بشىء من صفاته وأسمائه. منحه عقلاً، به يتجه إلى مبدعه وخالقه، خاطبه خالقه فى حديثه لسيدنا موسى: خلقتك لنفسى ولتصنع على عينى.

ولقد كرمنا بنى آدم .. كرمناه بعقل يستخلص معانى من مشاهداته، من المجالات التى حوله، ومن ما يصدر من أفعال وأقوال من الآخرين، وأيضاً مما يتفاعل به ومعه فى داخله. كل هذه المعانى المستخلصة ينقيها بفرزها وتأملها وما يستخلصه هو ما ينفع حياته الروحية .. وهذا هو معنى الدين وجوهره.

نتاج الحضارة، وما وصلت إليه العلوم هو من نتاج العقل. أجلّ وأرقى نعمة أنعم الله بها على الإنسان هو عقله. والعقل الجمعى للجنس البشرى أصبح متاحا لكل فكر جديد من أى إنسان يضيف إليه عن طريق وسائل الإتصال، فأصبحت الأرض جميعاً بما فيها من بشر قرية صغيرة، تتصل فيها العقول

وتتفاعل مع بعضها، تختلف وتأتلف ليتولد ثمرة هذا الأحتكاك والإتصال إضافة تقدم وتطور للفكر الجمعى للبشرية.

فهل هناك عاقل، يستخدم عقله، ما زال يطيع، فكر أناس، يبعدوا عنا بأكثر من ألف عام. هل يعتقد الطائعين لهم، والمسيّرين التابعين وتابع التابعين إلى يوم الدين أن الله أودع علمه فى الدين لهؤلاء الأولين فقط، وأوقفه عليهم، وحرم منه سائر البشر، وعلى البشر جميعاً أن يخضعوا ويسلموا تسليماً لما جاء فى كتب هؤلاء القدامى، الذين كانوا يجهلوا أبسط العلوم الأرضية، فضلاً عن العلوم الكونية، والعلوم التى عرفها الإنسان عن نفسه مادياً ومعنوياً. الكل يعرف أن فوق كل ذى علم عليم وأعلم منه .. أطلب العلم من المهد إلى اللحد .. إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة .. يستغفر الله من النور الذى عنده ليستقبل نوراً أكثر .. معرفة أكثر، فهل علينا أن نتّبع مثاليتنا متأملين متفكرين، أم نتّبع أبن تيمية وإنكاره لأى حديث للرسول له أى صلة بالعقل، وبتسطيحه لمعانى القرآن، ونسخ آيات بآيات ونوقف فكر وتأمل عقولنا.

سبحان الله .. أما آن لنا أن نفيق من سكرة التقليد والترديد، ونستخدم عقولنا. كيف لنا أن نأمر الناس أن يعطلوا نور الله من عقولهم ويستخدموا ويطيعوا عقولاً لم تستخدم نور الله فى عقولهم، ولكنهم أستخدموا الجزء الذى وظيفته الترديد ألا وهو الذاكرة. بهذا أطفأوا نور الله من عقولهم، ولا يملكون إلا نشر الظلام والترهات من فتات موائد القدماء الذين رفعناهم فوق رؤوسنا وعطلنا كل قدراتنا النورانية.

هكذا تكون الطاعة التى يلتزم بها المسلمون، لا ينحرفون عنها قيد أنملة، وإلا كانوا من الكافرين. هذه الطاعة كانت وما زالت وبالاً على العالم الذى يسمونه إسلامياً، لأن العقيدة التى رسخت فى أذهان الناس هى أن الله هو الفاعل، هو مسبب الأسباب، ومسير الأحداث، وهو المغنى لمن يشاء، ويمنع من يشاء، ويعذّب ويعفو كما يشاء. وهو بهذا وراء كل فعل، ومحرك

كل الأحداث إلى هدف يعلمه هو فقط، وما علينا إلا الطاعة. قضاؤه سارى لأنه القاهر فوق عباده. تطيع تسلم .. تعبده لإرضائه، وتنفذ أوامره دون أن تعرف لماذا تفعل ذلك. تطيع ما أملاه الفقهاء على الناس من فهم فى نصوص الدين. حوّلوا الدين إلى أوامر ونواهى، وإذا فكرت ربما يسوقك تفكيرك إلى الشك، ثم إلى الكفر، عَطِّل عقلك تَسلم وتُسلم ويرضى الله عنك وتضمن جناته.

وعلى مر العصور منذ قيام الرسالة المحمدية حتى الآن يعمل من هم قائمون على شرح وبيان دين الإسلام للناس، على تثبيت هذه الصورة البائسة للإنسان المسلم، الصورة اليائسة من قدرة الإنسان على إصلاح حاله أو تغيير مساره لما يرغب هو فيه، وما يراه بفطرته الإنسانية السليمة هو الأصلح والأقوم والأفضل له. فهل يمكن إصلاح قيام لإنسان لا حول له فيه ولا قوة؟ إنها الطاعة لوهم أفكار ومعانى يسمونها أوامر الدين.

فى باب "القضاء والقدر" شرحنا أن الإنسان قديم بروحه، ويتخذ أجساداً مناسبة لكل عالم أو كوكب يتواجد فيه. فهو خالد بخلود روحه، والذى يفنى هو جسده حين يترك العالم أو الكوكب الذى أعطاه هذا الجسد. ينطلق بروحه ليعيش فى مجال آخر. كل علم يتعلمه، كل معرفة يقوم فيها، وكل مقام يكسبه، يضاف إلى وجوده الروحى .. يضاف إلى روحه. فمن أطاع هواه – مجسد فى نفسه – مُسِحَ فى معانى نفسه.

الطاعة تكون لضميرك الذى لا يخطىء أبداً فى حالة صفائك، ورغبتك الباطنية فى الإستقامة واستشارة وسؤال من هو يقيناً عندك أنه صالح وتقى، تتأسى به. الإنسان الذى لا يكف عن الإستغفار من قيامه، ولك أن ترفضه، لأن حريتك أغلى وأثمن من طاعة أى إنسان مهما كان. أما إذا رأيت وأنت بحرية مطلقة أنه يريد قياماً أفضل وأرقى مما هو فيه، فلك أن تقبله أو ترفضه. الطاعة لإنسان مرآة صافية ترى فيه نفسك على

حقيقتها، فتبادر إلى إصلاحها (المؤمن مرآة المؤمن). الطاعة لما تراه أنت أنه يقدم لك برحمة وحب كل ما يدفعك إلى التقدم فى اتجاه باطنك.

بعقلك (نور الله فيك) تستطيع أن تتأمل وتتفكر، وما تصل إليه أنت لا غيرك هو الأحسن والأفضل والأقوم لك أنت فقط، لأنك الوحيد الذى يعرف ما تحسه فى داخلك .. ما يقلقك فى داخلك .. أنزع الخوف من قلبك، ومن أى معنى يُفرض عليك من خارجك. أنصت إلى ضميرك واعمل على إحيائه ونشاطه فى كل ما يُعرض عليك أو تتعرّض له. أستعمل نور الله فيك حتى تستزيد منه لعقلك، وما يفاض عليك زيادة لنور عقلك هو معرفة سوف تنطلق بها بعد موتك مكوّنة المجالات التى سوف تحياها بعد انتقالك. فلا تلومن إلا نفسك يوم تنساق فرداً من قطيع إلى طاعة واتباع فكر أى إنسان لا يلقى قبولاً من فطرتك الإنسانية السليمة.

الإنسان هو وحدة وجود بكيان مستقل فى الله، منطلق فى الوجود الأكبر بحرية مطلقة، ولذلك فهو مسئول عما يفعل، ومسئول عما يفكر فيه من معانى أدخلها إلى وجوده مكونة كيانه إتساعاً أو ضيقاً، أو زيادة نور أو إظلام لنور عقله. يتسفل الإنسان وينحدر إلى عوالم سفلية حين ينقاد لمجالات نفسه. أو أنه يرتفع ويطيع صفاء قلبه حين يملأه حباً، وينزع منه الحقد والحسد والطمع والنزوات والشهوات، ساعتها يستطيع أن يحكم على أى معنى أو قول يعرض عليه، أو كتاب يقرأه، أو حديث يسمعه.

حب الآخرين .. عون الآخرين .. حب الخير للناس أجمعين، بأن تكون أداة خير وسلام ورحمة للناس أجمعين، لأنك جزءٍ من كل. هدفك فى الحياة هو العلم عن كل ما يحويه وجودك الداخلى. أستمع وافرز ما تسمع وحكِّم ضميرك وعقلك، وأملأ قلبك بكل ما وصلت إليه من معانى إنسانية راقية.

هذه هى الطاعة. أطع ما تحسه وتراه بفطرتك الداخلية السليمة التى لم تتأثر بمعانى لم تفرز ولم تتأمل فيها بعقلك وضميرك، واستفت قلبك بما فيه من صفاء وحب، ولا تستفت ما فى قلوب وعقول الآخرين، لأنك لا

تدرى بما فيها، كيف مُلأت، وبما مُلأت من معانى، وبأى نية يخرج لك ما عنده.

وإذا كنت ممن صدقوا فى طلبهم من الله أن يزيد من معرفتهم بمعناهم الإنسانى، فإنه رؤوف رحيم، يدلك على عبد من عباده الصالحين، الذين أصلحوا وهيئوا وجودهم لإستقبال نور الله ورحمته، يعلمك ويهديك إلى معرفتك بمجالات نفسك، وزيادة نور عقلك، وكيف تحيى قلبك، وكيف تنطلق بروحك. وهذه طاعة أعلى وأرقى فيها شىء من بصيرة. بصيرة منك، تعى ما تُقدم عليه بعقلك، وتحس ما تنضم إلى دائرته بقلبك (أستفت قلبك وإن أفتوك وافتوك).

(لا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا). هذا إرشاد للرسول، لأن الرسول يعى ويرى بعين بصيرة لمن تكون الطاعة ومن هو مشغول بغير ذكر الله فى قلبه. يرى القلب الذاكر لله، ويرى القلب الحى بذكر الله، ويرى القلب الميت الغارق فيما تأمره به نفسه.

(وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها). أهله أمتداده، يحملون معناه، يرثون رسالته، فهم محل أمره، كما يأمر نفسه. (أما يكفيك نفسى يا على)، (فاطمة أبنتى روحى ...). إنهم فى طاعته. إنها الصلاة .. الصلة بأعلاه، وهم موصولون برسول الله صلة بأعلاه. يأمر أهله، من هم مؤهلين لكسب معناه الحقى.

إنها مسئوليتك حين تختار اتجاهك، حين تختار طريقك، حين تختار هدفك، حين تختار من تطيعه ليرشدك إلى الحياة. كيف تحيا، كيف تسلك إلى داخلك، كيف تطلب الحق فى داخلك، كيف تسير إليه مدفونا فى أعماقك، ويريد منك أن تتجه إليه.

فإذا كنت حراً فى اختيارك لطريقك، طائعاً لما وهبك الله من نوره، مستجيباً لوجيب قلبك المحب لما جاء به رسول الله الكريم هو وأهل بيته، فأنت

الصادق فى طلبك للحق، وأنت ممن أطاع الرسول فقد أطاع الله. وكنت من الذين (أطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون). وسيقول لك الرسول الكريم (إنى لكم رسول أمين، فاتقوا الله وأطيعون).

نسأل الله أن نكون من الذين يؤمنون ويطيعون حقاً وصدقاً ما جاء به الرسول الكريم وهو (واعلموا أن فيكم رسول الله)، وكذلك (أنا الحق من ربكم)، (من رآنى فقد رآنى حقاً)، (أتقوا الله وآمنوا برسوله).

الطاعة إذن هى للأدوات الفطرية – حين يصقلها الإنسان بإحيائها بطاقة روحية يجلبها لوجوده بصحيح اتجاهه – التى فطر الله الإنسان عليها، وأوجدها معه حين خلقه، أى تواجده على الأرض. فالإنسان الذى يريد أن يحيا، عليه أن يفعّل هذه الأدوات الفطرية فيه، بأن يستخدمها بالتأمل والتفكر بنور الله الفطرى فيه. والتأمل والتفكر هو لكل ما تحسه فى داخلك، ولكل ما يعرض عليك مما تراه وتسمعه أو تتعامل معه. إنها رسائل من الغيب .. من الله، تتعرض لها بتدبير حكيم لتتأمل فيها، وما تخرج به من تأملك العميق وتفكرك فى كل أمر هو مكسبك، وهو الذى يضاف إلى وجودك. من هنا عليك أن تستفتى قلبك .. أى داخلك، لأنك الوحيد الذى يحس ويعى ما وصلت إليه بتأملك وتفكرك. وهذا لك لا يشاركك فيه أحد. وهكذا تكون الطاعة.

نسأل الله أن ينير عقولنا ويحي قلوبنا ويزكى نفوسنا ويطهر أرواحنا، وأن نكون من الذين يتفكرون ويتأملون فى وجودهم وفى الوجود من حولهم حتى نقترب من الحق بعقولنا، ونلتقى بالحق فى قلوبنا.

الطـــاعـة

لمـــــن تكـــــون الطـــــاعة أتكـــــون للحفـــظة المقـــلدين

أتكـــــون مـــــن الغافـــــلين خنـــوعاً لســـيادة المـــــرددين

أتكـــون لأولـــى الأمـــر مـنكم طـــغاة فـــى رداء الديـــــن

أطـــيعوا فطـــرة اللـــه فيكـــم تهـــديكم لعبـــاده الصـالحـــين

obeikan.com

obeikan.com

العبـــوديـة

معنـــاها العـــام

العبـــوديـة

معنـــاها الإنســـانى

العبـــــودية

معنـــــاها

الغيـــــبى

فهـــم النـــاس فيـــها

obeikan.com

obeikan.com

العبـــودية

كل من فى الأرض أنس أو جن أو ملك، منظور للكافة أو غير منظور، الكل عبيد. ونحن هنا نتكلم عن الناس بوجه عام. أكثر الناس يقول الواحد منهم حين يستهل كلامه بقوله: العبد لله .. وذلك من باب التواضع، وإظهار عدم الإعتداد بنفسه. هذا فى واقع الأمر كبرياء خفى. ظاهره تواضع وباطنه أعتزاز وتفرد برأيه. والكل يقول: العبودية لله وحده.

وهناك فئة من الناس قدريون يرجعون أمر العبودية لله .. (وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم) سورة الزخرف آية ٢٠. الرحمن حسب فهمهم: بأمره جعلهم يعبدون غير الله.

وهناك من يستعيذون من الشيطان لأنه هو الملوم، إنه يغويهم أجمعين. (ولأغوينهم أجمعين، إلا عبادك المُخلَصِين) سورة الحجرات آية ٤٠.

وهناك نفس لأناس وصلت فى سلم ارتقائها إلى راضية مرضية، فحق لها أن تدخل فى عباد الله الصالحين (أرجعى إلى ربك راضية مرضية، فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى) سورة الفجر آية ٥٩.

وهناك العلماء بصّرهم علمهم بقانون الله، فأصبحوا قائمين فى خشية من الله (إنما يخشى الله من عباده العلماء) سورة فاطر آية ٢٨.

ومنهم من عرف أن رحمة الله هى أن يدخلهم الله فى عباده الصالحين (وأدخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) سورة النمل آية ١٩.

ويقول رسول الله: (أنا أول العابدين). ويُخاطَب من الأعلى بعبد الله.

كما قلنا فى أول الحديث الكل عبيد. فما هى العبودية؟

العبودية هى حسب فهمنا لها أن تحب شيئاً ما أو معنى ما، وتسعى جاهداً أن تحصل عليه، وتملكه. لقد صار معشوقك وهدفك فى حياتك. فهو يملك كل تفكيرك. وفى حقيقة الأمر هذا الشئ أو هذا المعنى هو الذى يملكك،

ويحيط بك كالسوار بالمعصم. وأنت سعيد بملكيته لك، وتعمل على زيادة أنغماسك فى مجاله وإحاطته بك.

لقد طالعتنا بعض الدوائر الروحية أن صاحب بيت كرّس كل همه فى حياته أن يملك بيتاً، وحين موته إذا طرقت حائطاً أو باباً فى هذا المبنى يشعر بهذا الطرق فى رأسه ويؤلمه. هذا دليل على أن انشغاله أثناء حياته بهذا البيت قد مُسِح فيه. أصبح هو والبيت شيئاً واحداً. وهذا الحب لدرجة المسح والمحو فى شىء ما يفسر لنا قول رسول الله (يحشر المرء مع من أحب). هذا البيت وصاحبه مثل واضح لعبودية الدنيا.

وإذا عشق رجل إمرأة أو العكس، فعند وفاته يدخل فى هالتها أو جسدها الأثيرى، ويمنعها من الارتباط برجل آخر. وهذا ما نعرفه بالمس الروحى. هو سيطرة وهيمنة، تظهر فى نوبات صرع أو غيبوبة متكررة إلى أن يتم الإستحواذ الكامل. وهذا النوع من العبودية هو عبودية الجسد.

(قدّر وما شاء فعل) هذا قول القدريين. يتجه بحنين ويفعل بإرادته، ويصل لمعشوقه الذى هو فى حقيقة الأمر معبوده ويقول: (لوشاء الرحمن ما عبدناهم). هذا هو المفهوم الشائع بين أكثر فئات الناس. نحن عبيد، نفعل ما نؤمر به، سوف يعذبنا الله لفترة، ثم ينتهى العذاب المقرر علينا، ثم بعد ذلك نذهب إلى الجنة بشفاعة سيدنا محمد، هذا قول المسلمين. وهذا هو وهم العبودية لله، وسوء فهم لمقام الإنسان الذى وصل للعبودية الحقة .. العبودية لله.

وهناك من أدرك قيمة ومقام العبد فى الله، فطلب من الله: (وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين) إنه سليمان النبى، أدرك أن هناك عباداً لله صلحوا لأن يكونوا ملاذاً لنبى، يدخل فيهم، فهم محل لرحمة الله. فالعبد الصالح هو جنة المأوى للأنبياء، يتسع لتواجدهم فيه كعبد لله، يحتويهم ويتطوروا فيه فى مجالات الله النورانية والحقية.

وعبد الله كما ندرك كسيدنا الخضر مثلاً، ورسول الله محمد، وقليل ما هم. ولم ينقطع تواجدهم على الأرض. وإذا انقطعوا عن الأرض، فكان انقطاعهم إيذاناً بانقطاع الرحمة عن الأرض، لأنهم يمثلون يد الرحمة الممدودة لمن يريد أن يرحم وجوده الروحى من نفسه، وينطلق فى ملكوت إنسانيته التى هى فيه، ولكنها غيب عليه، لانشغاله بمجالات أخرى قرينة تواجده المادى، (وتحسب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر).

أما من يسهل غوايتهم حتى يقول فيهم الشيطان (لأغوينهم أجمعين ...) ميولهم وعشقهم لكل ما هو طين .. الشىء الذى طان هو معنى الشيطان، يجرى هذا الحب مجرى الدم كأى مسكر أو مخدر. إذا قلّت نسبته فى الدم، سارع المتعاطى إلى تناول جرعة تهدىء من أعصابه. إنه مغيّب .. غيبة يفرضها عليه معشوقه من أشياء الوجود المادى.

إلا عبادك منهم المخُلَصين .. الذين يعمل الغيب على خلاصهم مما كرهوه ومجوه، وسألوا الله مخلصين فى دعواهم أن يخلصهم مما استقر فى وجدانهم، وتهفو إليه قلوبهم من حين لآخر. تبدّلت أهتماماتهم، وتغيّر مطلوبهم، ولكن هناك بقايا من أعمالهم السابقة، تحن إليها نفوسهم. متابعتهم وصبرهم، واستمرار ذكرهم لمجال عرفوه وأحبوه، يغيّر الله ما بهم إلى ما يحب ويرضى، وهم فى طريقهم ليكتشفوا ويعرفوا مراد الله بهم، فى كل مرحلة من مراحل حياتهم، فيتوافق مطلبهم مع مراد الله بهم. وهذا هو الطريق المستقيم فى الله.

أما النفوس الراضية المرضية التى أكرمها الله وأدخلها جنة تؤويهم من جنانه، ملؤها الرحمة والمحبة، ألا وهى قلوب عباد الله الصالحين، هى نفوس لأناس استجابت لمروّضيها فأصبحت لوامة، فصعدت وارتقت مع صعود ورقى مرشديها إلى مجالات أعلى من طبيعة ما تواجد فيها بالفطرة، ناله من ريحها وأريجها ما يجعله يتخلى عن بعض ما فيه من تسفل، فأصبحت نفساً لوامة. أنوار قلوب عباد الله الصالحين وما تحمله من معرفة

تساق وتصل إلى المقيمين فيها، نقلت راحة وطمأنينة إلى النفوس اللوامة، فاطمأنت إلى هذه المجالات التى أكرمت بها، فأصبحت نفوساً مطمئنة.

الاطمئنان ولّد عندها رضى وسكينة وتغير حالها فأصبحت راضية، وحين وجدها مرشدها فى هذا الرضى، تحولت لكيان مرضى منه ومن أعلاه وراعيه والذى أدخله قلبه. فهى فى قلب عبد من عبادنا الصالحين، لاحتواء من صلحوا وهيئوا وجودهم مستحقين الإقامة والرقى فيمن احتواهم، ورحم وجودهم وأدخلهم قلبه (أرجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى).

(إنما يخشى الله من عباده العلماء) .. العلماء هم من بحثوا وتفكروا وأجروا تجارب على أشياء الوجود المادى، وعلى وجودهم المعنوى بالتأمل والتفكر، فأكرمهم الله بعلم عن مجالات تواجداتهم على الأرض. فعرفوا عن نفوسهم ومجالاتها. وعرفوا الكثير من نور عقولهم، وعرفوا وأحسوا بما تنطوى عليه قلوبهم. كل ذلك بصّرهم بقانون الله، وكيف يقتربون من معنى الحق والحقيقة فيهم.

هذه المعرفة جعلتهم فى خشية من الله بمعرفتهم القانون الإلهى، فاهتدوا به إلى السلوك المستقيم .. إلى معناهم الحقى، وخشيتهم من التوقف أو الانحراف عن جادة سيرهم إلى المعانى التى تعلموها وعرفوها، فهم فى خشية من الله، مغايرة لخشية وتقدير القدريين أو الجاهلين أو المتواكلين، وعن أحداث الحياة المادية والمعنوية فيها لا يتفكرون ولا يتأملون.

فهذه عبودية لعلم الله وهو قانون الله الذى عرفناه عن طريق رسل الله. العلماء أكرمهم الله بأن عرفوا مراد الله بهم، فتوافقوا مع هذه المعرفة، وقاموا بتوفيق الله فيما عرفوا، فكانت خشية الله عندهم على علم، أما أكثر الناس يخشون النار وعذابها، ويتجنبون غضب الله من سوء أعمالهم، ويطمعون فى رحمة الله وشفاعة رسول الله بجهل نتيجة عدم إعمال عقولهم، ويطمعون فى جنة تغص بما تشتهى أنفسهم، يستحقونها لأنهم

أدوا المناسك على أكمل وجه وهى المناسك المتعارف عليها فى كل دين. وهذه عبودية فى واقع الأمر لقانون السبب والمسبب .. أجر مقابل تأدية عمل، وهذا كسبهم ومآلهم.

ونرجع لآية ١٩ من سورة النمل لنبيّن دعاء نبى من الأنبياء كهدف يرجوه لنفسه (وادخلنى برحمتك فى عبادك الصالحين). هذا طلب ورجاء النبى سليمان، يدعو الله أن يدخله فى عبد من عباده الصالحين. وهذه هى رحمة الله التى يراها النبى سليمان ويريد أن يدخل فيها. ولكى نقترب من فهم هذه الآية علينا أن نعرف من هو النبى، ومن هو عبد الله.

النبى هو من صلح وجوده لإستقبال نبأ السماء. إنه نبيىء من مجال أعلى. إنه الإنسان الذى أعدّ وجوده، بعون الله له لإستقبال ماء الحياة .. لإستقبال قانون الله .. لإستقبال كتاب من كتب الله.

الأنبياء: أنبياء بنى إسرائيل .. كأبناء سيدنا إبراهيم. إنهم من نقلوا المعانى الربانية إلى الناس، وعملوا على إيقاظ المعانى الإنسانية الموجودة فى كل إنسان، ومطلوب من الإنسان أن يُفعِّل ما بداخله بما جاء به النبى فى أى أمة، وفى أى بلد من بلاد الله. إنها رسالة الله إلى أنبيائه، وعليهم تبليغها للناس على الأرض.

وهناك أنبياء لم يكلفوا برسالة، فهم يحملون نبأ مولاهم، نبأ ربهم لأنفسهم فقط. فهم يطبّقون نبأ السماء لهم على أنفسهم .. يزكونها، ويزيدون من نور عقولهم، ويحيون ما تبقى من غفلة تغشى قلوبهم، ويسمون بأرواحهم فى مراقى الله لا حد لها، ولا نهاية لها. هؤلاء الأنبياء إما أن يكونوا فى صلة بمجال غيبى، وإما أن يكونوا مريدين مسترشدين بعبد من عباد الله الصالحين.

هؤلاء الأنبياء الغير مكلفين برسالة لا يعرفهم أحد، وهم لا يبوحون بشىء مما عندهم، ولا بسر الصلة بينهم وبين ربهم. ربما ينال أحد من المحيطين

بهم شيئاً من أنوارهم أو حياتهم التى ربما تظهر عليهم فى معاملاتهم أو حديثهم أو سلوكهم مع المقربين منهم. إنهم عبيد الله ولكن على مستواهم، وهو مدى مستوى علاقتهم بأعلاهم.

أما العبد لله فله شأن آخر فى الله، لا يعرف هذا المقام إلا من قام فيه. فمثلاً سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) كان نبياً. بدأ الوحى عندما كان يتعبّد فى غار حراء. فبدأت نبوته. ثم تطورت النبوة حين عرف قانون حياة التطور فى الله ذى المعارج: (إنه ليغان على قلبى حتى أستغفر الله فى اليوم سبعين مرة. أأغيان أغيار يا رسول الله. لا بل هى أغيان أنوار). فهو بهذا يجدد وعيه فى الله، وإدراك تقلب أحواله فى الله، بصورة مستمرة، لأنه مدرك أنه يتأمل ويتفكر ويشاهد فى قلبه (القلب بيت الرب) تطور معنى الإنسان فى الله، وأن رقيه فى الله لا نهائى. فكان دأبه هو تعبيد عقله لنور الله، والإستزادة منه فى كل وقت وحين، سبعين مرة لا على وجه التحديد برقم سبعين، ولكن معنى التطور إلى المقام الأرقى فى الله فى كل وقت وحين. واتساع قلبه لفيوضات الله، والحياة الحقية من الله.

إلى أن قال (أنا أول العابدين)، وليس آخرهم. أى أنه تدرّج فى كسب المعانى الربانية إلى أن قام فى مقام العبد لله. مقام العبد فى الله هو مقام الإنسان الذى يسير دون توقف صوب الكمال. الإنسان العبد لله هو الذى وفقه الله إلى تعبيد وجوده لأعلاه .. لربه، لكسب المعانى الربانية من أعلاه. فإذا وجد أعلاه أنه اتسع قلباً وعقلاً لإستقبال معانى أعلاه، وهبه أياها، وأفاض عليه معنى من حياة أعلاه قياماً وتوحيداً، فأصبح خطابه لأعلاه هو: (رفيقى الأعلى). رفقة لا انقطاع لها. ولا حد لعطائها.

هذا هو العبد الحق فى الله. وهذا الوصف هو أبسط صورة ممكن أن تقال فى هذا المجال. أما التفصيل أو حقيقة ما يحدث وما يقوم فيه العبد فى الله، وحقيقة معناه، أو قيامه فى معنى العبودية فى الله، لا يعلم حقيقتها إلا

من قام فيها، ومن وهبه الله إياها. إنه مجرد فهم فى معنى العبد فى الله. وهناك فهوم أعلى وأرقى فى معانى العبد فى الله.

إنه يخاطب الناس على أنهم عباد لله. فإما أن يكون باعتبار أن كل من خاطبه يحمل سر الحياة، ومعنى الحياة، ممثلاً فيما فيه من سر الله فى باطنه، ويوماً ما سوف يفيق ويتجه لهذا السر فيه. وإما أنه يرى من يخاطبه على حقيقته بأنه عبد لما يحب، ولم يتجه بعد لمعناه الإنسانى.

ونرى النبى سليمان طلب أن يرتقى من مقامه كنبى، فطلب من أعلاه أن يدخله فى عبد من عباده، فى قلب عبد من عباد الله ليتطور فيه، ويرتقى فيه، ويصعد لمعنى الإنسان العبد فى الله.

إن عبد الله الحق لا يمنع علماً حقياً عن طالب، فيقدم له مما يطلب فى حدود ما يطيق. إن عبد الله هو أعلى مقام يصل إليه الإنسان وهو على الأرض. فنحن نردد الصلاة على عبد الله محمد كثيراً، ولكن لا واقع ولا معرفة ولا تصور لكيفية الصلة بعبد الله كيف تكون؟ كيف يقوم الإنسان فيها؟ لا واقع لهذه الصلة فى قلوبنا، ولا نشتاق لها فى حياتنا، ولا إدراك لها بعقولنا، ولا نرجوها بنفوسنا، إلا من رحم.

(أدبنى ربى فأحسن تأديبى)، (إنك على خلق عظيم)، (كان خلقه القرآن). هكذا هو قيام عبد الله. (ألقيت عليك محبة منى ولتصنع على عينى). فمن كان خلقه القرآن، كانت المعانى التى ذُكرت فى القرآن هى قيام رسول الله محمد. عبد الله محمد أقام العدل الزمنى بين الناس، وهذا طلبهم، لا يرون إلا ما يحيط بهم وفيهم من الحياة على الأرض. لم يتجه الناس إلى إيمانها بحقها الإلهى، ورباطها الروحى. كل ذلك كان قيام وحياة رسول الله الحقى محمد (أنا الحق من ربكم)، (من رآنى فقد رآنى حقاً)، فلم يطلبوا ويرجوا ويطمعوا فى قيامه الحقى. (أنا رحمة مهداة)، فلم يُهدَى إلا لقلة طلبوه، بعد إدراكهم لما جاء به بتأملهم وتفكرهم. بهذا هيئوا وجودهم لاستقبال أنواره ورحمته وحبه، فمنحهم إياها رحمة مهداة.

ونرى بعض من أدركوا هذه الحقيقة المحمدية وعبّروا عنها، ونالوا وقاموا فى الرحمة الهدية رسول الله. فيقول السيد محيى الدين أبن عربى حين قام فى معنى: (أحبونى يحببكم الله لكم من الله ما لى).

أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

وعبرالحلاج عن هذا الحب هكذا:

والله ما طلعت شمس ولا غربت إلا وحبك مقرون بأنفاسى

ورابعة العدوية عبرت بحبها كلآتى:

أحبك حبين حب الهوى وحباً لأنك أهل لذاك
وأما الذى هو حب الهوى فشغلى بذكرك عمن سواك
وأما الذى أنت أهل له فكشفك للحجب حتى أراك

وهناك من أساء فهم العبودية والوصلة بعباد الله الصالحين لابن الفارض حين قال فى أحد أشعاره:

إن عذبونى أو رحمونى فالعبد عبد فى كل حال

هذه نظرة قاصرة للعبد وقيام العبد فى الله، وكيف يسلك ويوجه ويتعامل طالب مقام العبد ومريده. إنها نظرة للعبد كما يراه الناس فى حياتهم ومعاملاتهم لعبد مشتراه.

ودعنى أشارك بفهم متواضع فى معنى الحب واتجاه الإنسان إلى الغيب علة يكرمنى بعبد من عباده يتولانى ويتولى الناس أجمعين، ويدخلهم فى حضرته القدسية، ليتجهوا بصدق وحب إلى معانيهم الباطنية، وأبوح بما أحس به عن حالى، فإنى ما زلت ممن يجاهدون أنفسهم:

أشتقت إليك فعلمنى إلى حبك كيف أشتاق
علمنى كيف أخط جذور حبك فى لب أعماقى

كما رأينا فإن العبودية هى حب وعشق وقيام فى معنى معين أو عبودية لفكر بعينه يسيطر ويهيمن على العقول، فكر ثابت بظن حقيقة لا تتغير ولا تتبدّل ولا تتطور، كفكرنا عن الدين .. فكر وضِع فى قوالب جامدة ثابتة، سارية داخلة فى وجدان الأكثرية من الناس بظن دين.

ينال الإنسان ما عاش بفكره ووجدانه فيه أثناء حياته وبعد مماته بقانون: (كن كيف شئت فإنى كيفما تكون أكون) قالها أحد كبار الأئمة، وهى مطابقة لقول الله: (وما تشاؤون إلا أن يشاء الله). إنها مشيئة الإنسان تتجه إلى ما يحب فى حدود فكره وعشقه، والله المستعان، يعين كل إنسان إلى ما يريد، لأنه قد أعطى الحرية التامة، وقد مُنِح كرة على الأرض يغيّر ويبدل الإنسان فى حياته وأهدافه كيفما شاء، ولكن مسيّر بقانون رد الأعمال حسب ما عمل فى حياته الحالية وحيواته السابقة.

ولكن رحمة الله هى الفرصة التى أعطاها القانون الإلهى لهذا الإنسان أن أعاده إلى الأرض. هذا الرجوع فى هذه الكرة لمن أفاق وطلب الرجوع (أرجعنا نعمل صالحاً ...) هذا الفهم فى هذا القانون الذى نشرحه الآن هو معرفة أولية أساسية فى كل ديانات الشرق القديمة كديانة الهندوس والبوذية وغيرهما من ديانات، والأوربيون والأمريكان الذين يؤمنون بالرسالة الروحية.

هذا سر التفاوت الذى نراه فى أحوال الناس. كل إنسان له قيامه الخاص، وحاله الخاص، وعاداته واتجاهاته، وفكره الخاص. ولكن للأسف الشديد أدعياء الدين بشكله الحالى السائد بين معظم الناس المحصورين فى قالب واحد، وفكر واحد يصرون على التبسيط، إلى أن نجحوا فى تسطيح المعانى وحصرها فى فكر ساذج، ألا هو أعمل الخير وابعد عن الشر تدخل الجنة.

أين معنى الإنسان؟ أين قيمة الإنسان وعلاقته بالله؟ أين المثل الأعلى بيننا، نطلبه ونرجوه لقيامنا. أين الأرتقاء والسمو فى سلم الحياة الذى شرحه رسول الله محمد فى الإسراء والمعراج؟ أين نحن ممن يتفكرون فى

خلق السموات والأرض؟ أين نحن ممن يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم فى صحبة امتداد رسول الله الكريم؟

من منا عرف معنى خطوات الحج وطبقها بعون رسول الله؟ كل المناسك تُؤدى كأمر لا معنى لها فى قلوبنا. نقول: "قرآن كريم" أى أنه يكرم بمعانى إنسانية، قام فيها الأنبياء والرسل، ورحمة بنا يظهرون لنا برسالات، تُنبأنا عن هذه المعانى لنقوم فيها. والنبى أو الرسول هو مثالية مشهودة لنا حتى نحاول بعونه أن نقوم فيما هو قائم فيه، ولكن بالتأنى، وكل حسب قدرته واتساعه، وقوة استيعابه "وقل لهم فى أنفسهم قولاً بليغاً"، قولاً يدركون به ما فيهم، وكيف يصلوا إليه، وكيف يقومون فيه.

أما إذا حدثهم عن قيامه، ومقامه فى الله فهذا يدخلهم فى يأس من بلوغ مراد الله بهم ولهم.

إلى من نعبّد أنفسنا له؟ إلى من ينشغل به فكرنا؟ إلى من نعشق ونتوق إليه بقلوبنا؟ إنها حياة نحياها بما فيها من متع .. عبيد مخلصين لما تحت حزامنا. أين مُثل الله بيننا لنقتدى بهم، ونحبهم لنكسب معناهم ونصير كيانا حيا فى الله .. أحياء عند ربهم يرزقون، وليس عبيداً لأنفسنا ومجالاتها طائعين ومساقين إلى ما هو أسفل سافلين فى وجودنا.

هذا الذى أسجله فى هذا البحث موجه إلىَّ، لا إلى أحد من الناس، لأنى لا أرى قلوب الناس وما فيها "الله أعلم بالسرائر". ولا أعرف ما يفكر فيه الناس، وما هم قائمون فيه، ولكنى أتكلم عموماً عن الإنسان وقيامه على الأرض. أتكلم عن ما أحسه وأراه وأتقلب فيه وأرجوه من حين لآخر .. كيف يستدرج الإنسان من حال إلى حال آخر بفعل نفسه (ونستدرجهم من حيث لا يعلمون)

أسأل الله لى وللناس أجمعين أن يكرمنا بعلم نافع، وبعقل راجح يفرّق بين الحق والباطل. وأن يقذف فى قلوبنا ما يشغلنا بحبه وحب من أحبه من

عباده الصالحين. وأن يكرمنا بالدليل والمرشد الذى يوجهنا إلى معنانا الإنسانى، ويكون هذا الدليل المرشد من عترة رسول الله الكريم محمد وامتداده، وحامل معناه الحقى. وإنى فى يقين دون أدنى شك أن رحمة الله لا تفارق الأرض أبداً، ممثلة فى عباده الصالحين. وكما أن الشيطان يجرى من الإنسان مجرى الدم، فإن الرحمة بالرحيم القائم الدائم فيها لا يفارق الأرض أبداً (أنا رحمة مهداة)، (جُعلت لى الأرض مسجداً وطهوراً)، أرض القلوب لمن طلبنى بصدق وشوق وحب وجدنى. (واعلموا أن فيكم رسول الله).

obeikan.com

العبـــــودية

الكـــل عبـــد لقـــانون اللـــه ولكـــن شـــتان بـــين عبيـــد وعبـــيد

عبـــيد المـــال والجـــاه يتوقـــون شـــوقاً هـــل مـــن مـــزيد

ألاعيـــب النـــفس وطـــرقها تحشـــد فيهـــا صـــنوف العبـــيد

صـــلى صـادقـــاً فاقـــترب أحـــس بالقـــريب فـــاقترب

بالقـــريب صـــلى فوصِـــل شـــاهد موصـــوله فطـــرب

عبّـــد وجـــوده لأعـــلاه فأصـــبح عبـــداً لمـــا طـــلب

obeikan.com

الفـــطرة

فطـرة الإنســان السـليمة

الصـدق فى التأمـل والتفـكر

ينقـذ الإنســان

من الوهــم

وظـــن ديـــن

obeikan.com

obeikan.com

الفطـــرة وظـن ديـــن

فطرة الله السليمة موجودة فى كل إنسان على الأرض. لا يختلف إثنان على معنى من المعانى الإنسانية الموجودة فى طبيعة كل منهما. فمثلاً معنى العدل معروف لفطرة الإنسان، لا يختلف عليه أثنان، إنه أفضل من الظلم. وأن التعامل السمح أفضل من خشونة الطبع والجهامة. وأن الاستقامة أفضل من الفساد. وأن الصدق أفضل من الكذب.

كل هذه الأمور وغيرها من المعاملة والتعامل والعشرة الطيبة مع الناس معروفة بالبداهة التى هى فطرة الإنسان السليمة، والذى يحافظ عليها ويغذيها الإنسان بالإستقامة ويحب الإستزادة منها، لأن استخدامها ينشر السلام والمحبة بين الناس.

ولكن بعض الناس هجروا وبعدوا عن فطرتهم، وجعلوا كل تعامل بين الناس خاضع لنص من نصوص الدين، ومن يخالف ما فهموه من هذه النصوص فهو ضد الدين، وما فهموه من هذه النصوص يرجع إلى عقول أناس يسمونهم أئمة وشيوخاً، لا ينتمون إلى عصرنا ولا إلى علومنا وثقافتنا.

هناك أحداث كثيرة حدثت عبر التاريخ غيّرت من أحوال الناس، وعدّلت من سبل معيشتهم، وتطور فكر الناس عن الطبيعة من حولهم، ومفهومهم عن الكون، وتغيّرت بعض معنوياتهم، نتيجة لتغّير وتبدّل مفهومهم عن الحكم، من خلافة مقدسة، إلى حكم الشعب ممثلاً فى البرلمان.

تغيّرت القوانين لتلائم مفهوم العصر ومتطلباته. واتجهت العلوم نحو صالح الإنسان وتطوره المادى والمعنوى. واستعمل الناس فى عمومهم نور عقولهم فى كل أمور حياتهم. وأصبح إتصال الناس بعضهم ببعض عن طريق التواصل الإجتماعى، عن طريق شبكات الإتصال (الكمبيوتر والتليفزيون). ينتشر الخبر والمعلومة فى ثوان معدودة إلى كل أنحاء الأرض.

كان الناس فى الماضى يعيشون فى رتابة والعلوم تمشى السلحفاء. هذا النمط من الحياة يتناسب مع الناقة والحصان فى السفر والإتصال. ويستخدمون السيف والرمح لشن الحروب. ويسافر الباحث أو الدارس مسافات طويلة يستخدم فيها وسائل المواصلات المعروفة فى زمانهم مُعرّضين لمخاطر الطريق، وقسوة المناخ، وربما فقدوا حياتهم أثناء السفر.

كانت العلوم محدودة جداً. كان الغالب والأعم هى علوم لها صلة وثيقة باللغة، منها الدين لأنه مكتوب بلغة فيها حكمة وبلاغة، وإعجاز لغوى. وبرز للوجود ما يسمونه علوماً أغلبها مرتبطة بالدين، ولها فروع وشروح لا حصر لها. هذا كان عصرهم ومجالاته المحدودة .. لغة ودين. وتوارثت هذه العلوم اللغوية والدينية، وأصبح لها قدسية مثل ما للكتب المقدسة من قدسية. وأصبح لمؤلفيها مكانة تقرب من مكانة الأنبياء، إستناداً إلى الحديث المعروف (علماء أمتى كأنبياء بنى إسرائيل)، ومن يخالفهم أو يعترض على مؤلفاتهم فهو كافر. وكل من يعرف ماذا قال العلماء القدامى، وحفظ عن ظهر قلب كل ما قالوه، وعنده الحافظة التى تستطيع أن تردد هذا الذى قيل فى قديم، دون إعمال فكر فيه، فهو عالم، وعلى الناس أن تأخذ عنه وتطبق ما قال، لأن هذا هو قانون الله وشريعته.

جمّدوا مفهوم الدين فى قوالب لا تخرج قيد أنملة عن ما جاء بكتب الأولين مثل البخارى ومسلم وابن تيمية. وقد شرحنا فى أماكن أخرى من هذا البحث ما فيه الكفاية عن هؤلاء القدماء.

أمة محمد التى ذكرها فى الحديث هى أمة لا إله إلا الله، لا قولاً بترديد اللسان، ولكن شهدوها فى باطنهم، وقاموها بوجدانهم، وعاشوها بأرواحهم. أدركوا ما وراء القول بالتأمل والتفكر، وما وراء القول هى معانى إنسانيتهم. عرفوها بفضل روادهم الذين قاموا فى هذه المعانى الإنسانية قبلهم، ونقلوها إليهم. إنهم علماء أمته .. صاروا من أمته بالعلم، وقاموا فيما علموا بالصبر وعون رسول الله لهم، الممتد فى روادهم (ما أعطيته فلأمتى).

الفرد فى أمته ينظر فى مرآة أخيه ليصحح مساره، ويعدّل صفاته، ويكمّل من خلقه وآدابه (المؤمن مرآة المؤمن).

فمن أين أتوا بهذه السلطة الدينية التى لها الكلمة العليا على الناس، ويكفرون من يفكر أو يتأمل فى معنوياته الإنسانية التى هى من صميم تركيبة وجوده، إنها فطرة الإنسان السليمة، التى هى دينه. وكل إنسان متفرّد بطبعه، متفرّد بعقله، يفكر بما عنده من مخزونه الثقافى، ويضيف ما يضيف أو يمحو ما لا يرغب فيه. لأن ما يضيفه وجده تجديداً وإنعاشاً ومواصلة لتطوره الباطنى القابل للتنوع والتعدد والتبدّل (يبدل الله سيئاتهم حسنات) وما سيئات الإنسان الباحث المجد إلا جهله بما ليس عنده، ووجده عند معلمه، أو عند أخيه، أو عند الناس، لأن (الله ناطق على كل لسان)، فهو نَهِم فى تحصيل المعرفة عن وجوده الإنسانى ككل، لا يهم المصدر (فأينما تولوا فثم وجه الله). وأيضاً مع ما لا يتفق وما لا يراه منسجما مع معنوياته يلفظه.

لماذا يريدون أن يطبعوا الناس بطابع واحد، وبفكر دين من ظنهم، نقلاً عن أناس ليس لنا بعلومهم أى صلة. يا أيها السادة: الأقدمون العلماء المتفردون الذين صاغوا الدين وحصروه فى مفهومهم، لكم مطلق الحرية أن تؤمنوا بهم وتنقلوا عنهم، ولا تقبلوا أى إيمان غير إيمانهم، وتقدسوهم كما تشاءون.

أما الأحرار الذين يشعرون بقيمة ما وهبهم الله من نعمة العقل ونوره، حين ينعكس به إلى باطنه .. إلى قلبه، وله مطلق الحرية فى سياسة نفسه وجهادها (أعدى عدوه) بالطريقة التى يرتاح إليها .. بطريقة مجدية تخصه ولا تخص غيره من البشر على الأرض. إنه أدرى بوجوده وحسه، وإلى ما يتجه إليه بكله، يختار طريقه كما يشاء، بحيث لا يضر بغيره. أما ما يخص داخله وما يشعر به تجاه معنوياته الدينية فلا أحد فى الأرض جميعاً له أى سلطة عليه من أى نوع. فكل إنسان حر فى عقيدته، حر فى اختيار

دينه، حر فى أن يرفض الدين ويؤلف لنفسه قواعداً وآداباً وأصولاً إنسانية كما يراها ويرتاح إليها .. (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر).

هذه الآية تعبر عن قانون إلهى، تشير إلى أن الإنسان على الأرض له مطلق الحرية فى اختيار طريقه، وهو مسئول أمام الله عن كل أعماله وأفكاره واتجاهاته، واختياراته. فمن أين خولت السلطة لأى إنسان آخر أن يتدخل فى شئونه، ويحد من حريته التى منحها الله للإنسان، والجلية والمباشرة، وليس فيها أى لبس أو غموض (لله طرائق بعدد أنفاس الخلائق).

كيف يسمحون لأنفسهم أن يتدخلوا فيما يخص الناس وما يعتمل فى قلوبهم من حب أو كره لأى فكر أو معنى أو دين أو ميول لأى مذهب أو دين آخر. من الممكن أن يقول قائل، ربما يكون هذا فكراً راسخاً، وإيماناً متيناً عند كل المتشددين فيقولون: (الدين عند الله الإسلام).

هنا لم يذكر أى دين، لم يحدد أسم أى دين. فإن كان يقصد دين الإسلام فهذا حق، وإن كان يقصد أى دين آخر فهو حق. إن أى دين لا يكتمل لأى إنسان إلا إذا كان مسلماً. السيد المسيح يقول (لا دينونة اليوم على من دخل فى قلب يسوع) فكيف يدخل إنسان قلب السيد المسيح دون أن يسلم له تسليماً. وحين وجد إنساناً يدفن قريباً له، ورأى فيه نوراً وسعة واستعداداً روحياً .. ماذا كان قوله له: (دع الموتى يدفنون موتاهم وابق مع الحياة). ألم يسلم له تسليماً، وترك الميت لموتى القلوب ومضى مع الحياة. وحين وجد شخصاً يقوم بعمله فرأى فيه بذرة الحياة من قديم، وإنه أحد تلاميذه فى سابق حياة لم يلتق به بعد، فيقول له: (أترك ما بيدك واتبعنى). فسلّم تسليماً دون نقاش أو مجادلة، وترك ما بيده وسلّم قياده للسيد المسيح.

فالإسلام هو سمة من سمات أى دين يكرم به أى إنسان مسلّم قياده، وفاتح قلبه، وسائر فى طريق معلمه ومرشده. ولا تسرى الحياة إلى التلميذ إلا إذا سلّم تسليماً لمعلمه "روح القدس".

فالمقصود بالإسلام هو معنى من المعانى الأساسية التى يجاهد الإنسان بكل قواه الفكرية والقلبية ليسلِّم لرائد أى دين. فهو معنى أساسى من معانى أى دين. ولو كان المقصود بأن الإسلام هو الدين الإسلامى فقط، والله لا يقبل من الإنسان أى دين إلا دين الإسلام ما كان قوله: (لا نفرق بين أحد من رسله)، (والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ...).

ولو تأملنا فى قول آخر: (إن إبراهيم كان حنيفاً مسلماً) أى أنه متطهراً من أى معنى يخالف القانون الإلهى .. قانون الفطرة، من ما جُبِلَ عليه الإنسان من طاعة داخلية لنداء الحق الأعلى عليه، حين يتوجه بالخطاب إلى الحق فيه. وهذا هو التسليم الحق، هذا هو الإسلام.

فمن اتّبع فطرته، وتأمل وتفكر بعقله، بضمير حى غير خاضع لأهواء نفسه فهو قريب من معناه الإنسانى، وما يصل إليه هو عين الحق لا يختلف عما جاء فى أى كتاب مقدس، فهو بذلك أقرب ما يكون إلى الاستقامة.

فما ينفع الإنسان هو ما يصل إليه بجهاده واجتهاده. بجهاده لنفسه، واجتهاده فى إعمال ما أعطاه الله من أدوات. وما يراه من مصادر أخرى تعينه، ومتفقة مع ما يقبله ويستقبله بفطرته السليمة، وعقله المتأمل وضميره الحى. هذا الوعى الذى جاهد فى سبيل تحصيله يضاف فى التو واللحظة إلى وجوده الروحى والمعنوى الذى سينتقل به إلى وجوده فى حياته الأخرى بعد مغادرته لمجاله الأرضى.

هذا الوجود الذى كونه ينطبق عليه القول (يحشر المرء مع من أحب). مع من أحب من مادة، أو معنى روحى، أو من معنى حقى، أو من إنسان يحبه. وما حصّله له ذبذبات وتردد، ومد موجى وروحى، يضع الإنسان فى العالم الذى يستحقه، مع آخرين لهم نفس المد الروحى والمعنوى. فلا خلط ولا تداخل مخلوط فى عوالم الله التى لا حصر لها.

كلٌ لـه مستوى يسكن فيه، ولـه حياة يحياها حسب فكره، وإيمانه، وعقيدته، وحبه، وعشقه، وعمله، (يحشر المرء مع من أحب). ولكن هذا التسكين فى عوالم الله لا حصر لها بعد انتقال الإنسان مع أرواح متماثلة لبعضها البعض فى معنوياتها، ولكن ليست متطابقة تمام التطابق، وإلا فَقَدَ كل فرد فى هذا المجال أو هذا العالم تفرّده.

ومن الأهمية بمكان هو عمل الإنسان، لأنه المعيار الذى يضعك فى مكانتك فى عالم الروح، وليس دينه أو عقيدته. إنها معاملته مع إخوانه أثناء تواجده على الأرض: (الصلاة عادة والصوم جلادة إنما الدين المعاملة). قول يعبر عن قانون يطبق على كل إنسان، على الأرض كنت أو انتقلت إلى أى عالم من عوالم الله، عرفته أو لم تعرفه. مغيّب ومنقاد بفكر وعقيدة غيرك سوف تحشر معه. حرٌ ومكوّن وجودك بما تراه أنه الحق، مستعيناً بإنسان حق مستنير، تلمس بفطرتك أن فيه معرفة إنسانية راقية، يأخذ بيدك إلى ما تصبو إليه. فهذا اختيارك وطريقك.

وإن لم يكن هناك إنسان يعينك فى طريقك إلى معناك الروحى والحقى، وعندك القدرة على السير بعون ما حصّلت من وعى وإدراك عميق بوجودك المادى والروحى، فأنت إنسان يقظ واعى ذو إرادة قوية حرة يبنى حياته الممتدة بمعرفة ذاتية، يغبطها لك ويقدرها لك الأرواح العليا.

لم لا أستخدم ما وهبنى الله من عقل أزيد نوره بالتأمل والتفكر والتدبر حتى لا يُظْلِم ويستخدم كعبد لنفسى وأغراضها. لم لا يتسع قلبى ليستقبل نور الله من عقلى ويدرك قضية الحياة .. حياة القلوب إذا حيت، فتفقه مراد الله بها، ومراد الله لها (لهم قلوب ولكن لا يفقهون بها).

لماذا أتّبع إنساناً تاريخه الروحى والنفسى وما جمّع من علم فى حيواته السابقة مختلف تماماً عما حصّلت وكسبت وخسرت (ليس للإنسان إلا ما سعى، وسعيه سوف يرى) يُرى منه حين انتقاله، فيسعى لتصحيحه وتغييره (كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً). ولا يمكن أن يتطابق تاريخ إنسان مع

آخر روحياً ومادياً. وما بالك بوجوده الحقى، وسره الإلهى. لماذا يُفرض على الإنسان فهم بعينه بظن دين، ولا يمكن الفكاك منه إذا آمن بهذا الفهم. وإذا فكّر ورفض ما فُرِضَ عليه وصموه بالكافر المرتد عن دين الإسلام.

خُلِقَ الإنسان حراً ويزيد من حريته باختيار الإيمان أو الكفر بالمعنويات دينية كانت أو إنسانية أو فطرية أو مادية.

الإيمان والكفر ليسا معانى جامدةً وموقوفة على معانى وأفكار ثابتة. الإيمان عند إنسان هو ما فكّر فيه وأقتنع به وصدقه، وتمكّن من قلبه بالحب. والكفر هو نقض ما آمنت به فى سابق، بعد تحليل وإعمال فكر لما وقر فى القلوب، ولم يتوافق معك. يحدث ذلك إذا بحثت فيما يُعرض عليك من آخرين، أو قرأته طواعية فى كتاب، أو سمعته من إنسان تلمس فيه الصدق والعلم والتقى (أتقوا الله ويعلمكم الله).

وكلمة كفر التى يمجها الناس، ويرتعبوا مخافة أن يوصموا بها، تحمل حروفها كلمة فكر. بفكرك الحر الفطرى تستطيع أن تقلِّب المعانى والأفكار وتصل إلى ما ينفع وجودك. وما ترفضه هو ما لا يتوافق مع فطرتك السليمة. فلا غضاضة، ولا غضب عند الله عندما ذكر فى كتابه الكريم (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر). إنها حرية الإنسان وهو على الأرض، يحترمها الله ورسوله، فلما لا نحترمها ونقدرها نحن. وإذا لم يعجبك فكره أو كفره، لا تأخذ به، وأبعده عن رأسك، ولا داعى للتشنج والعصبية طالما أنه لا يفرض عليك شيئاً من أفكاره التى تعتبرها أنت أنها كفر.

فالإنسان على المستوى المادى والمعنوى (روحى أو حقى) حر فى اعتقاده، حر فى فكره، حر فيما يحبه أو يمجه. الإنسان متقلب إلى ما يراه هو، وليس أحد غيره أنه الأفضل والأقوم له. أما الآخر فليس له أدنى سلطة بظن دين على الآخرين. سلطة الآخر على نفسه، وليس هناك أى نص فى أى دين يفرض سلطة على الناس من أى نوع. فمن أكون أنا أو أنت حتى

نتدخل فى علاقة الإنسان بالغيب. (لا دينونة اليوم على من دخل فى قلب يسوع)، لم يُكرِه أحد على الدخول فى قلبه. قال كلمته ناصحاً مرشداً، لم يفرض قانون الرحمة هذا على أحد. (من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر) .. إنها حرية الإنسان، وحريته مطلقة فى اختياره.

(أخفى الله الولى فى الخلق) .. الولى هو الحى روحياً، المستنير معنوياً. هو عبد الله الصالح الذى كُلِّفَ برسالة، وقلبه متسع لكل من أراد أن يُرحم. الولى هو الرحمة المهداة .. الهدية لمن يقبلها (يبعث الله على رأس كل قرن آدم يجدد للأمة شئون دينها)، (أهل بيتى فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك). ولماذا أخفاه الله فى الخلق؟

خلق الله .. كلٌ له طريقه، وله هدفه فى الحياة على الأرض، يختاره الإنسان بكامل حريته، أياً ما يكون هذا الهدف. ولىّ الله لا يظهر بولايته .. لا يظهر بنوره .. لا يظهر بما له من الله، حتى لا يكون فرضاً على أحد من خلق الله. هذا سبب من أسباب خفاءه فى الخلق. وسبب آخر جوهرى وهو ألا يعطى الفرصة لمن يجادلونه فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير. وكذلك البعد وتجنب الدخول فى مهاترات، والتعرّض للسطحية بظن دين.

الولى إذا خاطبه الجاهلون المحرومين من نور الله وهدى الله وإرشاد الله الذى أُكرم به من تولاه فيقول سلاماً. الولى يظهر لكل طالب صادق مفتقر لله. وعلم هذا الطالب هو عن نفسه وعن وجوده. الطالب الصادق المفتقر يرسل طاقة روحية تسرى بدعاءه ورجاءه فى الوجود أن يهديه الله إلى مصدر النور والحياة. هذه الطاقة يتلقاها الولى، فيرشد الطالب للقياه. ويعلمه كيف يكون ذكر الله، وكيف يستمد نوراً من نور الله ينفذ به إلى عقله، ليستطيع عقله أن يسوس نفسه ويهديها إلى طريق الحق والحياة. وهكذا يستطيع الطالب أن يسير فى طريق الله بإرشاد الولى.

فمن يعرف الولى هو من اتبع فطرته بعيداً عن أى موروث أو منقول، لا هدى فيه ولا نور، ولا حياة فيه للقلوب، ولا قدرة تغيّر النفوس ما بها من

ظلام وإظلام لوجود الإنسان. الولى يرى بنور الله ما بداخل الطالب فيرشده إلى أقرب الطرق لينفذ الطالب إلى داخله ويصلحه لبعث معناه الروحى والحقى.

نسأل الله أن يأخذ بأيدينا إلى الخير لوجودنا، معتمدين على ما وهبنا من نعمة العقل، نغذيه بنور من مصادره النورانية، وقلب نحييه بأنفاسنا مستمدة من أعلى لنا، وضمائر حية تحكم وتوجهنا بفطرة إنسانية سليمة غير مشوهة بمنقول من سالف علوم لا تنفع.

obeikan.com

الفـطرة... وظـن ديـن

خاطـــــبه حبـــاً ورحـمـــــة أنـــت ونفســـك قيامـــاً واحـــداً

تحـــول بيـــنك وبـــين ســـليم فطـــرتك فاجـــأر مستنجـــداً

يرحـــمك مـــن ظـــن دينـــها لازمـــك أبـــداً وأنـــت مغـيـــباً

تحـــرر واتجـــه إلـــى مســـتقيم طـــريق يحيـــك مســـترحـــماً

obeikan.com

الرســـالة الروحـــية

وكتـــاب الأرواح

للعـلامـة المفضـــال خلاصـــة الحكمـــاء

وصـــفوة العـــلماء

حضـرة: الشـيخ طـنطاوى جوهرى

obeikan.com

obeikan.com

الرسالة الروحية

رؤية الشيخ طنطاوى جوهرى

تقديمه للرسالة الروحية فى كتابه "الأرواح"

ولمن لا يعرف الشيخ طنطاوى جوهرى سوف نقدِّم بشىء من التلخيص بعضاً من أسماء أعماله المدونة. الشيخ طنطاوى جوهرى هو أول أستاذ للفلسفة الإسلامية. كان يلقى محاضرات الفلسفة الإسلامية فيما عرفت بعد ذلك بجامعة القاهرة. وهو عالم اجتماعى عالمى. هو أول من مزج الآراء الدينية بالسياسة. عمل كاتباً بجريدة اللواء وجريدة الفلاح. ترجم الكثير من العلوم الغربية.

من مؤلفاته أربع كتب فى اللغة والنحو. وفى تفسير القرآن كتب خمسة وعشرون مجلداً تحت أسم (الجواهر). وفى الدنيا والدين كتب سبعة كتب. وفى السياسة والإجتماع له ستة كتب. وفى علوم شتى ثمانية كتب. كتابه أحلام فى السياسة، وكتابه أين الإنسان تناول فيهما قضية(السلام العالمى). ونذكر أن الدكتور/ مصطفى مشرفه عميد كلية العلوم هو الذى رشّح هذين الكتابين لجائزة نوبل. كان ذلك سنة١٩٤٠، ولكن عاجلته المنية، ومن شروط جائزة نوبل أنها تمنح للأحياء. كان شيخاً أزهرياً، ولكنه فى أحد كتبه الذى صدر سنة ١٩٣٩ طالب الأزهر أن يراجع المواد الدراسية فيه لتصحيح ما فيها بحيث يقدم الأزهر خطاباً دينياً جديداً.

ونحن هنا بصدد الحديث عن كتابه "الأرواح" وعلاقته بالرسالة الروحية التى ظهرت بوسطائها ومعلميها فى أمريكا ثم انتقلت لأوربا بدءً بانجلترا. وعلم الأرواح هذا هو بداية انفتاح المعرفة عن حياة الإنسان بعد رحيله من قيامه المادى. وقد واكب هذا العلم، ومهّد له الأنفجار المعرفى فى شتى العلوم. لأنه قبل القرن العشرين كان يُنظر إلى الوسطاء الروحيين على أن الشيطان متلبس بهم. والمسلمون عموماً أو الغالبية العظمى يرون أن الوسيط

الروحى هو شخص مسه الجن أو الشياطين. ولعلنا بعد تناول جانب من كتاب الشيخ طنطاوى جوهرى "الأرواح" نعرف الكثير عن الرسالة الروحية، وكيف أنها صححت مفاهيم كثيرة عن حياة الإنسان وامتدادها، وأن الحياة فى الآخرة لها وثيق صلة وارتباط بعلمه وعمله أثناء تواجده على الأرض.

واهتمام الشيخ طنطاوى جوهرى بالرسالة الروحية وإفراد كتاب "الأرواح" لها عبّر عن ذلك فى صفحة رقم (٥) بقوله: إنما الذى أدهشنى ما عثرت عليه من المحاورات بين الأرواح الناطقة من عالم الغيب وبين الأحياء فى المجامع العلمية وكيف كانت آراؤها وتعاليمها تذكرنى كثيراً بما طالعته فى أمهات الكتب الإسلامية، وما جاء عن السادة الصوفية. أليس من واجبى أن أنشر تلك المطابقات العجيبة بين أممنا الإسلامية، إنه لحرام علىّ أن أغمض العين ولا أنتهز الفرصة فأذكر كل حادثة من حوادث العجائب الروحية بما يطابقها من كلام أئمتنا الإسلامية مبيناً الكتاب والصفحة وإسم المؤلف.

يرى الشيخ طنطاوى جوهرى أنه من واجبه أن يبيّن تطابق العلوم الإسلامية بما جاءت به الرسالة الروحية كعلم. وأن هناك من كنوز المعرفة الإنسانية والعلوم المادية المتطورة التى تساهم فى دفعنا ورقينا فى مجالاتنا الروحية والمادية.

وفى صفحتى ٤٧ و٤٨ يسأل المعلم الفيلسوف ألان كارداك الروح.

س: يظهر فى بعض الحوادث الروحانية ما هو مناف لكل النواميس الطبيعية المعروفة. أفلا يجوز الاشتباه فى صحتها؟

ج: السبب فى ذلك بُعد الإنسان عن معرفة كل النواميس الطبيعية، فلو عرفها كلها لأصبح روحاً عالياً. ففى كل يوم تظهر أكتشافات جديدة تكذّب من ظن بنفسه أنه قد بلغ منتهى المعرفة ولم يبق شىء خافياً عنه. فبهذه

الأكتشافات المستجدة ينبه الله الإنسان أنه لا يثق بأنوار علومه إذ سيأتى يوم فيه يعود علم العلماء خزياً لهم.

تعليق: هل عقول من يعيشون فى القرن العشرين والقرن الواحد والعشرين وما يشاهدونه من تطور فى شتى العلوم ما زالوا يأخذون بما فهمه أناس تواجدوا على الأرض منذ ألف سنة وأكثر فى النصوص الدينية. هل يليق بنا أن نتمسّك بكلام هؤلاء القدامى رغم ما صرّحت به الأرواح العاملون فى الرسالة الروحية وقاموا بتصحيح مفاهيمنا فى كثير من نواحى حياتنا المعنوية الدينية.

ويذكر الشيخ طنطاوى جوهرى فى صفحة ١٧٢ كيف انتشرت الرسالة الروحية كالآتى:

"ثم أعلم أن هذا العلم عمّ الولايات المتحدة حتى صار المذهب يتبعه سنة ١٨٩٥ نحو ٢٠ مليوناً فى الولايات المتحدة. وعدد الشركات الروحانية ١٨٧٠ عشرون شركة روحانية عمومية، ومائة وخمس جمعيات خصوصية. و٢٠٧ خطباء. و٢٢ وسيطاً عمومياً. ومن علمائهم الحاكم أدمون كان رئيس القضاة، وانتخب مراراً فى مجلس الأعيان. والعلامة روبرت هير الأمريكى الطائر الصيت وألّف كتاب أبحاث عرفية فى ظهور الأرواح. والعلامة روبرت دال أوين وألف كتاب أسماه "عثار فى حدود عالم الغيب". وكان فى تلك البلاد فى آخر القرن الماضى نحو ٢٢ جريدة ومجلة تنقل إلى القراء أخبار أعمالها.

ولم يكن ليبحث أحد من العلماء هذا البحث إلا لينقذ الناس من الضلال بما أتاه الله من العلوم الطبيعية والرياضية والفلسفية ولما ملأ هذا الحادث أرجاء الولايات المتحدة بلغ صدى صوتهم آذان الانجليز فقام العلماء والفلاسفة فيها للبحث والتنقيب عسى أن يخرجوا العالم الإنسانى من الظلمات إلى النور بتفنيد هذا السحر وإبعاد هذا الظلام وقشع السحاب الذى غشى على الإنسان فحجب عنه نور العلم وأذاع فيه الخرافات والأكاذيب.

فقام العلامة الطائر الصيت وليم كروكس من أعظم الكيماويين والطبيعيين المكذبين بهذه الأساطير. والعلامة الفرد روسل والاس قرين داروين الشهير والمساعد له فى أعماله .... ومنهم العلامة أوجست دى مرجان رئيس جمعية الرياضيات فى لوندره وكاتم أسرار المجمع العلمى الفلكى. ثم السير فارلى مخترع آلة المستودع الكهربائى.

وفى صفحة ١٧٣ .... وكذلك فيكتور هوجو شاعر الفرنسيين. إذ قال أن من أعرض عن الحادث الروحى فقد أعرض عن الحقيقة ...

ثم فشت الروحانية فى المانيا وروسيا وإيطاليا والبلجيك وأسبانيا والبورتوغال وهولنده وأسوج ونروج. وتحت عنوان "فى الأجواء الخالية" صفحة ١٧٤ يقول:

لقد أجمعت شعوب القدماء طراً على اعتقاد خلود النفس وإمكان مبادلة العلائق ما بين الأحياء والأموات. إنما الطرق لإقامة هذه العلائق كانت مجهولة عند عامة الشعب ولم يكن يتعاطاها إلا الكهنة فقط بغية أن يمتصوا أموال العباد ويتجلوا لهم بمرأى السؤدد والقداسة موهمين أنهم قد خص بهم وحدهم إستطلاع أسرار الموت ومعرفة أحوال النفس بعد مبارحتها هذه الحياة.

....وإليك ما كتب مانو المشرّع الهندى فى أحد أسفار الفيدا وهو أقدم كتاب دينى أتصل إلينا قال: أن أرواح الأسلاف يرافقون بهيئة غير منظورة بعضاً من البراهمة المدعوين (إلى بعض الحفلات المتعلقة بتذكار الموتى) ويتبعونهم تحت شكل هوائى ويتكئون قريباً منهم يجلسون.

وفى صفحة ١٧٥ يقول: أما الصينيون فقد ألفوا منذ زمن غير معروف صناعة أستنباء الأرواح وقد شهد المرسلون أختبارات شتى من هذا القبيل. وما زال الشعب الصينى على اختلاف طبقاته يتعاطى هذه الصناعة حتى يومنا هذا.

ومع تمادى الزمان وعلى أثر الحروب التى أسفرت عن جلاء قسم من الشعب الهندى عن الوطن أنتشر سر استحضار الأرواح فى عموم آسيا وانتقلت التقاليد الهندية إلى المصريين ثم إلى العبرانيين.

وفى صفحة ١٧٦ يقول: .... وإليك ما جاء فى التلمود بهذا المعنى: كل من تعلم هذا السر (استنباء الأرواح) وحرص على كتمانه فى قلب نقى يحظى بمحبة الله ومودة البشر ويكون أسمه مبجلاً وعلمه لا يشوبه النسيان ويكون وريثاً للعالمين أى الحاضر والعتيد.

أما اليونانيون فاعتقادهم استحضار الأرواح كان عاماً وهياكلهم كانت حاوية بعضاً من نساء العرافات يناط بهن أمر استشارة الملائكة. إنما المستشير كان يقصد أحياناً أن يرى بعينه الروح المتجلى وكلّمه شفاهاً وكثيراً ما كان ينال بغيته كما تم لشاول الملك.

وإذا تتبعنا بعضاً من الحوادث التاريخية كحادثة جان دارك التى بإصغائها لصوت أحد الأرواح قهرت جيوش الانجليز وطردتها من أراضى فرنسا.

وفى صفحة ١٧٨ يقول: ... فإننا نثبت أن صلات الأحياء مع الأموات قد تمت فى كل عصر رغماً من مقاومة السلطتين الدينية والمدنية لها.

وفى صفحة ١٩٠ يقول عن الوسطاء: ولقد جاءت مقالات فى الفلسفة والعلوم والفنون والتاريخ واللغات الأجنبية كتبتها الأرواح على أيدى فتيان حديثى السن أو فتيات ساذجات لا يحسن القراءة.

وفى صفحة ١٩٤ يقول: روى المشترع الفقيه سرجان كوكس ما تعريبه: وكثيراً ما رأيت غلاماً صيرفياً وهو وسيط عار عن كل علم وتهذيب يجادل حين استيلاء الروح عليه قوماً من الفلاسفة فى مسائل المنطق ومعرفة الغيب والإرادة والقدرة وغالباً كان يفحمهم بأجوبته السديدة وأنا نفسى ألقيت عليه يوماً بعضاً من معضلات علم النفس فحلها لى ببراهين قاطعة وألفاظ

فى منتهى الرقة والفصاحة مع أنه فى حالته الطبيعية لا يدرى ما الفلسفة ولا يجد ألفاظاً يعبر بها عن أفكاره الصغيرة.

تعليق: مما تقدم وتفضل به الشيخ طنطاوى جوهرى هو أن يقدّم لمسلمى الشرق الأوسط ومسلمى العالم كيف أن الغرب أمريكا وأوربا أستقبلوا الرسالة الروحية التى ظهرت عندهم بالفحص والتقصى وإجراء التجارب الكثيرة تمت على الوسطاء الروحيين وحين تأكدوا من صحة هذه الظاهرة أصبحت علماً له الأهمية القصوى، حيث أن العلماء بمساعدة الأرواح عرفوا علوماً وأسراراً عن غيب الإنسان، وكشفوا عن قضايا علمية واجتماعية كثيرة.

وأوضح أيضاً أن الوسيط الذى هو مُعد لأستقبال الروح وتتحدث منه إما أن يكون هو وسيط بالمولد .. بالفطرة، وإما أنه تم تدريبه على الوساطة حين يجد من يدرّبه ويجد فيه استعداداً وساطياً. وهنا لا يهم درجة علمه أو تعليمه. إن الوسيط هو جهاز صالح لدخول الروح فى جسده الأثيرى واستخدام جهازه (جسده) ليتم الإتصال والتواصل مع العلماء.

وبيّن أيضاً أنواع كثيرة من الإتصال الروحى مثل كتابة الوسيط على الورق لنقل رسالة الروح المتصل. وهناك نوع آخر من الإتصال وهو وضع الحروف الأبجدية على مائدة ويشير الروح إلى الحروف الدالة أو المكتوبة للكلمات التى يريد أن ينقلها. وأرقى نوع من الوساطة هو استحواز الروح على جهاز الوسيط والتكلم من خلاله مباشرة.

والأرواح المتصلة كلٌ له مستواه الروحى وقدر من العلم عن العالم الذى أتى منه، ولا يتصل إلا لمن هم قريبون من المستوى العلمى والروحى لهم، ورؤيتهم محدودة بالمستوى الروحى الذى وصلوا له. ومستواهم الروحى هو ما حصلوه من علم وقاموا به من عمل أثناء تواجدهم على الأرض.

وفى صفحة ١٩٥ يؤكد على .... أن النقائص الأدبية أقوى جاذب للأرواح الشريرة ومن قصد التخلص منها فعليه أن يسعى فى عمل الخير فيجتذب إليه الأرواح وبمجرد إرادتها فقط تكبح جماحها وتطردها إلا أن مساعدتها لا ينالها إلا المجتهدون فى إصلاح أنفسهم الساعون وراء الكمال والفضيلة.

تعليق: إن أى فعل أو فكر يصدر من الإنسان له طاقة روحية تحفظ فى وجوده. وعلى مدى حياته يضيف ويعدّل ويصلِّح ويبدّل من فكره ويزيد من نية أتقان عمله أو إهماله بعدم إتقانه. كل ذلك كما قلنا له طاقة تجذب الأرواح التى تعيش وتتواجد وتنجذب إلى نفس المجال الروحى المشابه لطاقتها الروحية.

ويذكر الشيخ طنطاوى جوهرى فى صفحة ٢٠١ ما يؤكد أن للأرواح مستويات عديدة، وبدأ ذلك فى صفحة ٢٠٠ كالآتى:

١ – الأرواح السفلية: هى التى تغلّبت عليها المادة فمالت إلى الشر وهى إما نجسة. وديدنها الشر والقاء الخصومة. وإما طائشة تحب الخلاعة والخفة والتلاعب. وإما متكبرة بمعارفها القليلة وعلومها الضئيلة فتتعامى عن الحق وإما عقيمة لا تصلح لخير ولا شر.

٢ – وأما الأرواح العلوية: فلها سلطان على المادة تحب الخير وتبعد عن الرزائل وهى:

(أ) إما صالحة. توصف بالجود وحب الصلاح وإلهام الناس أفكاراً صالحة ومعارفها قليلة وترقيها العقلى دون ترقيها الأدبى.

(ب) وإما حكيمة: وصفاتها الأدبية حميدة لا نقص فيها وعلومها أوفر اتساعاً وأغزر مادة.

(ج) وإما رفيعة: جمعت ما بين الحكمة والعلم والفضيلة ولا تلقى تعاليمها إلا لمن طلب معرفة الحق بخلوص نية وجرّد قلبه من المطامع الدنيوية.

٣ – وأما الأرواح النقية: فهى التى بلغت ذروة الكمال وتجرّدت من كل نقص ولم يعد للمادة أدنى تأثير فيها فأصبحت معاينة لله مغتبطة به وليست تناجى إلا من كان ذا فضيلة سامية وقلبه مجرد من كل ما هو ذميم، وعليه فالموت لا يغير طبع الإنسان .... وفى الحديث أن العبد يحشر على ما مات عليه. (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا).

وعلى ذلك تكون رسائل الأرواح غير مسلّم بها ففيها الغث والثمين.

وإن العالم المتكبر أشد خطراً من الأرواح الشريرة. لأن العالم جمع العلم والنباهة والكبرياء والمكر فيغرى الجهال ويشربهم مبادئه السخيفة الساذجة.

وللأرواح العلوية سلطة أدبية على السفلية فهى التى تمنعها عن أغواء من هم مخلصون صادقون.

صفحة ٢٠٢ ومن أنواع الإتصال الراقى هو أن يتصل إنسان بالأرواح بفكره وإن لم يكن وسيطاً، وهذا يسمى الإحضار الفكرى.

وجميع الأرواح لها الحرية المطلقة فى الحضور وعدمه.

تعليق: قبل البدء فى تصنيف الأرواح أحب أن أنوه إلى أن الشيخ طنطاوى جوهرى يطلق على هذا العلم أسم "الروحانى" وصحة هذه التسمية هى "الروحية". إن علم الروحانى أو الروحانية هو علم مختص بالعوالم الحمراء (عوالم الجن)، وعوالم الجن منها من يعيش على سطح الأرض آخذة السمت البشرى، وتولد كأى أنسى، وتعيش على سطح الأرض ولها مولد كأى بشر. ومنها من يذهب بعد انتقاله إلى طبقة من طبقات الأرض السفلية. ومنها عوالم خيرة صالحة تعمل الخير لها وللكائنات على الأرض. ومنها الكثير الذى له تواجد بدون جسد بشرى.

ما يتعلق بالأرواح رقم (١) وهى الأرواح السفلية هى أرواح عابثة وشاردة وتقدم الضرر بلا إحساس من ضمير أو مراجعة من عقل راجح. إنها تخرج

من أجسادها إما بحادث أو بظاهرة الموت وهى لا تغادر كوكب الأرض، ومنها من هو ينتمى لأرواح جن خيرة رائدة فى مجالها وعشيرتها وتسعى لخدمة الناس إنساً أو جناً. والتى جبلت على الشر تعمل كأداة هى ومن على شاكلتها من الأنس فى إحداث المس الروحى، ينفذون إلى هالات الناس وأجسادهم الأثيرية، وبهذا يسيطرون عليهم، ويفعلون بهم كل أنواع الشرور.

والأرواح المذكورة تحت رقم (٢) وهى الأرواح العلوية مقسمة إلى (أ) وهى الأرواح الصالحة: حيث أنها اكتسبت صفات حسنة وقائمة فيها وينتفع الناس بها. أو أنها ما زالت تسعى لكسب هذه الصفات والأعمال الصالحة تؤهل هذه الأرواح إلى الإنطلاق إلى عوالم الكواكب. فكل عالم أو كوكب يتسم بصفة معينة وينفرد بها، ويضم فى أجوائه كل من يتصف بهذه الصفة. هذا الشخص حين انطلاقه من جسده بظاهرة الموت ينطلق إلى الكوكب الذى يحمل الصفة التى كسبها هذا الشخص أثناء حياته على الأرض .. ينطلق بفعل الطاقة التى اكتسبها من قيامه فى هذه الصفة.

أما ما جاء تحت الحروف (ب، ج) وهى الأرواح الحكيمة، والرفيعة فهى أرواح لأناس نجحوا فى أن يتجرّدوا من كل علائق التواجد الأرضى وأصبح تبرها وترابها ليس لهما عليهم من سلطان، ونالوا قسطاً لا بأس به من العلم، وتحلوا بالفضيلة .. أى أنهم غلّبوا الناحية الإنسانية فيهم على الناحية الحيوانية المتعلقة واللصيقة بأناهم، وتخلصوا من الصفات الرزيلة، ونياتهم متجهة إلى فعل الخير للناس أجمعين. هؤلاء ينطلقون إلى عالم الروح بمستوياته المتعددة. فنجد أن الأرواح الرفيعة فى مجال راقى وعالى جداً من عوالم الروح، أعلى بكثير مما نتصور ما هو العلو فى عوالمهم الروحية. والأرواح الرفيعة مرّت ونفذت وتخلصت من كل الصفات التى تربطها بالأرض. وربما تود وهى بكامل حريتها أن تعود إلى المجالات

الأرضية رغبة منها فى عون من هم فى مسيس الحاجة إليهم، المتعثرين الذين يطلبون مساعدتهم، وربما يكون لهم صلة بهم فى سابق من حياة.

أما الأرواح التى جاء ذكرها تحت رقم (٣) وهى الأرواح النقية فهى أرواح مجردة، طليقة، لا تحدها أرض ولا سماء. وهى لا يحدها عوالم الكواكب ولا عوالم الروح بمستوياته. عالمها إذا جاز لنا أن نسميه عالم فهو عالم الرشاد. وكل روح فيه هو روح مرشد. وما نعرفه عن روح مرشد هو روح متواجد فى كل العوالم بروحه وربما بأجساده .. متواجد كطاقة خيرة رحيمة بكل الكائنات. وهو الدافع والمرشد للإنسان فى سلم ترقيه الإنسانى. منهم أرواح الأنبياء والرسل والقديسين والمعلمين الروحيين العظام. هم أصحاب رسالات السماء أو مرشدين لأصحاب الرسالات كالسيد الروح المرشد (الخضر). إنهم أداة خير وسلام ورحمة لمن يريد لنفسه الخير والسلام والرحمة.. لكل طالب صادق فى طلبه، محب للحياة الحقية لوجوده.

إذا حدث واتصل روح مرشد، فهو يسرى بروحه ماراً بمجالات روحية عديدة، وكل مجال يمر به من خلال وسيط إلى أن يصل إلى الأرض. والإتصال يتم بإنسان يعيش على الأرض لا يقل مستواه عن الروح المرشد المتصل. وباقى الحضور فى الجلسة الروحية هم مريدون للإنسان الرائد لهذه الجلسة الروحية، ومستواهم الروحى له القدرة على استقبال وتحمّل الطاقة التى تحل على جميع المتواجدين فى الجلسة. وفى العادة هذه الجلسات قاصرة على رائد الجلسة ومريديه والوسيط والروح المرشد المتصل المتكلّم من خلال الوسيط.

الغرض من هذه الجلسات، هو أن هذه المجموعة مدرّبة على التركيز مع الرائد ويعملون على أن يستمدوا طاقة من مجال الجلسة المنعقدة ويتجهون بها للروح المرشد المتصل ليفعل بها الخير كل الخير للأرض ومن عليها من الناس. لأن رائد الجلسة غالباً ما يكون أصلاً ينتمى لعالم الرشاد. والروح المتصل الذى اخترق عوالم ومجالات كثيرة ليصل إلى أخيه فى

الأرض (رائد الجماعة) ليتعاونوا على نشر السلام والمحبة بين الناس، وفض المنازعات، وإخماد الحروب، والحد من الكوارث التى تحل بالناس نتيجة أعمالهم.

وأخيراً يقول الشيخ طنطاوى جوهرى أن الأرواح لها مطلق الحرية فى حضور الجلسات من عدمه. فلا أحد فى الأرض لديه القدرة ليفرضها على روح طليق بأن يستحضره، وهو إنسان مقيد ومسجون فى جسده. فعبارة تحضير الأرواح تعبير خاطىء، نابع من جهل الإنسان بشقه الغيبى. هناك أرواح عابثة شاردة تستخف بالمتصلين وتدعى أنها أرواح عالية. ولكن هذه الأرواح كما يقول الشيخ طنطاوى جوهرى إنها لا تجرؤ على العبث أو الحضور فى جلسة أفرادها أرواح أقوياء روحياً.

ويذكر ملحوظة هامة أن الإنسان المفكر الراقى روحياً يستطيع أن يتصل بمجال روحى مطابق لمستواه أو أعلى منه ليتبادل معه فكره ويزيدوه بالأفكار والمعانى حين تفكره وتأمله، بدون عقد جلسة روحية.

وفى صفحتى ٢٤٧ و ٢٤٨ يعطى الشيخ طنطاوى جوهرى بعض المعلومات عن حياة الأرواح التى انتقلت من أجسادها المادية وانطلقت إلى مجالات روحية قريبة من الأرض. وهى جلسة عقدت فى ٣ ديسمبر سنة ١٩١٥. المتحدث من الوسيط يدعى ريمند: يصف جسده الأثيرى .. إنه قريب من جسده الأرضى، والذين فقدوا عضوا ينمو آخر بعد مدة. أما الذين تمزقت أجسامهم فى الحرب تمر مدة زمنية حتى تتجمع أجسادهم الأثيرية مرة أخرى، لأن الروح لا يصيبها شىء. والجسد المادى الذى يحرق كعادة بعض الشعوب يجب أن يترك مدة لا تقل عن أسبوع، لأن الجسد الأثيرى الذى يخرج من جسده المادى ساعة الوفاة حاملاً روحه يظل فترة ملازماً لجسده المادى.

وسأله أبوه سؤال (أبو الروح المتكلم): أترى فرقاً بين الرجال والنساء؟

فقال: الناس هنا رجال ونساء ولكننى لا أظن أن نسبة الفرق الواحد إلى الآخر مثل نسبته على الأرض تماماً، والشعور قلما يختلف ولم أرى أولاداً ولدوا هنا وإنما تُرسل الأرواح إلى الأجساد الأرضية لكى يولد لها أولاد على الأرض. والمحبة المتبادلة بين الرجال والنساء هنا تختلف عن محبة الرجال للرجال أو محبة النساء للنساء، ومقابلة الرجل لزوجته هنا ليست مثل مقابلته لأبنته أو مثل مقابلة زوجته لإبنها. وقال أيضاً أنه لا يطلب الطعام حتى الآن، ولكنه يرى البعض يأكلون ويعطى لهم طعام يشبه الطعام الأرضى، وقد جاء شاب بالأمس وطلب سيكارة وهو يرى أن السكائر معدومة هنا مع وجود معامل تعمل كل شيء لا من مواد جامدة بل من مواد روحية وغازات. والسكائر التى تصنع فى هذه المعامل تشبه السكائر الأرضية، وهو لم يجربها لأنه لا يميل إلى ذلك ولكن الشاب الذى طلب السكارة أخذها حالاً ثم لما شرع فى تدخينها قل أهتمامه بها ولم يدخن سوى أربع سيكارات كأنها لم تلذ له فأهملها، وهذا شأنهم فى كل ما يتشوقون إليه حينما يأتون إلى هنا، فإنهم يطلبونه أولاً بلهفة ثم تبطل رغبتهم فيه، فبعضهم يطلب لحماً وبعضهم يطلب أشربة روحية كالويسكى والصودا، وهذه الأشياء تصنع هنا ولكن متى حصلوا علي ما يطلبون منها مرة أو مرتين أكتفوا به ولم يطلبوا المزيد ...

وفى صفحة ٢٤٩ يقول ... وكل ما يحل به البلى على الأرض لا يفنى بل تصعد منه مصعدات تصل إلينا وهى من قبيل الرائحة التى تعبق من المواد والرائحة تنتشر من كل جسم بالى حتى الخشب البالى، فهذه الرائحة تصل إلينا وتكوّن أجساماً مثل الأجسام التى صدرت منها. ويظهر لى أن الرائحة التى تأتينا من الخشب البالى تصير هنا خيوطاً تنسج منها الثياب، ولكن هذا على سبيل الظن.

يتكلمون عن الثياب أنها روحية مصنوعة من النور يكوّنها الفكر على الأرض.

تعليق: يلاحظ أن هناك مستويات لا حصر لها يتواجد فيها الأرواح المنطلقة من الأرض. وينطلق الروح من جسده بقوة معرفته وقوة الطاقة التى اكتسبها من عمله المقرون بنيته، فينطلق بها إلى مستوى لا يتعداه، مع أرواح أخرى لها نفس المستوى. هذا الإنطلاق يتم بعد زوال سكرة الموت، فإذا زالت وتمت له إفاقة أنه مات فعلاً، ينطلق إلى مستواه الروحى.

ومن الناس من ينطلق من جسده المادى مرغماً بسبب حادث يظل فترة من الزمن لا يدرى خلالها أنه انتقل. وهناك الكثير جداً من الناس الذين عندهم عقيدة دينية راسخة أنه سيظل فى قبره إلى يوم القيامة، فإذا ذهبت إلى المقابر، وكان عندك جلاء بصرى ستشاهد الآلاف منتظرين فى قبورهم.

وهناك الكثيرون الذين يهيمون على وجوههم، ويمارسون نفس ما كانوا يصنعون وهم بأجسادهم. وهذه هى معرفتهم وما حصلوه من علم. ومنهم من يلحق الأذى بالآخرين، ولكن كل فعل خاضع للقانون الإلهى (لكل فعل له رد فعل). ونادراً ما ينتقل إنسان وهو منتمى إلى أسرة روحية، تتولى إفاقته وعلاجه روحياً، وإرشاده إلى مستواه، وكيف يرتقى لمستويات أخرى بفضل العلم الروحى الذى حصّله أثناء تواجده على الأرض.

وقد أسهب الشيخ طنطاوى جوهرى فى سرد قصص كثيرة جداً لأرواح تنتمى لمستويات عديدة، نقلت بعضها كمثال لمستوى روحى من المستويات. ومن الممكن الإطلاع على هذه المستويات فى كتابه "الأرواح".

ونجد أن الشيخ طنطاوى جوهرى أنتقل للحديث عن أرواح عليا تنتمى إلى عالم الرشاد الذى حدثتكم عنه. نقرأ هذا له فى صفحة ٣٠٢ وبدأ بالحكيم كنفوشيوس كالآتى:

"وسنة ٥٥٠ قبل الميلاد ظهر (كونفوشيوس) وهو أعظم فلاسفة الصين، وعاش (٧٣) سنة وتخلى عن الرزيلة وتحلى بالفضيلة مثل(بوذا). وكان يقول لتلاميذه (إن المحبة النقية التى أوصيكم بها هى انعطاف ثابت فى

النفس وميل يوافق عليه. الصواب يجردنا من الأغراض الذاتية ويضمنا إلى الناس بأسرهم فنخالهم جسماً واحداً معنا فنفرح لفرحهم ونحزن لحزنهم، ولا مانع يمنع من ملكته هذه المحبة أن يسعى فى ترقيه الذاتى وطلب المعالى، إنما تكون غايته فى ذلك بذل النصح والمساعدة لإنهاض من دارت عليه رحى الزمان وكان ضعفه وخموله حائلاً دون نهضته، وإن من اطلع على حقائق الأشياء لا يتحمّل أن يبقى غيره متسكعين فى ظلام الجهل والحيرة منكسرين لمصاعب الحياة وهمومها، بل ينجدهم ويعضدهم ويمهد لهم سبيل الخروج من ظلمات الجهل ويدخلهم مقدس العلوم، ومتى ملكت هذه المحبة القلوب جميعاً يصبح العالم بأسره أسرة واحدة والناس أجمعون كإنسان واحد. وبهذا الرابط العظيم السائد بين العظماء والضعفاء تصبح الإنسانية كلها جسماً واحداً".

وتعليق الشيخ طنطاوى جوهرى على حديث الحكيم كنفوشيوس كالآتى:

هذا هو كلام نبى الصينيين قبل المسيح، وقبل رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم. ولذلك تجد الأمة الصينية لها جمعيات من كل طبقة. وبينهم جميعاً تلك الروابط التى أشار لها دينهم.

فهذا القول وما يشابهه من الأنجيل والقرآن يدلنا أن الديانات تنزل من السماء متشابهة.

وفى صفحة ٣٠٣ كان تعليقه: إن الأمور اللطيفة إذا اجتمعت بالكثيفة تحولت إلى طباعها. هكذا الديانات لما نزلت من السماء نزلت صافية ولكن عقول أهل الأرض حولت تلك الديانات إلى طبائعها وقلبتها إلى أهوائها.

وفهمى فى حديث الحكيم كنفوشيوس: إن المحبة موجودة فى فطرة الإنسان تحجبها أنانيته. فإذا سادت المحبة، وتراجعت الإنانية، أصبح الإنسان محباً لفعل الخير له ولمن حوله وللناس أجمعيين. هنا نحس ونتأثر بآلامهم وأفراحهم، ثم يكون هذا دافعاً لنا للمشاركة بالعون والمساعدة، وهذا سيكون

نابعاً من رؤية أنفسنا جزءاً لا يتجزأ من الناس أجمعين، كأسرة إنسانية واحدة. والدافع للعون والمساعدة بفعل الحب لا يمنع ولا يعطل أى سعى للإنسان تجاه رقيه الذاتى مادياً ومعنوياً. وخير وأعظم هذا العون للآخرين هو أن تخرج إخوانك فى الإنسانية من ظلمات الجهل وتستبدله بمقدس العلوم كما أسماها الحكيم كنفوشيوس. ومقدس العلوم عنده كما أفهمه، هو أن يعرف الإنسان قيمته كإنسان، ويسعى محباً، ويقدم صادقاً ما عرف لأخيه فى البشرية.

وفى صفحة ٣٠٤ أنتقل من الحديث عن الأرواح العليا إلى نقل مقتطفات من كتابه الجواهر .. يتحدث فيه عن الإنسان حين ينتقل إلى مجال آخر غير مجال الأرض بظاهرة الموت. وهنا من الواضح أنه يتحدث عن إنسان لم يتدرّب على الإنطلاق من جسده وهو حى يرزق، وبالتالى ليس لديه أى معرفة بالمجالات الأخرى بعيداً عن الأرض وإحساسه بجسده المادى. فيوضح حاله بعد انتقاله بقوله: إن الذاكرة والفكر والعاطفة وكل حاسة كانت للإنسان فى العالم تبقى معه بعد الموت، وإنه لا يترك شيئاً من ورائه إلا الجسد الأرضى.

إن الإنسان لا يحس أنه مات بعد الموت لأنه يرى له جسداً كالجسد الأرضى مع أنه أصبح روحاً، فهو يسمع ويبصر ويتذوق ويلمس ويحب ويكره، فالروح على صورة الجسم وله سائر خواصه وهو يقرأ ويكتب كما كان قبلاً، والفرق بين الحالين أن جميع الحواس بعد الموت أقوى وأشد وأعظم، ومثّلها بنور الظهيرة بالنسبة لظل المساء.

ثم ذكر الشيخ طنطاوى جوهرى عدة جرائم كشفت من ذاكرة الموتى، ومنهم من أحصيت الرشوة التى أخذوها من الناس، ومن حرم أقاربه من الأرث بواسطة دعوى مزورة.

وفى صفحة ٣٠٦ قال: وقد عجبت من أن الأشياء التى فعلها الإنسان لم تكن مرسومة فى الدماغ وحده. كلا بل هى مرسومة على جميع الجسد ...

فكل ما فكّر فيه الإنسان أو عمله مرسوم على الإنسان كله، ويظهر كأنه كتاب يُقرأ وذلك عند ظهوره من الذاكرة .... ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة وذلك كله من ذاكرته الروحانية الداخلية لا ذاكرته الخارجية الطبيعية. والمرسوم فى الذاكرة الروحانية الداخلية لا يمحى ولا يزول وهى يرسم فيها كل فعل وفكر وقول وكل ما رآه المرء أو سمعه أو أحس به.

ويذكر آيات تؤكد ما شرحه من أن الذاكرة الروحانية يسجل فيها كل ما رأى وسمع وأحسّ الإنسان أثناء حياته وهو فى جسده مثل: (أقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا). (فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد). (وذوقوا ما كنتم تكسبون). (ويوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم مما كانوا يعملون). (وشهدوا على أنفسهم إنهم كانوا كافرين). (وما تجزون إلا ما كنتم تعملون). (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء). (ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً). (وكل شىء أحصيناه فى إمام مبين).

تعليق: (ومن ذاكرة المرء تؤخذ كل صغيرة وكبيرة وذلك كله من ذاكرته الروحانية الداخلية لا ذاكرته الخارجية الطبيعية). وأقول من قراءة فى بعض الكتب الروحية أن كل أجهزة الإنسان من عقل، وباطن الإنسان من قلب يحمل الإحساس والمشاعر من حب وكره وغضب ورقة وما تحمل نفس الإنسان فى جعبتها .. كل هذه الأجهزة موجودة فى هيكل الإنسان الترابى القائم على الأرض. حياة الهيكل الترابى يعيش وتدب فيه الحياة ويتحرك بفعل الطاقة الحيوية التى يستمدها من الذات .. والذات هى ذات أثيرية يحفظ فيها أجهزة الإنسان الفاعلة تقوم على أحياء جسده وإمداده بالطاقة. وإذا ترك الجسد الأثيرى الجسد المادى وأخذ معه أجهزة الإنسان أصبح هيكل الإنسان الترابى بدون طاقة وبدون حياة، فيرجع إلى أصله من تراب الأرض.

فالأصل هو الجسد الأثيرى، ولذلك كما يقول الشيخ طنطاوى أن الإنسان لا يحس أنه فقد جسده فهو بعد ظاهرة الموت (ظاهرة الموت: لأنه ليس الموت الحقيقى للإنسان، بل موت للجسد المادى فقط) يعيش بجسده الأثيرى، وهو ذاته الحقيقية التى تحمل الذاكرة وغيرها من أدوات. فليس هناك ما يسمى بالذاكرة الروحانية والذاكرة الطبيعية. كل ما هناك أن الإنسان يتذكّر أثناء حياته على الأرض كل ما يحبه أو يدخل فى دائرة اهتمامه. وعندما يضعف جسده ويقل اهتمامه بأشياء كثيرة كان يمارسها فى شبابه ورجولته ينساها، وربما يفقد ذاكرته بمرض الزهيمر.

أما عندما ينتقل من عالم الأرض ومجالاتها، فكل شىء فعله، أو أحسّه، أو فكّر فيه، فهو حاضر (ووجدوا ما عملوا حاضراً). أما الشىء الذى أحبه وعشقه وكان يعمل فى حياته ليحصل عليه ويمتلكه أو يقترب من شىء أو معنى يرجوه ويطلبه .. فهو ممسوح فيه، طاقة الحب الصادرة من الإنسان تمحوه فيمن أحب. وقد ضربت مثلاً فى هذا البحث عن من يملك شيئا وبعد موته يمحى فى هذا الشىء، فإذا طرقت على أحد جوانب هذا الشىء وجد ألماً عنده، لأنه أصبح وهذا الشىء كيانا واحدا، والسبب هو رباط الحب الطاغى، الغالب فى وجود الإنسان، أثناء حياته وبعد مماته.

والمثل الذى ذكره ليؤكد أن كل عمل للإنسان محفور فى الذاكرة بالآية(فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد). فهمى الخاص فى هذه الآية بعيد عن ذكرها فى هذا المقام. أفهم من هذه الآية أن الله أكرم رسول الله محمد بالجلاء البصرى، بعيد المدى، فهو يرى مجالات روحية وحقية وربانية تزيد من علمه واتساع أفقه كصاحب رسالة (أعلمنى الله فى موقفى هذا ما كان وما سيكون إلى يوم القيامة). فالآية موجهة إلى رسول الله. فكشفنا عنك غطاءك وهو الحجاب الفاصل بين الغيب والشهادة. فهو يرى الآن ما بداخله من سر الله وكان غيبا عليه. وكشف له عن أحداث الحياة

فى زمانه، وما سيحدث من أحداث بعد وفاته. وكشف له أيضاً ما فى قلوب الناس وما يسرونه فى باطنهم.

أما الذى ينتقل بظاهرة الموت وتشهد عليه أعضاؤه وتفضحه ذاكرته فهو فى الدنيا أعمى وفى الآخرة أعمى، وليس له بصر ولا بصيرة، ولا عقل راجح متحرر من أسر نفسه، فكيف له أن يكون بصره حديداً. وقد حدد الأعلى فى الآية كلمة (اليوم)، وأفهم منها أنه حدث ذلك فى حياة الرسول وليس بعد انتقاله.

وكذلك الآية: (كل شىء أحصيناه فى إمام مبين). لا أرى أن هذه الآية لها أى علاقة بالإنسان الخاطىء أو المذنب. وفهمى فى هذه الآية أن الشىء هنا له معنيان: الأول هو أن أشياء الوجود من علم يعرفه الإمام، وموجود فيه، تلك العلوم بالفطرة الربانية التى فُطِرَ عليها، وفى مكنته أن يبين عن هذه العلوم لطالبها. والأئمة الذين فى مكنتهم الإبانة عن الحق فى الإنسان، ومكلفين بهداية الناس إلى معناهم الإنسانى إذا طلبوه، من النادر تواجدهم. فهم من قيل فيهم (أخفى الله الولى فى الخلق). والذى يريد أن يعرف إلى أى مدى تحمل هذه الآية من معانى يقرأ خطبة السيد الإمام علىّ ابن أبى طالب (كرّم الله وجهه) فى خطبته الشهيرة التى ذكرها السيد الدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه "الإنسان الكامل فى الإسلام". وفى أشعار السيد الإمام إبراهيم الدسوقى أو فى بعض أشعار الشيخ الصوفى الكبير محيى الدين ابن عربى.

والمعنى الآخر لأشياء الوجود ذكرته فى هذا البحث وفى كتابى "إنسان مازال". إن الإنسان الذى تنطبق عليه الآية التى يحدّث فيها الأعلى نبيا من أنبيائه فيقول: (وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئاً)، إنه نبى الله زكريا، خلقه من قبل ولم يكن حينذاك قد تكوّن شيئاً بعد، ثم تولاه وطور من خَلْقِه إلى خلق أرقى، كوّن منه وجوداً أعلى فجعله شيئاً، وهو يخاطبه الآن ويقول له (ولم تك شيئاً). هذا الشىء له تطور آخر حين يستوى الشىء

ويطيب لأعلاه فيقول للشيء كن فيكون. هنا يتحول الشيء إلى كينونة. وهذا هو سُلّم التطور للإنسان فى الله ذى المعارج.

قدّم الشيخ طنطاوى جوهرى حديثا لروح (جورج خريستى) ونقله الشيخ عن (الدكتور هانسمان) يؤكد ما قلناه أنه بعد ما يداهم الإنسان ظاهرة الموت يوضع فى المجال الذى يستحقه، ولا يستطيع أن يتخطاه إلا بوعى واجتهاد منه وعمل جاد للترقى لمجال أعلى مما هو فيه، فيقول روح (خريستى): ... عليها (الروح) أن تقلع لشراعها كما تسير السفينة إلى ميناء الأمان حالما تنطلق من الجسم المادى المسجونة فيه قاصدة أن تملك لنور الطهارة حيث تستعد لترفل فى حلل الراحة والسلام والسعادة الأبدية مع الله عز وجل الذى هو أصل المحبة والجمال، وعلى كل إنسان أن يقرع باب السماء بنفسه وبحسب استحقاقه ويرى صك المرور فلا يستطيع أن يختلس الدخول إلى السماء خلسة بل يجب عليه أن يشتغل بجد واجتهاد وكل منا يسكن المنطقة التى تليق به وعلى مقتدى تقدمه ودرجة اختياره وارتقائه وما يحصله من المعارف والعلوم وأسباب الرقى.

وهكذا يظل يجاهد بنفسه ليرتقى من كون إلى كون ومن كرّة إلى كرّة ومن مسكن إلى مسكن. وتختلف هذه المساكن الكثيرة بالمجد والثناء والكرامة والراحة والنور ولا نقدر أن نصفها بلسان ليفهمه العالم الأرضى. وفى هذه الأحوال قد بذلت مقدرتى لأوضح ما نحن فيه من السعادة والعدل

ونقول: هذه رؤية روح السيد خريستى لا بأس بها. نقل لنا منتهى علمه من مجاله المتواجد فيه. ونود أن نوضح "عندما (ينطلق الروح) من الجسم المادى المسجونة فيه قاصدة أن تملك لنور الطهارة حيث تستعد لترفل فى حلل الراحة والسعادة الأبدية مع الله عز وجل الذى هو أصل المحبة والجمال"، كان ذلك الحديث للسيد خريستى وتعليق الشيخ طنطاوى عليه فى صفحة ٣١٦ و٣١٧.

تعليق: السيد خريستى يرى محبة وفق مدى علمه عنها، ومدى إحساسه بها فى داخله، ودرجة قيامه فيها. هذا القيام المحب يرى فى قيامه هذا جمالاً أكسبه حللا من الراحة والسلام والسعادة الأبدية يجعله يشعر بأنه مع الله عز وجل.

الله لا شريك له فى ملكه وكونه، فلم يخرج منه كائن فى أرض أو فى سماء كونه، فهو المحيط بكونه. فعندما صفى السيد خريستى بالطهارة، ورق بالشفافية واستقام بعمله الصالح، واستطاع حسب القانون أن يرفع الغلالة الكثيفة من على وجوده، فرأى ما وراءها، فكُشف له مجال أرقى مما هو فيه. كُشف عن أنوار المجال الجديد فظن أنه مع الله عز وجل. ولكنها مجالات فى الله اللانهائى لا حصر لها، ومعارج الله الذى لا نهاية لمعارجها، ولم تخرج من إحاطة الله.

هذه المجالات المتعددة فى الله يشهدها السادة الصوفية الصادقين ولكنها لا تشدههم ولا يقفون عندها، لأنهم يعلمون أن فى طريق الله مجالات ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب أى بشر. ولو وقفوا عندها جذبتهم وطوتهم فى جمالها، وتحولوا من طريق الله إلى مجاذيب.

الحديث هنا صفحة ٣٣٣ من جورجى زيدان يقول: ... أنا جورجى زيدان أؤكد لهم حياة الخلود وأقول لهم: إننى أُعطيت البراهين الكافية لمن سمعونى وذكّرتهم بأشياء كانت نسياً منسياً، وأرجوهم أن يتمعنوا بما قلت ويؤكدوا أن الأرواح هنا حية خالدة ملاصقة لهم بكل أعمالهم، فالويل لمن يشكّون لأنهم يخسرون لذة مكالماتهم والاجتماع بهم بعدئذ.

(أنا) هنا فيما سيأتى هو الشيخ طنطاوى جوهرى.

أنا: كيف تتفاهم أرواح من كانوا يتكلمون لغات مختلفة على الأرض؟

هو: كلنا هنا نتفاهم. لا كلام البتة، بل انتقال أفكار.

أنا: هل تميزون أرواح الرجال من أرواح النساء؟

هو: طبعاً، كلٌ يحتفظ بنفس الصفات التى كان يتصف بها.

أنا: ماذا مصير الأديان المختلفة بعد الموت؟

هو: لا فرق البتة بالأديان. كلٌ يجازى بحسب أفعاله.

أنا: هل تقدر أن تصف الخالق؟

هو: لم يره أحد بعد.

أنا: هل سترونه؟

هو: نعم طبعاً. هكذا وعدنا.

أنا: وهل تعرفون المستقبل؟

هو: لا يجوز أن نقول.

أنا: أتعنى أنكم تعرفون ما فى المستقبل؟

هو: نعرف. لكن ليس كل شىء. ولا نقدر أن نقول.

أنا: لماذا؟

هو: هكذا أمرنا.

واكتفى بتعليق إميل زيدان على هذا الحديث صفحة ٣٣٥ الذى أجراه مع روح جورجى زيدان حيث قال فى تعليقه: وأريد أن أشير هنا إلى ما يعترض به البعض على أنصار مناجاة الأرواح إذ يفرضون أو يتصورون أن الأرواح كاملة لا تخطىء، وإنها تدرك كل شىء. وليس هذا ما يدعون القائلون بمناجات الأرواح – بل ليس هذا هو المعقول – فإن الأرواح تتفاوت فى المراتب والإدراك، وقد تخطىء الفهم والتعبير، وقد تنسى أشياء وتفوتها أشياء. وعلى كل حال يجب ألا يبرح ذهن الباحث فى هذه الموضوعات أن مقاييسنا وتصوراتنا الأرضية لا تصلح دائماً لإدراك ذلك العالم غير

المنظور، ولا بد من فرض فروض مختلفة لكى يتيسر لنا فهم ما يجرى فيه.

هكذا يتناول شيخ من شيوخ الأزهر الرسالة الروحية بالشرح والتفصيل فى كتابه "الأرواح"، وذلك فى بدايات القرن العشرين وبالتحديد سنة ١٩٣١. حيث أنه رأى من واجبه أن لا يحجب علماً له أهمية قصوى لأهل الأرض جميعاً، لأنه العلم الذى كشف جزءاً من حياة الإنسان الذى يحياها بعد طرح الجسد المادى عنه وتركه للأرض التى أعارته هذا الهيكل حتى يزيد معرفته عن وجوده الروحى والحقى والمعنوى. هذا العالم الذى كشف جزء عنه الشيخ طنطاوى جوهرى هو غيب الإنسان، هو حياته الحقة ومستواه فى مدارج الإنسان، وتواجده على الأرض بالمولد هى فرصة عظيمة، وهى أقيم ما يمكن أن يكرم به الإنسان، من تصحيح لمساره، ورقى وتصاعد فى إنسانيته. هذا يتم له حين يدرك قيمته كإنسان، وإن روح الإنسان جوهرة ثمينة تواجد فى هيكل من الأرض ليصقل وجوه جوهرته.

وهنا يفرض السؤال نفسه: لماذا ظهرت الرسالة الروحية فى الولايات المتحدة وأوربا، ولم تظهر فى الشرق مهد الديانات والحضارات القديمة؟

رغم تمنى الشيخ طنطاوى جوهرى لأهل الشرق بالتقدم وريادة الحضارة الحديثة كما كان فى وقت مضى من الزمان، إلا أننا لم نستمع له ولا لغيره، وحاربنا أصحاب العقول المستنيرة، فاضطر أكثرهم إلى الهجرة ليشاركوا فى بناء الحضارة التى كان من ثمرتها الإنفجار المعرفى فى النصف الثانى من القرن العشرين. وعبّر عن ذلك فى صفحة ٣٤٢ تحت عنوان خطاب المؤلف بقوله:

"أيها المسلمون: أنتم سادة هذه الأرض، أنتم الظاهرون فيها. أيها المسلمون: أوربا نحن علمناها وها هى ذه تظهر علمها لنا فخذوه. أيها المسلمون: أنتم رحماء واعلموا أن الأمم ستبلغ رشدها فكونوا أنتم القدوة، وانشروا السلام وهل تنشرون السلام وأنتم ضعفاء؟ ستكونون أقوياء

فتهابكم الأمم لقوتكم وتحبكم لرحمتكم. أياكم أن تكونوا كأوربا الشرهة الظالمة. بل كونوا رحمة للعالمين.

أيها المسلمون: "كنتم خير أمة أخرجت للناس" عجبى لأمم الإسلام ودين الإسلام! هذا الدين الذى نزل من السماء نوراً مشرقاً. وما كاد يصل إلى الأرض ويسير قليلاً حتى امتزج بالظلام. وأول هذا الظلام الإختلاف والشجار الذى وقع بين عظماء الأمة لأجل الخلافة. فتشاجر الأمويون والعباسيون والعلويون أمداً طويلاً. ثم ذهبت الدولة كأمس الدابر وبقى العلم، ولكن فى الوقت الذى كانت فيه تحتضر المملكة العباسية أخذ العلم يرجع القهقرى، فرأينا الحكمة نامت نوماً عميقاً. وفى بلاد الأندلس وشمالى أفريقيا نُفى أبن رشد. وبات الذى يقرأ الحكمة مذموماً مدحوراً. فهرب العلم من وجه المسلمين إلى أوربا وها هو ذا رجع إلينا ثانية.

ونقول: المقصود برجوع العلم إلينا هو حركة الترجمة للعلوم المختلفة التى بدأها السيد الشيخ رفاعة الطهطاوى. وهناك إشارة ذكية من الشيخ طنطاوى جوهرى فى حديثه عن الأمويين والعباسيين بأنها ممالك وليست خلافة. هذا وهم وتجاوز من حكام العالم الإسلامى حين تصوروا أنهم خلفاء رسول الله. وهذه إشارة مستنيرة من الشيخ طنطاوى جوهرى.

وبعد الجهاد الشريف من أبناء أمتنا لإجلاء الإنجليز والفرنسيين وغيرهم من الوطن العربى تكالبت فئات كثيرة تريد حكم البلاد بدساتير وقوانين ولوائحها التنفيذية شبيهة بتلك التى يطبقها الغرب، ولكن حين تطبق تجدها خالية من الروح والصدق وحب الخدمة لأبناء الشعوب المغلوبة على أمرها فى الشرق الأوسط.

يريدون ويخططون لحكم بلا علم يرفع من شأن الزراعة والصناعة والتعليم والصحة. ما أذكره فيما يخص العلم هو واقع نعيشه من تردى فى كل مجالات الحياة. فإذا تقرر إقامة أى مشروع لخير الناس، نسعى لتشكيل لجان متفرعة عن لجان ولجان ولجان وشركات ومقاولين ومناقصات

وممارسات، والنتيجة نستورد أكثر من ٨٠% من احتياجاتنا، لأننا لم ندخل بجامعاتنا ضمن الـ ٥٠٠ جامعة الجادة العاملة على مستوى العالم. ويكفى لإنهيار أى دولة أقتصادياً ما يحدث على أرض الواقع فى مصر، حيث تدفع٢١٨ مليار جنيه أجورا ومرتبات ومكافآت وحوافز وما خفى كان أعظم لـ ٧ مليون موظف فى الجهات الرسمية للدولة.

هل هناك ترهل وفساد وجهل وانهيار لهذه الشعوب الشرق أوسطية أكثر من ذلك، والنتيجة هو انهيار العملة المحلية، وزيادة فقر أكثر الأغلبية البسطاء.

أضف إلى ذلك الفئات التى تتناحر وربما فى بعض الأحيان تتآلف ويساندها بالمال والسلاح رواد الإستعمار القديم والحديث وغيرهم، ليعتلوا كراسى الحكم، واتخذوا من الدين عنواناً لموهوم جهادهم، يحرفونه حسب أهوائهم، ويعلنون شعارات كتلك التى مكر بها عمرو بن العاص حين رُفعت المصاحف فوق أسنة الرماح، وفضحه السيد الإمام علىّ – كرّم الله وجهه – بأنها كلمة حق يراد بها باطل، فلم يستمع له شيعته لجهلهم، وعدم رؤيتهم ما وراء كلمة الحق التى يراد بها باطل.

ونحن جميعاً نعرف جيداً أن المساندين بالفكر والمال والسلاح لتلك الجماعات الإسلامية يريدون إنهاك ثم تدمير هذه البلاد بما خططوا له بما أسموه الربيع العربى. والأمثلة واضحة فيما يحدث فى سوريا والعراق واليمن وليبيا والمناوشات فى سيناء وغيرها. والمقصود واضح، يريد الغرب أن يستولى على مقدرات هذه الشعوب والسيطرة على اقتصادها بإضعافه ثم تدميره عن طريق استغلال غباء وطمع الجماعات المتصارعة بإسم الدين، والدين منهم براء.

وإذا عرجنا على من يقولون بالدين الوسط، المعتدلون، الغير مغالين، وليسوا متطرفين، مثل الذين يستعملون العنف باسم الدين، نجدهم قد شكلوا على مر الزمان سلطة دينية، مفروضة على كل من ينتمى إلى الإسلام،

بالهوية الشخصية المدون فيها أنه مسلم. يجب على هذا المسلم أن يسلِّم ويؤمن ويخضع لفهم رواد هذا الدين من علماء ودكاترة وشيوخ وأئمة. هذا الدين الوسط المعتدل هو مفهوم الدين الذى أفاض به، وشرحه، وفسّر كتابه المقدس، ووضع قواعده الثابتة العلماء القدامى، الذين عاشوا فى القرون الأولى لظهور الإسلام. وضعوا قواعده بما لديهم من معرفة عن عالمهم فى ذلك الزمان. العلوم والمعارف التى ظهرت فى تلك الأزمنة نتيجة اجتهادات متوافقة مع العلوم والمعارف التى كانت سائدة فى ذلك الوقت.

يا سادة .. هذا عصرهم وعلمهم وفهمهم للنصوص الدينية، ليس لنا بهم أى صلة. لقد اجتهدوا حسب ما عندهم من علوم عن الأرض وعن المجموعة الشمسية. يا سادة .. السيد الأمين على دين الإسلام المؤمن الموقن بأن كل شىء فى الكون بما يحويه من إنسان يرنو للتطور والترقى فى الله ومجالاته النورانية إلى ما لانهاية. الرسول الكريم أدرك ذلك فكان يستغفر الله مما عنده من معرفة فى اليوم سبعين مرة. ولم يُقْدِم على تفسير القرآن، أمتثالاً لكلام الله (إذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إنّا علينا بيانه). فكلما تطور الجنس البشرى تطور إدراكه لقوانين الحق والحياة التى هى كل الكتب المقدسة. فكيف لأى رسول أن يحد كلام الله، بتفسير أو فهم، وهو يعلم سنة التطور للأحسن والأفضل والأقوم.

إن العقل البشرى يا سادة متلقى لأنوار الله لمن يطلبها بصدق. وكلما تطورت البشرية بالعلوم الأرضية، وتأمل فيها الإنسان، كشفت له عن أنوار، هى علوم سماوية تسهم فى سموه، ورقيه فى الله ذى المعارج. فلم التجمّد والثبات على مفهوم أناس، اجتهدوا ووصلوا لمفاهيم تناسب عصرهم ومدى تطوره.

الرسالة الروحية جاءت لتكشف بعض مستويات ومجالات من العلوم الغيبية التى تساعد الإنسان الذى جاء من هذه المجلات إلى الأرض بجسد، هو هيكل جامع لكل معنى، ولكل مجال، أراد أن يتجه إليه. وفرصة مكسبه

للمعانى الغيبية، لا ينالها إلا وهو فى جسد من مادة الأرض، لأن هذا الجسد يحوى عدة أدوات، تمكّنه من كسب أى معنى علوى أو سفلى، وله مطلق الحرية فى اختياره لطريقه. وهذا الجسد جامع فى مكنونه أى معنى إنسانى، أو غيبى، يرغب الإنسان أن يتجه إليه ويكسبه. إنه تواجد جدٌ خطير لتطور الإنسان ورقيه فى الله.

أما حين تركِه لجسده من تراب الأرض، فهو ينطلق إلى المجال أو المستوى أو المعانى التى كسبها. فهو يعيش، ويقوم، فى صحبة من رفاق، لهم نفس المستوى العلمى، والمعرفى، وما قاموا فيه من عمل صالح أو طالح.

والآن هل عرفنا لماذا لم تظهر الرسالة الروحية فى الشرق مهد الأديان والحضارات. وبدلاً من ظهورها فى مهدها الأول، ظهرت عند من يقدّرون العلم ويؤمنون بكل جديد، ويعملون عقولهم بالتفكر والتأمل فى كل ظاهرة تخرج من الأرض، أو تلوّح لهم فى السماء، أو تظهر على أى إنسان مثل ظاهرة الوساطة الروحية التى يتمتع بها القلة النادرة من خلق الله.

لقد وأدنا الرسالة الروحية فى مهدها حين نقلها بعض العلماء من أوربا إلى مصر. وذكرها السيد الدكتور رؤوف عبيد فى مجلداته التى ضمّت الحركة الروحية فى أوربا مع صور لبعض الأجهزة العلمية التى ساعدت الأرواح والعلماء فى جمع معلومات ومعرفة بأكثر مجالات الأرواح المتصلة بالعلماء وبالمشتغلين بالأبحاث الروحية فى أمريكا وأوربا. وأصبح لديهم الآن جمعيات وجامعات روحية لها أنشطة كثيرة فى مجالات علمية متعددة. ولا يستطيع أحد منا أن ينكر هذه الرسالة بعد ما قدمها لنا الشيخ طنطاوى جوهرى فى كتابه "الأرواح".

الرسالة الروحية ظهرت مواكبة للإنفجار المعرفى عن الأرض بعلومها، وعن الإنسان ومعنوياته الباطنية، وعن الكون وأسراره. هذه المعرفة الروحية لها جانب علمى عن الأرض والكون والمادة، وهذه المعرفة هى ما يدرّس الآن فى كليات متخصصة. ولها جانب آخر عن غيب الإنسان، أى ما هو غائب

عن معرفته من مجالاته المتعددة التى يمكنه أن ينفذ إليها ويعرفها ثم يعرف السبيل إلى القيام فيها. يصل للقيام فى هذه المعانى الإنسانية حين يحسن أستخدام أدواته المعرفية الموجودة فى وجوده، وهذا هو السبب الرئيسى لتواجده على الأرض، وطلب الرجوع إليها ليكمل مشوار أهدافه الروحية والمعنوية الإنسانية.

الرسالة الروحية أيضاً لها جانب معنوى راقى ألا وهو أنها أوضحت المعنى الحقيقى والمعرفة الإنسانية التى جاء بها الأنبياء والرسل والمعلمون الروحيون إلى الإنسان ليعرف معناه كإنسان، وإلى ما يمكن له أن يرتقى إليه فى الله. وصححت المفاهيم الخاطئة لفهم المعانى الإشارية لنصوص الكتب المقدسة، وكيف أن معتنقى الأديان فهموا النصوص بصور مادية مشابهة لحياتهم وما فيها من مادة، ولم يعرفوا البعد الروحى لهذه النصوص، لأن كل ما يعرفه الإنسان على الأرض ويقوم بعمله حباً فى الخدمة له ولأخيه الإنسان على الأرض، هو ما سوف يعيشه فى العوالم الغيبية عليه الآن بعد انتقاله.

تطـور الرؤيــة فى قضــايا الرســالة الروحــية

يلاحظ القارىء إننا نزيد فى رؤيتنا للقضايا التى طرحها السيد الشيخ طنطاوى جوهرى عن الأرواح وكيف هى حياتهم فى الحياة الأخرى. والمزيد الذى أدلينا به هو نتيجة تطور العلوم الروحية، وتعدد مستوى الأرواح المعرفية ومجالاتهم التى يتواجدون فيها.

فليس هناك خلاف بين رؤيتنا وما قدمه الشيخ طنطاوى جوهرى، ولكنها تعدد الرؤى بناءً على تعدد المجالات وما بها من أرواح. هذه الأرواح قدّمت رؤية عن مجالاتها على قدر اتساع مداركها. ولكن هناك أرواح أخرى تتكلم من مجالات مختلفة، برؤى مختلفة. إن كل مستوى أو مجال له رؤيته وله مكانته فى سُلّم رقى الإنسان وسموه ومدى سعة إحاطته. هناك رؤى كثيرة متعددة، ولكن لا تخرج عن حدود المجال والسعة والإحاطة التى هى فيها.

ويحدث كثيراً أن روح علوية أو أرقى يتواجد لسبب ما فى نفس هذا الوجود أو المجال ويتحدث عنه – عن المعنويات الموجودة فيه – بصورة شاملة جامعة محيطة أكثر من المتواجدين فيه (ساكنيه).

نحن نعرف أن الشيخ طنطاوى جوهرى توفى سنة ١٩٤٠، والعلوم الروحية لم تتوقف، بل زادت .. زادت بفعل زيادة الطلب للمعرفة، إلى جانب تطور العقل الجمعى للبشرية فأصبح طلب الإنسان وتحصيله للعلوم الروحية أكثر، والأرواح المرشدة تعطى كلما رأت قلوبا مشوقة للمعرفة، وعقولا تطلب الزيادة لنورها. والشيخ طنطاوى جوهرى فى طلب مستمر للمعرفة سواء كان فى جسده أو انطلق منه إلى مجاله الروحى.

ومما لا شك فيه، إضافة لما ذكرناه عن تطور وتقدم الوعى المقدم من الأرواح المرشدة إلى العاملين فى مجال الرسالة الروحية، هناك الإنفجار المعرفى بعد النصف الثانى من القرن العشرين، وكيف ساعد ذلك على

زيادة انتشار الوعى الروحى نتيجة لاتساع مدارك الإنسان بالعلوم المختلفة فى مجالات الحياة المادية والمعنوية.

نسأل الله أن ينفعنا به وبرفاقه العاملين بالرسالة الروحية وهو طليق بروحه، كما نفعنا وهو بيننا فى جسده.

obeikan.com

الروحية والشيخ طنطاوى جوهرى

فتح لنا باباً ننفذ منه لأرواحنا

بعلم عنا قديم ندركه ونحن فى أرضنا

عرفه من الغرب قدمه حباً لشرقنا

إنه علم الجواهر أثمن ما فى أرضنا

عرّفنا عن مآلنا نرسمه بصالح عملنا

تواجدنا فى أرضنا كرات وكرات لرقينا

بصقل وجه من وجوه جوهرة هى الأصل من ربنا

ندنو ونعلو بأفعالنا نهبط ونبعد بسوء فعلنا

نزيل ونمحوا ما علق ونجلوا وجوه جوهرتنا

نستعين ونرجو ونطلب خلاصاً وقرباً لأرواحنا

دعوة الأرض لأبنائها

أمنا الأرض .. كائن حى. من حياته يمنح كل إنسان يعيش عليها حياة منه .. بإرادة الإنسان يحب أن يتواجد عليها، كرات وكرات ليكمل طريقه للحياة. ولا تبخل أيضاً بالحياة لكل من لم ينطلق منها، ويعيش عليها جهلاً بمعناه كإنسان، وأوقف حياته بكراتها على حياة فى كنفها. تتحدث إليهم جميعاً، وترجوهم أن يفيقوا، وينتبهوا لما فيهم، ولما هم عليه من معنى الإنسان.

يا ولدى منحتك هيكلاً .. تدخله

تبحث فيه عن وجه أبيك

أتيت إلىَّ من غيبك بكل أدواتك

تعينك فى محاولة الولوج إسراءً لبيت أبيك فيك

تمثّل أبوك بهيكل تراه معلماً

يدعوك للنفاذ لهيكلك لتلقى حقيقة أبيك

منحك حرية مطلقة .. إما النفاذ وإما هيكلاً معبودا

تنفذ بطلب ورجاء يستجاب بحب ورغبة صادقة لأبيك

إنها طاقة رحمة تهيأة لطهارة الهيكل من كل ما سوى أبيك

هيهات ولدى إلى متى أكرر منحك هيكلاً

تعشقه وتعود إلىَّ فى كل كرة دون أبيك

تركن فى كل كرة لتقليد أعمى لجدٍ ورفيقاً

obeikan.com

وتقول هذا ما وجدت عليه آبائى من التقليد والترديد
تقليد وترديد لوهم راحة عقلك وسرور قلبك
وعبث نفسك بعداً عن تأملاً وتفكيرا
غارقاً فيما يحب جسدك، مفارقه يوماً، ليس معبوداً

أبٌ صابرٌ صبراً جميلاً يرى نفسه فى لب أبناءه
وهم فى أعلى عليين وفى أسفل سافلين
يا ولدى نهاية كل كرة ترى هيكلك جيفة
ألا تستفيق إلى معناك إنساناً لأبيك

يحين فطامك منى فى كل كرة، ألا تحن لمجالات أبيك
ومن والدة تصير بك أماً تدفع أبناءها نحو أبيك
وترى هيكلك معبداً تُعبّد فيه وجودك لرحمة أبيك
وترحم روحك لأبيك من التقليد والترديد.

روحك .. سر الله .. أمانة الحياة .. أبيك فيك
وتُصنع على مثال من يرعاك بحبه يمحيك
وتكسب كرةً لا عودة منها لكرةٍ خاسرة هكذا دواليك
وتنعم بما نعم به أبناء أبيك، غبت عنهم أمداً طويلاً

obeikan.com

عبداً صالحاً لكرم الرحيم وإحاطة الرحمن أبد الآبدين

تصير أداة خير ورحمة لإخوانك المتعثرين

تعود إلى أمك الأرض فرحة لإبنٍ عاد إليها عبداً مستقيما

عاد إليها بكرم ورحمة على مثال الآباء الرحماء الراحمينا

obeikan.com

خُلاصــة أرجــو أن تكـون
خَـلاصـاً

النـافذ إلى أعماق ما يدور ويعتمل بعنف وحدة فى صدور النـاس المتواجدين على الأرض الآن، يرى الظاهر لما فى الصدور .. صراعاً لا هوادة لـه .. وصراعاً متصاعداً فى باطن الإنسان يدمره. وصراعاً فى ظاهر الإنسان يدمر الآخرين، وأشياء الوجود.

فقد الإنسان السكينة، وبغل ينفث فى نـاره لتزداد اشتعالاً. طوّع أدواتـه الإنسانية فتحولت إلى أدوات تدمير لمعنوياته.

ربما تكون رؤيتى قاصرة، وتكون هذه النـار المشتعلة فى باطن الإنسان تسوية، فتطهره، ويبدأ من جديد. هل هى نـار مشتعلة بصورة دائمة لتجعله فى يقظة لما يدور بداخلله؟ وحوله؟ أهى نـار تُبيد كل ما بنـاه من موروث يتنافى ويتجاهل ويتعامى عن ما هو قائم، وكل ما هو متطور، ويدفع اليقظين إلى التقدم والرقى، بالعلم عن علوم أسرار الأرض وما فيـها، والكون وما يظـهر منـه، وكذلك الإنسان فى عموم رقيه واتصاله بغيبه، ألا وهو أصلـه؟

بدلاً من رؤيتى ورؤيتك القاصرة بظن ملكيتنا لأمنا الأرض، ونعيث فيـها فساداً، وتناسينا إنـها ككائن حى، أعارتنا هيكلاً منـها، وهباً، وحباً، لنستطيع العيش فيـها، لنتعرّف على معنانا، ونكسب فى معنى إنسانيتنا. فهل ولجنا إلى باطن الهيكل الذى أعارتنا أياه لنكتشف لماذا كرّم الله بنى آدم؟ وما أراه وتراه معى أيـها المشمول معى برعاية أمنا الأرض، وحنو وعطف من هو أقرب للإنسان من حبل الوريد، أننا لم نفيق بعد لهذه المعانى الإنسانية بعقل راجح، يراجع سلوكه، وهدف حياته إلى أين يأخذه؟

أما آن لنا أن نخرج من نـار نفوسنا التى تدمرنا من داخلنا؟ أما زال عذابـها ولهيبها غراما؟ أم هى نـار الله الموقدة التى تتطلع على الأفئدة لتُرى

الإنسان ما فى الأفئدة من حياة، فيسجد لما فى قلبه فى صلاته، ويتصل بها، ويخلص فى الاتجاه إليها، ليحيا من حياتها بالإتحاد معها والفناء فيها .. (القلب بيت الرب).

حِرتُ فى أمرى وهو أمر الإنسان على الأرض. لا أكف عن الشكوى من قيامى ومن حالى وهو حال الناس. إلى متى أعرف ولا أقوم فيما عرفت؟ إلى متى تتأجج النار فى صدرى ولا أدرى لها مآل؟ إلى أى مدى هى مشتعلة ولا تخبو؟ إنها الحيرة التى أرجو من الله ألا تدفع إلى اليأس.

دفعنى بالرجوع إلى نصوصه فى كتبه المقدسة أن أتأمل وأتفكر. تأملت وتفكرت، وبعونه عرفت جانباً من مفهوم فى الشهادتين. والسبيل للشهادتين هو الإنعكاس إلى قلب الإنسان محاولاً إقامة صلة، طمعاً فى اللقاء. والصلاة لا تتم إلا بالزكاة. وعرّفنى كيف أزكى نفسى، وكيف أنير عقلى بالتواضع لأتواصى مع من هم أعلم وأنور منى، وكيف تكون المجاهدة بالعلم ومحاولة الصلة (الصلة بأعلى)، وبالزكاة ما دمت حياً على الأرض. الزكاة فى كل صلاة، والزكاة فى كل علم. وعرّفنى أن كل المناسك التى تصل وتوصل الإنسان بمعناه فى قلبه (بيت الرب فيه) مجمعة فى مناسك الحج محاطة برحمة ومشمولة برعاية من هو صاحب الرحمة يمنحها هدية لمن هو جاد فى طلبها، ومخلص فى طلبها، ومحب لمن يهبها.

صمت عمن سواه لأوصل بمحياه. وطبعاً والحال هكذا، ما زلت فى نار الله الموقدة، فكل ما ذكرت من مناسك قمت فيها شكلاً، وصومى كان جوعاً وعطشاً، فلم أعرف الإخلاص، وأعترف بكذبى. وأظن أنه حال الإنسان على الأرض. (إلا من رحم)

نسأل الله أن يهبنا السلام والسكينة، نستشعرها فى قلوبنا، بأن يهبنا رحمة من عنده، برجائنا وطمعنا، وليس بأعمالنا. نسأله أن ينير عقولنا، بعلم حقى، يهيأه لنا، ونحن فى عمائنا. وأن يغفر لنا كذبنا، وادعاءنا بأننا عبيد

لـه، بعفوه ورحمته. وأن نكون من المستغفرين من حالنا وعلمنا، لحال أفضل، وعلم أغزر. نسأله أن يحق الحق فينا بكلماته، وأن يزهق باطلنا بقدرته. نسأله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

اللهم هيئ لنا لقاءً بعبد من عبادك الصالحين، وأدخلنا قلبه، وهبنا حبه وحب من أحبه.

obeikan.com